العدد الثالث - السنة الاولى
رمضان ١٣٩٧هـ - اغسطس ١٩٧٧م



مجلة ثقافية شهرية

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

العدد الثالث - السنة الاولى
رمضان ١٣٩٧هـ - اغسطس ١٩٧٧م

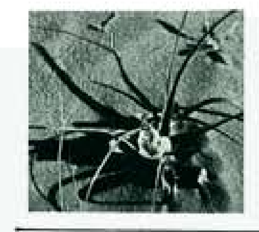
رئيس التحرير
علوي طه الصافي

هـذا العـدد

** تعيش الامة الاسلامية على امتداد خريطة العالم، شهرا وراء شهر، حتى يدور الزمن دورته ويجيء شهر رمضان، شهر الصوم، وشهر البر، وشهر الخيرات، والشهر الذي تجيء فيه ليلة القدر، التي هي خير من الف شهر، فتحلو التوبة والرجوع الى الله سبحانه وتعالى، انه شهر القرآن، والقرآن كلام الله، وهو المعجزة التي حملها رسوله محمد بن عبدالله، هاديا ومبشرا ونذيرا ورحمة للعالمين.



** صحراء عربي الامس، هي صحراء الخيل والجمل والخيمة، وصحراء عربي اليوم هي آبار البترول وآليات المدنية الحديثة، وموقف الشموخ الدولي، والصحراء عند الفنان لوحة متكاملة بألوانها الصارخة، وظلالها العبقرية، وهي عند العلماء وفي قواميس اللغة شيء غير هذا كله، فما تعرفه وما لا تعرفه عن الصحراء، تستطيع ان تطالعه في صفحات هذا العدد.



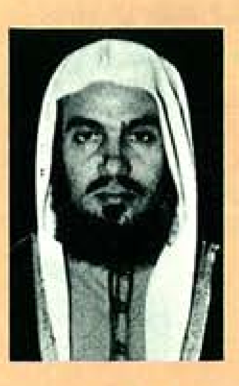
** عبقرية الحضارة العربية كنبع للنهضة، كتاب جديد حقا، جديد سواء في شكله او في مضمونه، وجديد ايضا سواء في هدفه او في فكرته، وجديد بعد هذا كله سواء فيمن اصدره وانفق عليه او فيمن اهدي اليه هذا الكتاب، فما هي نواحي الجدة ؟ وما هو الجديد في هذا الكتاب ؟ الاجابة على صفحات هذا العدد.



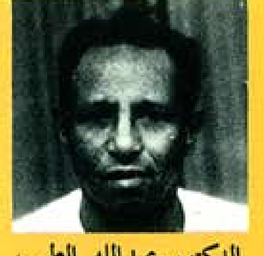



من كتّاب هذا العدد

الدكتور عبدالله عبد المحسن التركي



* من مواليد «حرمة» بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٥٩هـ.
* دكتوراه من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٣٩٤هـ.
* تنقل في عدة وظائف تعليمية .. مدرسا .. فمفتشا .. فعميدا لكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية .. ثم وكيلا لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .. ويشغل حاليا منصب مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض.
* مؤلفاتة المطبوعة:
«مجمل أسباب اختلاف الفقهاء»
«أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل»

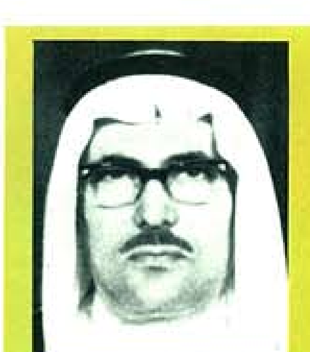


الدكتور عبدالله الطيب

* من مواليد السودان عام ١٩٢١م
* دكتوراه في موضوع الأدب العربي من بريطانيا
* عمل في معهد التربية في السودان فعميدا لكلية الآداب بجامعة الخرطوم .. فمديرا للجامعة نفسها.
* قام بتأسيس جامعة عبدالله بايرو في كانو (نيجيريا).
* عضو عامل في مجمع اللغة العربية.
* صدرت له ثلاثة دواوين شعرية.

الدكتور عبد العزيز حامد ابو زنادة

* ولد بجدة في سنة ١٩٤٥ م.
* حصل على درجة البكالوريوس في الأحياء من جامعة الرياض في سنة ١٩٦٣
* حصل على درجة الماجستير في الأمراض النباتية والأحياء الدقيقة من جامعة مينسوتا بالولايات المتحدة الامريكية
* حصل على درجة الدكتوراه في التراكيب الدقيقة للمرضات النباتية من جامعة درم ببريطانيا في سنة ١٩٧١.
* له العديد من الأبحاث المنشورة في مختلف المجلات العلمية العالمية والمحلية كما شارك في تأليف وترجمة عدد من الكتب والمراجع
* استاذ مساعد ورئيس قسم علم النبات – بكلية العلوم – جامعة الرياض .. ورئيس الجمعية السعودية لعلوم الحياة.

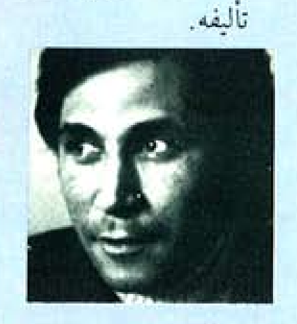


عبد العزيز الرفاعي

* من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٤٢هـ.
* خريج المعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة.
* تنقل في عدد من الوظائف الحكومية .. وحاليا يعمل في مجلس الوزراء
* له نشاط ادبي واسع في الصحافة السعودية
* اصدر سلسلة «المكتبة الصغيرة» التي صدر منها الى الآن ٢٠ جزء .. في الشعر .. والدراسة الادبية والتاريخية .. بعض هذه الاجزاء من تأليفه .. والبعض الآخر لمفكرين وادباء آخرين
* يستقبل في منزله اسبوعيا عددا من الادباء السعوديين .. وغيرهم من الادباء العرب في ندوة ادبية.

جلال العشري

* ولد في مصر بالمحلة الكبرى عام ١٩٣٩م.
* ليسانس آداب – قسم الفلسفة – جامعة القاهرة.
* عمل بالصحافة .. كان سكرتيرا لتحرير مجلة «الفكر المعاصر» .. ثم مديرا لتحرير مجلة «المجلة» .. ومجلة «الشعر».
* يعمل حاليا ناقدا ادبيا وفنيا بمجلة الاذاعة والتليفزيون .. واستاذا محاضرا بالمعهد العالي للفنون المسرحية .. والمعهد العالي للنقد الفني.
* له عدة ترجمات من الادب الغربي في الادب والمسرح.
* وله مجموعة من الكتب المطبوعة في الآداب .. والنقد المسرحي من تأليفه.



الدكتور بدوي طبانة

* من مواليد مصر – محافظة المنوفية عام ١٩١٤م.
* دكتوراه في الأدب العربي – النقد الأدبي والبلاغة.
* تنقل في مراكز مختلفة في التدريس الجامعي .. مدرسا .. فاستاذا مساعدا .. فأستاذا .. فأستاذ كرسي .. فرئيسا لقسم البلاغة والنقد الأدبي .. والأدب المقارن في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.
* شارك في عدد من المؤتمرات العلمية .. ومؤتمرات الأدباء العرب.
* انتدب استاذا في كلية آداب جامعة بغداد .. وكلية التربية بجامعة طرابلس .. ويعمل حاليا استاذا للدراسات العليا في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض.
* له ١٨ مؤلفا في فنون الأدب والمعرفة الانسانية .. والتحقيق .. وله كتابان تحت الطبع.

بدر توفيق

* ولد بالمنيا في مصر عام ١٩٣٤م.
* تخرج في كلية الآداب بجامعة عين شمس حيث درس الأدب الانجليزي، ثم واصل دراساته في الأدب الألماني، والعلوم المسرحية لمدة اربعة اعوام بجامعة كولون بألمانيا الغربية.
* يعمل حاليا مترجما بدار أخبار اليوم.
* صدر له ديوان «**ايقاع الأجراس الصدئة**» عام ٦٥. وديوان «**قيامة الزمن المفقود**» عام ١٩٦٨ ومسرحية اذاعية بعنوان «**مأساة أدونس**» عام ٦٩.
* كما نشرت له عدة دراسات في نقد الشعر بمجلات **الكاتب والآداب والمسرح** والبرنامج الثاني باذاعة القاهرة، ونشرت قصائده منذ عام ٦٢ **بالاهرام والجمهورية وروز اليوسف والشعر**.



لم يأت الاسلام لجماعة معينة من البشر لها صفاتها «العرقية» .. و «العنصرية» .. بل جاء لكل الناس عربا .. وأعاجم .. بيضا .. وسودا .. وهم أمامه سواسية .. «الناس سواسية كأسنان المشط» .. وهو مع هذه السواسية .. أفرد اهل التقوى .. وأهل الصلاح .. والداعين الى الخير بالفضل .. وهذا الفضل حق للعربي .. وللاعجمي .. كما انه حق لصاحب السلطان والجاه .. وللانسان الفقير العادي «لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى» .. ولهذا كان «بلال» وهو عبد حبشي احد صحابة الرسول الكريم .. و (سلمان الفارسي) من أهل البيت «سلمان منا أهل البيت» .. قال تعالى في كتابه العزيز «ياأيها الذين آمنوا انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم».

** وهذه الشمولية .. والمساواة انتصار يحققه الاسلام للانسان.

والاسلام لم يكن تشريعا «مرحليا» تحكمه اطر زمان .. ومكان محددين .. بل جاء متخطيا هذه «الاقليمية» .. متجاوزا كل «الأزمنة» .. جاء لكل زمان ومكان.

** وهذه العالمية .. تأتي مكملة لصفة الشمولية والمساواة .. وهي انتصار آخر للانسان في مواجهة رياح المتغيرات .. والمفاجآت .. والنزعات .. والتسلط الفردي.

وقواعد الاسلام جاءت منظمة لكل جوانب الحياة .. فهي لم تهتم بالجانب الروحي على حساب الجانب المادي .. ولم تركز على العبادات دون المعاملات .. فكان الاسلام بهذا التنظيم حقا دين عمل .. وعبادة .. وعقيدة دين .. ودنيا « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا و أعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .. ». فالاسلام دعوة عامة للحياة والآخرة .. اعطى للعبادات الروحية التي تنظم العلاقة بين الانسان وربه حقها .. كما أعطى للمعاملات المادية التي تنظم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان حقها أيضا.

والاسلام بتنظيماته وتشريعاته المختلفة حفظ للمسلم حريته .. وصان عرضه وماله من الاعتداءات .. ووفر له من خلالها حياة الاستقرار والأمن والطمأنينة التي يفتقدها غيره.

هذه «الموازنة» الرائعة عجزت عن تحقيقها كل التشريعات «الوضعية» لأنها تشريعات العقل البشري المحكوم بالمحدودية .. والقصور .. بينما الاسلام تشريع الخالق المطلق العارف بمصالح كل الناس «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» وهي موازنة فيها انتصار للانسان ضد الظلم الذي تلحقه به التنظيمات الوضعية المتغيرة لمصلحة الأقلية .. والفردية .. والمحكومة بالاهواء .. والنزعات والتغيرات المكانية والزمانية.

والدين الاسلامي يقوم على أركان خمسة (الشهادة .. الصلاة .. الزكاة .. صوم رمضان .. والحج) هذه الأركان هي أروع انتصار



بقلم :
علوي طه الصافي

يحققه الاسلام للانسان.

فالشهادة بان الله وحده لا شريك له. وان محمدا رسوله هو انتصار ضد عبودية الانسان لأخيه الانسان .. وضد أية عبودية أخرى «بشرية» كانت ام «شيئية».

لقد جاء الاسلام .. والانسان تحكمه مجموعة من الحجارة الصماء .. هذه الحجارة كانت تمثل عددا من الآلهة يعبدها .. ويقدم لها القرابين والنذر .. يخشى ضررها .. ويرجو نفعها في الوقت الذي كانت هذه الالهة من صنع يديه .. وقد صنع بعضها من التمر حتى اذا ما جاع أكلها .. كما ان بعضها المصنوع من الحجارة كانت الثعالب تبول عليه .. قال شاعرهم:

أرب يبول الثعلبان برأسه	لقد خاب من بالت عليه الثعالب

جاء الاسلام وهذه الآلهة المتعددة تتحكم في اقدار الانسان ومصائره. وهماً .. وخرافةً .. فهو يعتقد فيها .. ويتخذها «واسطة» لطلب الخير .. والوقاية من الشر .. فعاش مخلوقا مشلول الارادة معطل العقل .. واول ما عمله الاسلام هو تحطيم هذا الوهم .. وايقاظ الارادة المشلولة .. وتخليص العقل الانساني من هذه العبودية .. وبالشهادة ألغى الاسلام كل انواع «الواسطات» .. وارتفع بمستوى العلاقة بان جعلها مباشرة بين الانسان وربه الحق المطلق القادر على كل شئ «ليس كمثله شئ وهو السميع البصير».

فالجنة ليست لمن له واسطة من البشر .. كما انها ليست لمن يملك صك غفران .. ويدخل الله فيها من يشاء .. كما يدخل من يشاء النار .. وهذا انتصار.

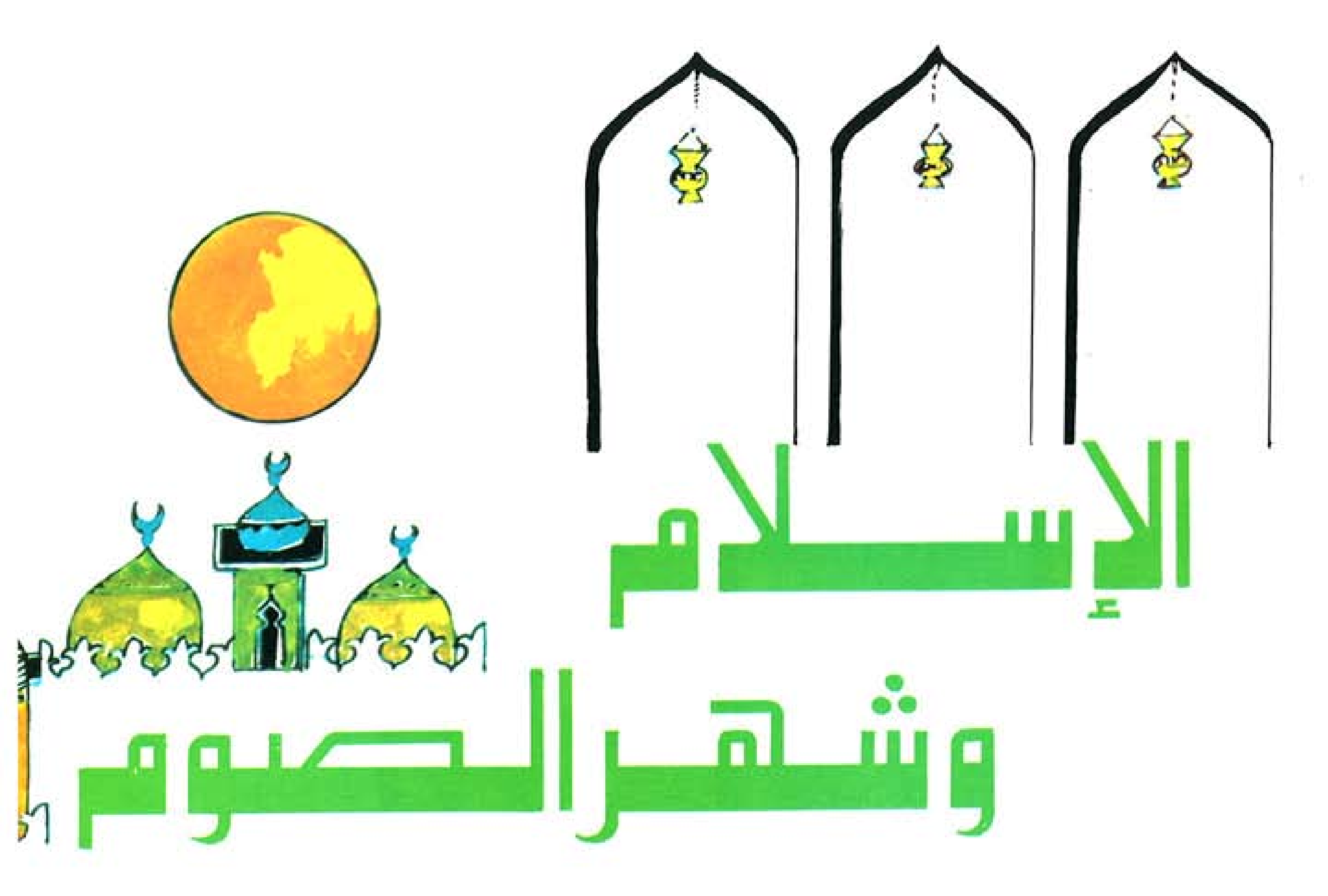
والصلاة .. وسيلة من وسائل التقرب الى الله .. وهي نوع من انواع الصلات المباشرة بين الانسان وربه الذي خلقه .. وسخر له كل ما على الارض وما في باطنها من خيرات.

والزكاة .. وهي أخذ نصيب من أموال الاغنياء من اجل الفقراء انتصار للانسان البائس ضد الجشع والفقر .. والانانية.

والصوم .. والحج .. فيهما انتصار للانسان ضد غروره .. وصلفه وفي مواجهة شهواته .. وغرائزه وبطره .. وخيلائه.

هذه أمثلة سريعة يعرفها الجميع عن الاسلام .. تؤكد حقيقة انه دين انتصار .. وهي غيض من فيض .. ووشل من بحر.

واخيرا .. فالاسلام دين يحتاج الى من يفهمه بانصاف .. ونزاهة .. لا لمن يدافع عنه .. فهو فوق كل الشبهات .. وكل التهم التي يلصقها الجاهلون به .. وسيبقى كما جاء دين انتصار لمن اراد ان ينتصر لانسانيته .. وآدميته .. وكرامته.



الإسلام وشهر الصوم

بقلم: د. عبد الله التركي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الى يوم الدين.

وبعد:

فقد اكمل الله للمسلمين دينهم، وجعل رسالتهم خاتمة الرسالات، ونبيهم خاتم الأنبياء، ولذلك فقد تميزت الشريعة الاسلامية بخصائص وميزات لا توجد في الشرائع والديانات الاخرى، وهذا التميز والاختصاص يستدعيه عمومها لجميع الناس، ودوامها الى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

وابرز تلك الخصائص شمول الشريعة الاسلامية لجميع شعب الحياة ومعالجتها لجميع القضايا والمشكلات. فعلاقة المسلم بخالقه، تنظمها العقيدة والعبادة، وعلاقته بنفسه لها أحكامها في مأكله ومشربه وملبسه، وعلاقته بأسرته لها نظامها فيما يحل وما يحرم، وما له من حقوق، وما عليه من واجبات، وعلاقته مع الناس ومع المجتمع الذي يعيش فيه، نظمتها أحكام المعاملات بيعا وشراء واجارة وغير ذلك مما تستدعيه الحياة، وعلاقة المسلمين مع غيرهم من المجتمعات لها أحكامها ونظمها وبالجملة فالشريعة الاسلامية كاملة شاملة، وافية بمتطلبات الناس في كل وقت ومكان.

وقد امتن الله على أمة الاسلام بهذه النعمة، قال تعالى:

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً»

وقال تعالى:

«ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين»

وقال تعالى:

«ما فرطنا في الكتاب من شيء».

وقد بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أنزل الله اليه خير بيان امتثالا لقول الله تبارك وتعالى:

«وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون».

وما يتصل بالعقائد والعبادات والحلال والحرام في الأكل والشرب والملبس والمسكن، والحدود وأحكام الأسرة – الذي


• شهر رمضان .. شهر الخير والبركة
والرحمة والمغفرة ، فأوله رحمة
وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار



«ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

وشهر رمضان موسم للمسلمين من أعظم المواسم، وما أكثر مواسم الخير لدى المسلمين، ولكن الله اختص هذا الشهر بالفضل العظيم، ففيه يعظم الأجر، ويفتح مجال الخير، ويتسابق المسلمون في أعمال البر وطاعة الله تبارك وتعالى. **وشهر رمضان شهر الخير والبركة والرحمة والمغفرة**، فأوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، وقد تواترت النصوص في فضله، والترغيب في اهتبال فرصته، وشغلها بالطاعات.

وقد روى **أبو هريرة رضي الله عنه** ان **النبي – صلى الله عليه وسلم** – قال: **«اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت ابواب النار، وصفدت الشياطين».**

وهو بهذا موسم من اعظم المواسم، تقدره الأمة الاسلامية حق قدره حينما كان الوازع الديني لديها قويا، ورغبتها في الخير عظيمة، وغايتها بلوغ رضوان الله تبارك وتعالى، فان أمل المسلم الحقيقي ان ينعم في الجنة، وان ينجى من النار، أعاذنا الله منها.

ونظرة الاسلام الى هذه الدنيا انها مرحلة انتقال، ومجاله للخير والإيثار، وما فيها من متع وملذات لا تقاس مها بلغت من الحسن والكمال بما في الجنة والدار الآخرة من النعم المقيم.

وقد اعطيت الامة الاسلامية في هذا الشهر من الخصال ما لم تعطه غيرها قال صلى الله عليه وسلم:

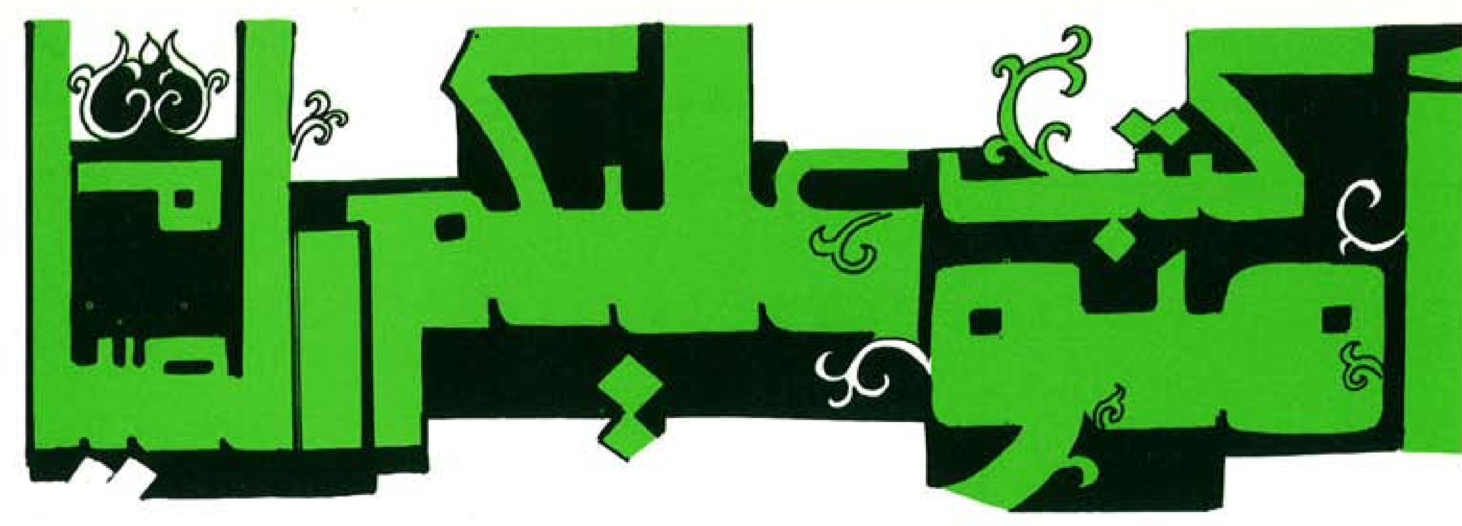
«أعطيت امتي خصال في رمضان لم تعطهن امة من الامم قبلها: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادي الصالحون ان يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا اليك، وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون الى ما كانوا يخلصون اليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة، قيل: يارسول الله أهي ليلة القدر، قال: لا، ولكن العامل انما يوفى اجره اذا قضى عمله».

وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به والصيام جنة، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فان سابه أحد، أو قاتله، فليقل اني صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحها، اذا أفطر فرح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومه».

وفي رواية: **«كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به. يدع شهوته وطعامه من أجلي».**

ومن هذا ايها القارئ الكريم تدرك فضل الصوم وشرفه وفضل رمضان، ومضاعفة الأجر فيه، ولذلك استحب فيه عمل الخير، من واجبات ومستحبات، فقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اذا دخل رمضان شد مئزره وأحيا ليله، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان المبارك وكان يحث صحابته وأهله على فعل الخيرات، والاكثار من الصدقة والانفاق في هذا الشهر.

وقد تابعه على ذلك سلف هذه الامة الصالح، الذين كانوا ينتظرون رمضان بفارغ الصبر، ليتسابقوا فيه الى الخيرات،



وكانوا يتألمون لانتهائه، لما فيه من عظيم الأجر. والمسلمون في حاجة ماسة الى متابعة رسولهم – صلى الله عليه وسلم – في الواجبات والمستحبات، في حاجة الى عودة الى الله تبارك وتعالى، عودة صادقة، تتجدد معها العزيمة لمضاعفة الجهد في اعمال الخير، والاستقامة على هدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى تستقيم أحوالهم، ويكون الله معهم.



ان رمضان يذكر المسلمين بمصدر عزهم، ومبعث نصرهم، وبدء انتصاراتهم، في رمضان نزل أول ما نزل القرآن، والقرآن دستور هذه الأمة، ومصدر هدايتها ورحمتها، هو النور الذي نزل من الله الى عباده، ليخرجهم من الظلمات الى النور ومنذ ان بزغ الاشعاع على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حراء وفجر هذه الامة في تألق، وفي رمضان انتصر المسلمون اول انتصار لهم على قوى الشر والطغيان في وقعة (بدر) التي كسرت فيها شوكة المشركين، ونصر الله فيها جنده.

ان رمضان موسم عبادة، وموسم تعاون على البر والتقوى، وموسم ذكريات تثير في النفس اشجانا، تعلو بهمم المؤمنين وتجعلهم اكثر عزما على المثابرة والجهاد في سبيل الله.

وقد كانت مناسبة رمضان فيما مضى تؤثر هذا الأثر واكثر منه فما بال المسلمين اليوم لا يؤثر فيهم رمضان كما كان أسلافهم.

ان رمضان هو رمضان لم يتغير، وان هدى الله لا يزال ولن يزال محفوظا لدى المسلمين:

«انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون».

وان سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسيرة السلف الصالح لا تزال بين أيدينا.

فما الذي تغير اذن؟

ان الذي تغير – أيها الاخوة – هم المسلمون أنفسهم، ضعف الايمان لدى الكثير منهم، وابتعدوا عن سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في رمضان وفي غيره ومن هنا لم يعد لرمضان ذلك الأثر البليغ. لأن كثيرا من المسلمين تكاسلوا، وأسلموا انفسهم للدنيا وملذاتها واصبحت هي الغاية وبالتالي تغيرت طباع المسلمين.

وطريق العودة الصحيح: **ان تنهج الامة الاسلامية نهج الحق وتتابع رسولها – محمدا صلى الله عليه وسلم – في جميع أوقاتها، وبخاصة في رمضان،** يصوم الناس ويؤدون فرائضهم، ويبتعدون عن الكلام المحرم وعن الكسب المحرم، ويكثرون تلاوة كتاب الله واقامة الصلاة، وانفاق المال، والتعاون على الخير.

فالله الله ايها المسلمون: اغتنموا فرصة الشهر، وجددوا التوبة بصدق وعزيمة، فان الله يقبل التوبة، ولا تفرطوا في اعظم نعمة لديكم، نعمة الاسلام، ومنهجه الصالح، فان الشقاء كل الشقاء ما حل بالمسلمين جماعات وافرادا الا يوم ان اكتفوا من الاسلام باسمه، وتبعوا كل ناعق بالهوى والضلال.

نسأل الله ان يرد المسلمين الى دينهم ردا جميلا، وان يهيئ لهذه **الأمة** أمر رشد يعز فيه اهل الطاعة، ويذل فيه اهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، **وينهى** فيه عن المنكر، وتقام فيه حدود الله، ويسلك الناس طريق الحق المستقيم وتعود للمسلمين كلمتهم، فينشروا العدل والرحمة في البشرية الحائرة التي تتردى في مهاوي الضلال وتتصارع للفناء والهلاك – ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على نبينا محمد وسلم.

من مدينة كانت منارة علم

أديب .. وقاض .. ومعلم .. وهو اليوم وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في بلاده المغرب .. هذا البلد الذي ظل طوال

لقاء مع :

محمد أبا حنيني

وحوار عن الثقافة .. والأدب .. والكتاب

.. ما هي الوسائل التي تساعد الكتاب العربي على تجاوز المخاوف .. أو المشاكل التي تحد من انتشاره ؟

قليلون جدا – ان لم يكونوا ندرة – الذين لا يعرفون **الأستاذ الحاج محمد أبا حنيني** وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في المغرب الشقيق داخل بلاده.

فهو شخصية قريبة الى نفس كل مواطن مغربي .. ومتواجد في كل المناسبات التي تقام في بلاده .. كما أن له صداقاته في ارجاء الوطن العربي.

عمل في سلك القضاء .. وما زال قاضيا في المجلس الأعلى للقضاء في بلاده .. وهو أعلى مجلس للقضاء .. ويمثل محكمة النقض .. أو التمييز حسب اصطلاح المشارقة العرب.

دعاه **الملك محمد الخامس** والد **الملك الحسن الثاني (ملك المغرب اليوم)** لاعطاء دروس في اللغة العربية .. والأدب العربي بالمعهد **(المولوي)** في ذلك الوقت .. هذا المعهد الذي كان يتلقى فيه ولي العهد **(الملك الحسن الثاني)** وأخوه **الأمير عبدالله** دروسهما .. وهو يشعر بالسعادة لأنه أسهم في تعليمهما .. كما أسهم في تعليم الأميرتين **(لالا عائشة .. ولالا ملكة)** .. وكان ذلك في أصعب ظروف يمر بها المغرب أيام كان الاستعمار يحتل المغرب .. ومقاومة الملك محمد الخامس لهذا الاحتلال الأجنبي .. نفاه الاستعمار الى جنوب المغرب .. لكنه عاد اليها مع عودة الملك محمد الخامس من منفاه بعد استقلال المغرب فاسند إليه مهمة الأمانة العامة لأول حكومة مغربية مستقلة .. وكثرت مسؤولياته .. وتعددت المهام التي كلف بها **(للقارئ راجع تاريخ**

حقب التاريخ قلعة عربية اسلامية في وجه كل الغزوات .. والتيارات .. واستطاع ان يحافظ على عروبته .. وعلى عقيدته أمام كل التحديات العالمية .. وهو يخوض اليوم أهم معاركه مع الدول الشقيقة المجاورة في عملية التعريب.



حياته مع هذا اللقاء).

أستقبل بعثة مجلة «الفيصل» برحابة صدر .. وأعطى تعليماته للجهات المختصة في وزارته بتسهيل مهمتها العلمية فكانوا جميعا على مستوى المسؤولية.

وفي مكتبه بالوزارة أجري معه هذا الحوار السريع.

مشاكل الكتاب العربي

الكتاب العربي في المشرق والمغرب على السواء يعاني عدداً من المخانق .. أو المشاكل المختلفة التي تحد من انتشاره ليس في العالم .. بل في الوطن العربي .. وبين اقطاره – المتقاربة والمتباعدة .. هذه المشاكل أوجدت حاجزا من الجهل قاد الى بعد الصلات .. وعدم معرفة المثقف في المشرق العربي بالحركة الثقافية في المغرب العربي.

كانت هذه القضية هي بداية حوارنا مع الاستاذ **الحاج محمد أبا حنيني** وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في المغرب الشقيق .. وقد سألناه:

** هل هناك حلول معينة تتصورونها معاليكم (شخصيا) بصفتكم احد المفكرين في العالم العربي من ناحية .. (ورسميا) بحكم مركزكم

لقاء مع :
محمد أباحنيني



القيادي في وزارة الثقافة في المغرب العربي من ناحية أخرى؟

وكانت اجابة معاليه :

«يسرني قبل كل شئ ان ارحب أجمل ترحيب بمجلة «الفيصل» وأن أحييي أصدق تحية طلوعها القريب.

واني كمسؤول في الحكومة المغربية التي تصلها بحكومة المملكة العربية السعودية أمتن الصلات وأقواها، وكمثقف عربي يعتز بكل طريف يضاف الى التليد من أسباب التعريف والتثقيف لأتمنى لمجلة «الفيصل» التي تحمل اسم علم لامع من اعلام العرب والمسلمين، العمر المديد والنجاح المستمر الوطيد.

وبعد فقد كنت أود ان توجه اليّ بوصفي وزيرا للشؤون الثقافية في المغرب اسئلة تستوضح ما تقوم به الوزارة من عمل ثقافي في اطار المغرب وخارج هذا الاطار. فلو ان الاسئلة قصدت الى الحصول على اجوبة خاصة بما تم انجازه عندنا لحد الآن وبما تعتزم الوزارة انجازه في المستقبل لاطلعتك على الجهود المبذولة قصد التنظيم القانوني والاداري للوزارة وقصد الانطلاق من منطلق هذا التنظيم نحو تحقيق الاهداف المرسومة للعمل الثقافي في حدود المغرب وفيما وراء هذه الحدود.

ولكنني سأحاول جهد المستطاع تلبية الرغبة المعروضة في السؤال.

لا اعلم بصورة دقيقة وعلى وجه الاستيعاب ما يلاقيه الكتاب العربي من مشاكل في الاقطار العربية الا انني اعلم ان الكتاب المغربي لا يروج في البلاد العربية الشرقية على النحو المطلوب والعلة في ذلك ان كتابنا ومؤلفينا لا تتوافر لهم الآن وسائل ترويج الانتاج الثقافي المغربي في الاقطار الشقيقة، فلو اتيح لجميع مؤلفاتنا ان تطبع في الشرق العربي لتيسر انتشارها ولوقف اخواننا العرب على ما ينتجه المغاربة، يضاف الى هذا ان اشقاءنا المشارقة لا يكلفون انفسهم عناء البحث عما نصنفه من تصانيف ولا يتجشمون مشقة السعي وراء ما نسهم به في تشييد صرح الثقافة العربية، ويظهر ان من شأن اهتمام دور النشر بالمغرب – وهي دور خاصة – بترويج الانتاج المغربي في نطاق المغرب وفي غير هذا النطاق، واهتمام الباحثين والدارسين المشارقة بهذاالانتاج، ان يفضيا متئازرين الى الغاية المقصودة».



وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في المغرب

* من مواليد مدينة فاس ١٩١٤
* ليسانس حقوق .. وليسانس الادب العربي
* يجيد اللغة الفرنسية
* قاض في المجلس الاعلى للقضاء في وطنه.
* عمل في التدريس
* عمل مديرا عاما للديوان الملكي ايام الملك محمد الخامس
* بعد الاستقلال تولى رئاسة الامانة العامة لاول حكومة مغربية مستقلة .. ثم عين وزيرا للعدل الى جانب الامانة العامة .. ثم عين وزيرا للشؤون الادارية وللدفاع الوطني .. ثم لوزارة العدل مرة ثانية .. وفيما بعد عين وزيرا للدولة بدون اختصاص معين .. واخيرا هو الآن وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية.
* خلال هذه الاعمال .. قام بعمل نائب الوزير الاول.
* نشرت له مجموعة من المقالات في الادب .. والنقد بصفة خاصة الى جانب كتابة تراجم لبعض عظماء المسلمين.



تنسيق ثقافي عربي

** من حين لآخر ترتفع اصوات تدعو الى ايجاد تنسيق ثقافي عربي .. او وجه من وجوه هذا التنسيق يخدم ثقافتنا العربية .. ثم تصمت هذه الاصوات لتعود مرة اخرى الى هذه الدعوة.

عن هذه النقطة اجاب الوزير المغربي من خلال تصورات معاليه كمسؤول قائلا:

«اننا بحكم عضويتنا في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبحكم ما نحرص عليه من اسهام في جميع الملتقيات العربية وبحكم ما يربطنا بالأقطار العربية من روابط المعاهدات الثقافية نعمل بكل ما في وسعنا على ان يتسم العمل الثقافي العربي بسمة الاتساق ويتصف بصفة الانسجام، ولا اشك في ان جهودا منظمة هادفة سارية على خط مستقيم من القصد والعقل والجد، خليقة بأن نظر اليها بعين التقدير والاكبار».

التحديات .. العالمية

وحين سألنا معاليه فيما اذا كان المفكر العربي قد استطاع ان يقوم بدوره كاملا في مواجهة التحديات العالمية التي تقف في وجه الوطن العربي اجاب:

«اذا انت استعرضت التحديات العالمية وبعبارة ادق التحديات الغربية وجدتها اصنافا متعددة لا يسهل على امة مثل امتنا تتناول الظلماء بالتبديد وتلتمس طريق السلامة وتحاول بلوغ السؤدد والمجد ان تغالبها وتفوز في ظرف من الزمن قصير بالفلج والغلبة في جميع الميادين ولا مراء في ان الفكر العربي واعني بالفكر العربي سائر ما وهبت الامة العربية من طاقة عقلية وقوة نفسية واصرار على استخدام المواهب والكفايات، يقصد الى تدارك النقص واللحاق بالركب ومنافسة المجلين ومباراة السابقين، ان الفكر العربي بهذا المفهوم اخذ يتحرك وطفق هنا وهناك بعد الوعي والادراك يوالي الخطوات التي تنشأ عنها الاجيال المتحررة من الرواسب تحررا عميقا وشاملا، على ان اوجب ما علينا هو ان نفحص اسباب النقص فحصا شديدا وبليغا ونعالج انفسنا من بعض الادواء الكامنة في طواياها ونخلص ضمائرنا من الشوائب والاكدار التي يتخذها خصومنا اداة لتوهين عزائمنا، فاننا ان امعنا في استقراء اسباب الضعف بنزاهة وتصدينا لعوامل التوهين بتقويض حازم واستئصال جاد، قاطعون ولا شك للمراحل الضرورية وبالغون لا محالة الشأو الذي تهواه القلوب السليمة».

الادب العالمي

كثيرة هي الاحاديث التي تناولت قضية الادب العالمي .. وماهيته .. وكثيرة هي المواصفات التي وضعها الكتاب لمفهوم العالمية في الادب بحيث اصبحت هذه القضية واحدة من القضايا التي تثار من حين لآخر.

عن هذه القضية سألنا الاستاذ ابا حنيني .. هل هناك مواصفات لما يمكن ان يسمى بالادب العالمي ؟ .. وهل صحيح ما يردده البعض من ان الادب العربي مازال ادبا

.. الى أي حد استطاع المفكر العربي القيام بدوره في مواجهة التحديات العالمية ؟

لقاء مع :
محمد أبا حنيني



..هل في الإمكان إيجاد تنسيق ثقافي عربي ؟

القبول .. والرفض .. فقد تناول الحديث مع معالي وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية الاستاذ **الحاج محمد أبا حنيني** عنه من زاوية معينة .. وهي كيفية احياء .. واعادة صياغته بشكل معاصر من منظوره الخاص.

قال معاليه:

«المهم فيما يتصل بالتراث العربي هو احياؤه، اما اعادة صياغته بشكل معاصر فاني اتوجس منها خيفة فقد تؤدي الى مسخ وتشويه لا نرضاهما لتراثنا. واحرص ما يجب ان نحرص عليه ان تتكتل جهود الامة العربية لجعل تراثنا في متناول القراء والباحثين والدارسين، على ان جهود العلماء العرب المنتشرين في الاقطار العربية قد يسر الله لها ان تضع في ايدي اولئك وهؤلاء من العرب وغيرهم جملة صالحة من ذخائر التراث العربي، وما دام احياء هذا التراث امرا ضروريا فاني لا استصعب تنظيمه في كل قطر عربي باتصال مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم».

محليا لما يقوى بعد على الاجتياز والوصول الى مرحلة العالمية ؟

«ان الادب العالمي هو فيما اعتقد الادب الصالح لكل امة ولكل زمان، وهو الادب الذي يقرؤه العربي وغير العربي فيجد فيه كل قارئ كيفما تقلبت به الاحوال وحيثما وجد من مكان او زمان، التعبير الصادق عما يلازم الطبيعة البشرية والجبلة الانسانية على اختلاف العصور والاجناس من مشاعر ثابتة واحساسات دائمة ولا جدال في ان آدابنا العربية القديمة آداب يكثر فيها الادب العالمي، ويكفي ان نتصفح فصولا من النثر العربي او دواوين من شعرنا لنتبين صدق هذا الرأي، واذا كان ادبنا المعاصر تتسم بعض اثاره بالسمة المحلية فقد ظهرت منذ نهضتنا في الشعر بصورة خاصة محاولات تريد ان تتجاوز النطاق المحلي الى ما وراء ذلك من ساحات عالمية».

صياغة التراث العربي

اما التراث .. وهو يمثل اهم قضايانا الفكرية المعاصرة قبولا موضوعيا .. ورفضا سلبيا .. ووسطا بين



من كتب التراث

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام

بقلم: د. عبدالله عقيل عنقاوي

شع نور الاسلام في مكة المكرمة، وانطلق الرسول الكريم محمد بن عبدالله يدعو قومه الى توحيد الله، ونبذ عبادة الأوثان، وبدلا من أن تستجيب قريش لدعوته صلى الله عليه وسلم تضافرت – في عدائها – للدعوة الجديدة ومحاولة القضاء

"ان كتاب شفاء الغرام .. لا يعد مصدرًا للتاريخ السياسي لمكة فحسب بل يعتبر موسوعة تشتمل على التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني لمكة المكرمة خلال فترة هامة من تاريخها"

عليها. **فهاجر الرسول الكريم الى المدينة المنورة. وفي رحاب المدينة وبين أنصاره الجدد من الأوس والخزرج استقر رسول الله (صلعم) وصحابته من المهاجرين.** وفي غضون سنوات قليلة، وبعد ان تم فتح مكة، استجابت كافة أنحاء الجزيرة العربية لدعوته صلى الله عليه وسلم فانضوت تحت لواء الإسلام وآمنت برسالة محمد بن عبدالله. وبعد حياة عامرة بالكفاح ضد الجهالة والوثنية والدعوة لدين التوحيد انتقل الرسول الكريم الى الرفيق الأعلى. وسارع المهاجرون والأنصار الى اختيار خليفة يخلف الرسول **(صلعم)** في قيادة الجماعة الاسلامية فاختير **ابو بكر الصديق** ليحتل هذا المركز الجديد. وهكذا قامت الخلافة الاسلامية. وتبوأت المدينة مكانتها السياسية الى جانب مكانتها الدينية، فأصبحت عاصمة لخلافة لم تلبث ان اتسعت حدودها حتى شملت أراضي الدولة الساسانية الى جانب مساحات شاسعة من القسم الشرقي من الامبراطورية البيزنطية.

على انه على الرغم مما بذله الخلفاء الثلاثة الأولون من جهد مشكور في نشر الدعوة الإسلامية وفي فتح الأراضي الخاضعة لنفوذ الفرس والروم، فلم تلبث الدولة الإسلامية ان تعرضت لهزة عنيفة أدت الى تطورات خطيرة في أوضاعها السياسية. فعندما اندلعت الفتنة في الأمصار على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه واتجه المتمردون الى المدينة المنورة لمجابهة الخليفة وانتزاعه من منصبه. كانت تلك الحركة هي بداية النهاية للمركز السياسي للمدينة بصفة خاصة والجزيرة العربية بصفة عامة. فقد نتج عن مقتل **الخليفة عثمان** رضي الله عنه وما تلا ذلك من تطورات اثر اعتلاء علي كرم الله وجهه كرسي الخلافة، انتقال مركز الخلافة من **المدينة المنورة الى الكوفة ثم الى دمشق.** وهكذا فقدت الجزيرة العربية مركزها السياسي وانتقلت من قاعدة للخلافة الى ولايات متفرقة تابعة للخلافة في دمشق على عهد الامويين ثم في بغداد في العهد العباسي.

على ان هذه التطورات وان تركت آثارها على مركز الجزيرة العربية السياسي والاقتصادي ايضا فلم تكن لتؤثر على مركز كل من مكة والمدينة الديني فقد ظلت مكة تضم الكعبة المشرفة قبلة المسلمين. كما تضم داخل حدودها وفي اطرافها مشاعر الحج وهو الركن الخامس من أركان الاسلام. كما ظلت المدينة تضم المسجد الثاني الذي تشد اليه الرحال كما تضم مثوى الرسول الكريم محمد بن عبدالله.

هذه التطورات في الاوضاع الدينية والسياسية في الجزيرة العربية وما تمخض عنها من نتائج، تفسر لنا في واقع الامر — طبيعة العلاقات التي قامت بين الجزيرة العربية من جهة، والخلافة الاموية ثم العباسية من جهة أخرى كما تقودنا الى بعض الحقائق التي تتعلق بمصادر تاريخ الجزيرة العربية في صدر الاسلام والعصر الاسلامي الوسيط. ففي الوقت الذي حرص فيه الامويون ثم العباسيون ثم سلاطين المماليك على بسط سيادتهم على مكة والمدينة، اتسمت علاقاتهم ببقية انحاء الجزيرة العربية بالفتور، ولم تكن سيادتهم على تلك الاقاليم في معظم الاحيان الا اسمية. كذلك فانه في الوقت الذي حرصت فيه جميع مصادر التاريخ الاسلامي تقريبا على الاسهاب في تاريخ الجزيرة العربية في عهد الرسول (صلعم) وعصر خلفائه الراشدين، نجد هذا الاهتمام يتضاءل بصورة بارزة في كتاباتهم عن الجزيرة العربية في العصر

الاسلامي الوسيط. وحيث لم تتأثر مكانة مكة والمدينة الدينية بالتطورات السياسية التي مرت بها الجزيرة العربية فقد حظيت كل منهما بالحظ الأوفر في النزر اليسير الذي أوردته مصادر التاريخ العام عن الجزيرة العربية في العصر الاسلامي الوسيط. في حين انزوت مناطق اخرى من الجزيرة في غياهب النسيان وشملها غموض تام.

فاذا ما نظرنا الى مكة المكرمة — بصفة خاصة — وهي موضوع كتاب مؤرخنا الفاسي — نجد انه الى جانب المادة التاريخية المتناثرة في مصادر التاريخ الاسلامي والتي يمكن ان تمدنا بمعلومات عن احوال مكة في العصر الاسلامي الوسيط فقد حظيت هذه المدينة المقدسة ببعض ابنائها ممن تصدوا لكتابة تاريخها. ومن اشهر هؤلاء، الأزرقي والفاكهي — وهما من رجال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ثم الفاسي «الذي كتابه موضوع بحثنا» .... فمن هو الفاسي!

سيرته الذاتية

الفاسي: هو **محمد بن احمد بن علي** وينتهي نسبه — كما أورده في كتابه العقد الثمين — الى **ادريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب.** ويلقب بتقي الدين الحسني، **الفاسي**، **المكي**، **المالكي**. فهو علوي النسب يلتقي مع امراء مكة في عصره في نسبهم الى الحسن بن **علي بن أبي طالب** — رضي الله عنه. وقد ترجم الفاسي لنفسه في كتابه **«العقد الثمين»** ترجمة مطولة تقع في ثلاثين صفحة. فذكر بأنه ولد سنة ٧٧٥هـ بمكة المكرمة. وتحدث عن نشأته ودراساته بكل من مكة والمدينة كما تحدث عن رحلاته في طلب العلم التي شملت مصر وبلاد الشام وفلسطين واليمن. وأسهب في ذكر شيوخه الذين تلقى على ايديهم علوم الحديث والفقه واللغة والتاريخ. وقال ما نصه «**وشيوخ صاحب هذه الترجمة كثيرون جدا. ولعلهم نحو خمسمائة شيخ بالسماع والاجازة**» وقد قرظ الفاسي معاصروه ومن بينهم **الحافظ بن حجر العسقلاني** الذي يقول عنه «**كان لطيف الذات حسن الاخلاق عارفا بالامور الدينية والدنيوية له غور ودهاء ومعرفة وتجربة وحسن عشرة وحلاوة لسان. ويخلب القلوب بحسن عبارته ولطيف شارته. ورافقني في السماع كثيرا بمصر والشام واليمن وغيرها وكنت اوده واعظمه واقوم معه في مهماته. ولقد ساءني موته واسفت على فقد مثله**»

ويقول عنه المؤرخ الناقد السخاوي بانه «**اعتنى باخبار بلده فاحيا معالمها واوضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم اعيانها. وكان اماما علامة فقيها حافظا للأسماء والكنى ذا معرفة تامة بالشيوخ والبلدان ويد طولى في الحديث والتاريخ والفقه واصوله يفيد البلاد الحجازية وعالمها**». كما يقول **المقريزي** بانه تردد اليه بمكة والقاهرة، وهو بحر علم وكنز فوائد».

شغل الفاسي منصب قضاء المالكية في مكة بتعيين من السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق، كما انيطت به وظيفة التدريس في المدرسة السلطانية الغياثية البنجالية التي أشادها بمكة السلطان المنصور غيات الدين ابي المظفر اعظم شاه سلطان البنجال سنة ٨١٣ وعين للتدريس فيها فقهاء على المذاهب الاربعة وهم قضاة مكة الاربعة، كما



شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام

باشر التدريس والفتوى في المسجد الحرام على ان الفاسي قد عرف لنا من خلال مؤلفاته التي تناولت عدة موضوعات. ومن بين هذه المؤلفات:

- **كتاب يشتمل على اربعين حديثا متباينة الاسناد والمتون.**
- **اختصار كتاب «حياة الحيوان» للشيخ كمال الدين الدميري.**
- **ارشاد ذوي الافهام الى تكميل كتاب الاعلام للحافظ الذهبي.**
- **ثلاثة مؤلفات في المناسك على مذهب الشافعي ومالك.**
- **العقد الثمين في تاريخ البلد الامين «٤ مجلدات».**
- **مختصر العقد الثمين المسمى: عجالة القرى للراغب في تاريخ ام القرى.**
- **شفاء الغرام باخبار البلد الحرام «جزءان» وهو موضوع بحثنا. وقد اختصر الفاسي كتابه هذا عدة مرات. فأتت المختصرات على النحو التالي:**

* مختصر شفاء الغرام المسمى «**تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام**».
* ثم مختصره: **تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام.**
* ثم مختصره: **هادي ذوي الافهام الى تاريخ البلد الحرام.**
* ثم مختصره: **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة.**

وسوف نقتصر في بحثنا هذا على كتاب شفاء الغرام ولن نتناول المختصرات حيث لم تتجاوز مواضيعها ما ورد في الاصل.

كتاب شفاء الغرام

يشير الفاسي في مقدمته لكتاب شفاء الغرام الى الباعث له على تأليف هذا الكتاب. فهو يرغب في تحقيق هدفين:

الأول:

ان يتلافى ما لمسه من عدم وجود مصادر تخصصت في تاريخ مكة منذ عهد الازرقي والفاكهي. وهما من رجال القرن الثالث الهجري. وحتى ايامه مما احدث فجوة في المعلومات عن هذا البلد الكريم. وعلى الرغم من محاولات الفاسي في سد هذه الفجوة فلا يزال الباحث في وقتنا الحاضر يواجه كثيرا من الجوانب الغامضة في تاريخ مكة في الفترة ما بين القرن الثالث. والثامن الهجريين.

الثاني:

ان الذي دفعه الى وضع هذا الكتاب هو رغبة الفاسي وشوقه الى تتبع اخبار بلده خلال الفترة التي تلت عهد الازرقي وحتى ايامه هو اذ يقول «**واني لأعجب من إهمال فضلاء مكة بعد الازرقي للتأليف على منوال تاريخه. ومن تركهم تأليفا لتاريخ مكة يحتوي على معرفة اعيانها من أهلها وغيرهم من ولاتها وائمتها وقضاتها وخطبائها وعلمائها ورواتها. كما صنع فضلاء غيرها من البلاد لبلادهم كتاريخ بغداد لخطيب البغدادي ومن بعده تاريخ دمشق لابن عساكر: وتاريخ مصر للقطب الحلبي وغير ذلك من تواريخ البلاد. وقد وفقني الله تعالى لجمع شئ من هذا المعنى حداني الى جمعه اني تشوقت كثيرا لمعرفة ذلك وتتبع ما ألفه الناس من التواريخ والطبقات والمعاجم والمشيخات ... الخ.**

كذلك يشير الفاسي في مقدمته لكتابه الى المصادر التي اعتمد عليها في جمع مادته والى طريقته في التأليف. يقول الفاسي بعد تدوينه للمواضيع التي تناولها الكتاب

«**فعرفت طرفا جيدا من ذلك كله بعضه من كتب التاريخ. وبعضه من رخام وأحجار وأخشاب مكتوب فيها ذلك ثابتة في الاماكن المشار اليها. وبعضه علمته من اخبار الثقات وبعضه شاهدته وعلق ذلك كله بذهني وقيدته في أوراق مفردة من غير ترتيب خيفة ذهاب ذلك بالنسيان .. ثم بدا لي أن اجمع ذلك مرتبا واضم اليه من تاريخ ابي الوليد الازرقي ما يلائمه من الامور التي اشرنا اليها لما في ذلك من كمال الفائدة. ففعلت ذلك .. وقد رأيت ان اذكر اسنادي في تاريخ الازرقي لكثرة المنقول منه في هذا الكتاب. واذا كان متصلا اليه بالاسناد فهو مما يستجاد**».

حداثة منهجه في كتابة التاريخ

هذا الاسلوب الذي اعتمده الفاسي في تأليفه لكتاب شفاء الغرام هو نفس الاسلوب الذي يلجأ اليه المؤرخ الباحث في عصرنا الحاضر. فهو يجمع مصادره أولا. ولا تقتصر هذه المصادر عادة على الكتب المدونة، بل تتعدى ذلك الى الآثار والنقوش والوثائق التي لها صلة بموضوع البحث. ومن هذه المصادر يدون الباحث معلوماته، وهذه الخطوة تمثل مرحلة جمع المادة. ثم تبدأ المرحلة التالية، وهي ترتيب المادة وتصنيفها وتحقيقها ونقدها. أما المرحلة الأخيرة، فهي عرض الموضوع بأسلوب جيد بليغ. ولا أرى الفاسي قد تجاوز هذه المراحل والتي تمثل في نظرنا المنهجية في التأليف، وننسبها الى العصر الحديث. ولنستكمل الصورة عن منهجية الفاسي نورد مثلا عن اهتمامه بالوثائق. يقول المؤلف في ص ٣٣٢ من كتاب شفاء الغرام عند حديثه عن رباط رامشت «**وظفرت بنسخة كتاب وقفه**» ويقول في حديثه عن رباط بالمروة وقد اوقف عليه حمام باجياد «**وقد ظفرت بكتاب وقف الحمام ثم ذهب مني**» اما لجوء المؤلف الى الاستنتاج للتدليل على رأيه فيتضح من المثال التالي: **فعندما أراد ان يترجم لرجال من كنانة في كتابه «العقد الثمين» الذي يعتبر كتاب تراجم لمشاهير وعلماء واعيان مكة فقط اراد ان يثبت اولا انتماء كنانة لمكة والذي يمكن ان يكون موضع شك في نظر البعض فقال: «فمن الاخبار الدالة على اشتراك قريش وكنانة في النزول ببادية مكة، قول ابن اسحق في السيرة .. لما ذكر ولاية غبشان من خزاعة للكعبة دون بني بكر بن عبد مناة**» وقريش اذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ووجه الدلالة من هذا الكلام: انه يقتضي ان قريشا كانوا نزولا مع قومهم من كنانة حين انفرد غبشان من خزاعة بولاية الكعبة، والمنازل التي كانت تنزل بها كنانة وقريش اذ ذاك خارج الحرم، وقد استطرد الفاسي في استنتاج الادلة التي تؤيد ما ذهب اليه، ويمكن الرجوع اليها في الصفحة ١٣ وما بعدها من كتاب «**العقد الثمين**». كذلك فقد اجتهد الفاسي في مقارنته للروايات التي تناولها كتابه ونقدها خصوصا تلك الروايات التي تتعلق باحداث سابقة لعهده. والامثلة على ذلك كثيرة ولا يتسع الوقت لذكرها، ويمكن الرجوع اليها في كتاب «شفاء الغرام».

استخدم الفاسي ثقافته الواسعة ومصادره التي تفوق حد الحصر في وضع كتاب في تاريخ مكة المكرمة فكانت النتيجة ان اخرج موسوعة لهذا البلد الكريم تشتمل على معلومات عنها من النواحي الدينية والثقافية والعمرانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى اوائل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. وقد سمى كتابه هذا «**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**» ورتب مواضيعه في اربعين بابا، كل باب منها يشتمل على عدة مواضيع، وسنتناول هنا بالدراسة بعض الابواب التي اشتمل عليها الكتاب.

مضامين ابواب الكتاب

في الباب الاول من الكتاب، تحدث الفاسي عن طبوغرافية مكة المكرمة في عهده، فأورد وصفا شاملا لمكة كما تحدث باسهاب عن الاسوار التي كانت تحيط بالمدينة وحالات الاصلاح والدمار التي اصابتها من جراء الصراع الاسري بين امراء مكة من الأشراف. كما اشار الى الامتداد العمراني الذي وقع لمكة منذ عهد الفاكهي اي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وحتى ايامه. وتتضح لنا معاناة الفاسي في كتابة هذا الباب اذا علمنا انه قام بذرع مكة من حدها الشمالي الى حدها الجنوبي والجنوبي الغربي.

وفي الباب الثامن من الكتاب، وصف الفاسي الكعبة المشرفة وصفا دقيقا. يقول «**وفي الكعبة الآن ثلاث دعائم من ساج على ثلاثة كراسي وفوقها ثلاثة كراسي. وعلى هذه الكراسي ثلاث جوائز من ساج ولها سقفان بينهما فرجة. وفي السقف اربعة روازن نافذة من السقف الاعلى الى السقف الاسفل للوضوء. وفي ركنها الشامي درجة من خشب يصعد منها الى سطحها. وعدد الدرج الذي فيها ثمان وثلاثون مرفاة وسقفها الاعلى مما يلي السماء مرخم برخام ابيض وطلي بنورة في سنة احدى وثمانين وسبعمائة بأمر امير يقال له «باشة» من امراء مصر .. ثم كشطت النورة في سنة احدى وثمانمائة بأمر الامير «بيسق»، ويطيف بسطحها افريز مبني بالحجارة على جدرها من جميع جوانبها يأتي تحرير ذرعه فيما بعد .. ويتصل بهذا الافريز**

اخشاب فيها حلق من حديد يربط بينها كسوة الكعبة وبابها من ظاهره مصفح بصفائح فضة مموهة بالذهب. وكذلك فياريز الباب وعتبته العليا مطلية بفضة زنتها على ما بلغني الف درهم وثمانمائة درهم وفيها مكتوب اسم مولانا الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر صاحب الديار المصرية واسم ابيه الملك الظاهر ....»

هذا الوصف الدقيق الممتع للكعبة المشرفة في بداية القرن التاسع الهجري والذي قدمه الفاسي في كتابه تزداد اهميته اذا تذكرنا ان البناء الحالي للكعبة هو من انشاء السلطان العثماني مراد الثاني. وقد تم انشاؤه في سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م. ولم يكتف الفاسي بالنتائج التي توصل اليها الازرقي وغيره في قياساتهم لمساحة الكعبة المشرفة. وأطوال اضلاعها وارتفاعها بل قام بنفسه بهذا المجهود ليتحرى الدقة في المعلومات التي يقدمها في كتابه. فذرع الكعبة من داخلها وخارجها وذرع سطحها. ولندلل على مدى الدقة التي تحراها الفاسي في عمله نذكر طرفا من قياساته. يقول: «**وسعة فتحة باب الدرجة الذي يصعد منه الى اعلى الكعبة من اسفله ذراع وقيراطان ومن اعلاه ذراع وثمن. وارتفاع الباب عن الارض ذراعان ونصف ذراع وسدس ذراع وثمن ذراع**».

ويستطرد الفاسي في حديثه عن الكعبة فيتحدث عن الهدايا التي كانت تقدم لها من قبل الخلفاء والسلاطين والاعيان. ومن امثلة هذه الهدايا: «**الشمسية**» التي ارسلها الخليفة جعفر المتوكل على الله لتعلق في وجه الكعبة في كل موسم. وكانت صناعتها من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد مع سلسلة تعلق بها. ومن بين الهدايا التي ذكرها الفاسي هدية السلطان ابي سعيد بن خذابندا (**خربندا**) ملك التتر وهي حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها الف مثقال وفي كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات وبينها ست قطع بلخش فاخر. وقد ارسلت من قبل سلطان المغول لتعلق على باب الكعبة سنة ٧١٨هـ فاعترض على تعليقها امير الحاج المصري واصر على ان يستشار في السماح بتعليقها السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون. وبعد محاولات يائسة من قبل مندوب السلطان ابي سعيد اذن له في تعليقها لفترة من الوقت ثم رفعتا واستولى عليها امير مكة «الشريف رميثة ابن ابي نمى». ولم يغفل الفاسي عن تدوين ما هو موجود بداخل الكعبة في أيامه يقول «**والذي في الكعبة الآن من المعاليق ستة عشر قنديلا منها ثلاثة فضة وواحد ذهب وواحد بلور واثنان نحاس والباقي زجاج حلبي وهو تسعة. وليس في الكعبة الآن شئ من حلقة الذهب والفضة التي كانت في اساطينها وجدرانها بسبب توالي الايدي عليها من الولاة وغيرهم**».

وينتقل الفاسي بعد هذا الى الحديث عن كسوة الكعبة فيسهب في تدوين تاريخها منذ ما قبل الاسلام وحتى أيامه. ثم يصف كسوة الكعبة في ايامه وصفا دقيقا. كما يصف الاحتفال الذي يصاحب نزع الكسوة القديمة ووضع الكسوة الجديدة على الكعبة. الى آخر المواضيع التي يشملها هذا الباب.

ويستطيع الباحث من دراسته لهذا الباب الى جانب الباب السابع والثلاثين والثامن والثلاثين (**وسنتعرض لهما فيما بعد**) ان يكون صورة واضحة عن الصراع الذي كان قائما للسيادة على مكة بين كل من الخلافة العباسية والدولة الفاطمية. ثم بين كل من سلاطين المماليك بمصر. والمغول بالعراق. وآل رسول باليمن. وفي الباب الثالث والعشرين من الكتاب تحدث الفاسي عن المدارس والاربطة والسقايات والبرك والآبار التي بمكة. ومن بين المدارس التي تحدث عنها المدرسة السلطانية الغياثية البنجالية. وقد وصفها الفاسي منذ ابتدئ في تأسيسها سنة ٨١٣ وحتى بدأ الدراسة فيها اول عام ٨١٤هـ. ولم يقتصر على وصف بناء المدرسة بل اشار الى ثمن الارض التي اقيمت عليها والاوقاف التي رصدت من أجلها. ومقدار مرتبات اساتذتها والمناهج التي درست فيها والاساليب التي اتبعت في التدريس. ومجمل القول فان هذا الباب يحتوي على معلومات قيمة عن النواحي الثقافية والاجتماعية والعمرانية لمكة في عصر المماليك.

أما التاريخ السياسي والاقتصادي لمكة المكرمة – وخصوصا في عصر المماليك فيمكن مطالعته في الابواب السابع والثلاثين والثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين.

ففي الباب السابع والثلاثين يتحدث الفاسي عن ولاة مكة منذ عهد الرسول (**صلعم**) وحتى أيامه. وفي الباب الذي يليه يسرد حوادث متفرقة تتعلق بمواسم الحج. وبدراسة هذين البابين يمكننا ان نخرج بصورة واضحة عن أوضاع مكة السياسية وعلاقاتها الخارجية. خاصة في عهد المماليك. الى جانب التعرف على دور امراء الحاج في تنفيذ سياسة الخلفاء والملوك في الحرمين الشريفين اي في مكة والمدينة. ولتوضيح هذا الدور نذكر طرفا مما ذكره الفاسي في حديثه عن سنة ٨١٢ يقول «**في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة كان بين بني حسن من اهل مكة وبين امير الحاج المصري مشاجرة عظيمة افضت الى قتل بعض الحجاج ونهبهم غير مرة. ولم يحج بسبب ذلك من أهل مكة الا اليسير. وسبب هذه الفتنة ان صاحب مصر الملك الناصر فرج انحرف على الشريف حسن بن عجلان نائب السلطنة ببلاد الحجاز فعزله عن ذلك وعزل ابنيه عن امرة مكة وأسر ذلك الى امير الحج المصري بيسق فاستعد للحرب واستصحب**

معه انواعا من السلاح والمكاحل والمدافع وغير ذلك. وروى بأن قصده بذلك الدخول الى اليمن. وبلغ الشريف حسن ذلك في عاشر ذي القعدة من السنة المذكورة فجمع اعراب مكة واهل الطائف وليه وغيرهم من عرب الشرق على ما كان معه من بني حسن من الاشراف والقواد وعبيد اخيه احمد بن عجلان واولادهم وعوام مكة. وكان من معه على ما بلغني ستة الآف نفر .. وكان يكره القتال مخافة ان يصيب الحجاج سوء من معرة الجيش. واشار بعض جماعته بأن يرسل الى امير الحاج من يعظم عليه امر الحرم واهله. وانه اذا كان قصده القتال فليتقدم الحجيج قبله بيوم او يتقدم هو قبلهم بيوم فيقع اللقاء. وبينما هم في الفكرة فيمن يؤدي هذه الرسالة الى امير الحاج اذ جاء الله بالفرج وازال عن الناس ما كان عندهم من الضيق والحرج. وذلك ان **الملك الناصر** بعث خادمه الخاص بخدمته **فيروز الساقي** الى مكة بخلع وتقاليد للسيد حسن المذكور وولديه بعودهم الى ولايتهم ومنع امير الحاج من التعرض لقتالهم .. الخ».

اما في الباب التاسع والثلاثين فيسجل الفاسي حوادث تتعلق بامطار مكة وسيولها واخبار الغلاء والرخص والاوبئة بها. وبدراسة هذا الباب يمكن ان نتعرف على انواع العملة التي كانت متداولة بمكة في العصر الاسلامي الوسيط وانواع الموازين والمكاييل واسعار المواد الغذائية. والاسباب التي كانت تؤدي الى ارتفاع الاسعار وانخفاضها. ومن امثلة ما ذكره الفاسي في هذا الباب ما أورده عن اسعار المواد الغذائية في سنة ٨١٩ يقول في حديثه عن هذه السنة «**كانت الغرارة الحنطة اللقيمية المليحة بخمسة افرينتيه والغرارة المابيه وهي نوع دنيْ من الحنطة بأربعة افرينتيه. وربع الغرارة الذرة بثلاثة افرينتيه. وبيعت في وادي مربافرينتيين وستة دنانير مسعودية. وصرف الافريتي خمسة عشر دينارا مسعودية بالوادي. والسمن** كل وقية بسبعة مسعودية ويستقيم المن بافرينتي وثلث ونحو ذلك. واللحم كل من ستة مسعودية والتمر كل من بدرهمين مسعوديتين. وكان صرف الافرينتي بمكة باربعة وخمسين مسعوديا وربما زاد قليلا ويقول في مكان آخر بعد ان اورد قائمة بأسعار بعض المواد «**وسبب هذا الغلاء مع المقدور قلة الغيث بمكة في سنة خمس عشرة وثمانمائة عما بعهد. ولم يصل الى مكة ما كان يصل اليها من الذرة من بلاد سواكن ومن اليمن لغلاء وقع فيها ولاسيما بسواكن. فسبب الغلاء فيها اكل الجراد لزرع بلاد الداع التي يحمل منها الذرة الى سواكن .. الخ**» الى غير ذلك من الامثلة التي يضيق المقام عن تقديمها والتي تعطي في مجموعها صورة حية عن أوضاع مكة الاقتصادية في عصر المؤلف بل وفي العصور التي سبقت عهده.

والآن وبعد ان قدمنا نماذج من المواضيع التي تناولها الفاسي في كتابه «**شفاء الغرام**» يجدر بنا أن نتساءل: **ما مدى أهمية هذا الكتاب كمصدر من مصادر تاريخ الجزيرة العربية؟ وما هي مكانة الفاسي بين مؤرخي الجزيرة؟**

ولنجيب على السؤال الاول نعود فنؤكد بان كتاب «شفاء الغرام» لا يعد مصدرا للتاريخ السياسي لمكة فحسب. كما هي الحال مع معظم مصادر التاريخ الاسلامي التي تقتصر عادة على تناول الاحداث السياسية. بل ان الكتاب بأبوابه «**الاربعين**» يعتبر موسوعة تشتمل على التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني لمكة المكرمة خلال فترة هامة من تاريخها وهي الفترة التي خضعت فيها الحجاز خضوعا مباشراً لنفوذ سلاطين المماليك في مصر. ولقد تأكدت في عهد الفاسي أهمية السيطرة على الحجاز بظهور العامل الاقتصادي الى جانب الدافع الديني الذي ما زال حتى ذلك الوقت يشكل الدافع الوحيد للسيطرة على الحرمين. ويرجع السبب في ذلك الى ما حدث خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عندما احتل ميناء جدة مكانة ميناء عدن فاصبح الميناء الرئيسي الذي يستقبل كل عام السفن المحملة ببضائع الهند ومن اهمها التوابل والفلفل حيث تفرغ بضاعتها فيتنافس على شرائها التجار المحليون الى جانب التجار القادمين من مختلف الاقطار. ومن ثم تحمل الى اسواق مصر والشام لتوزيعها أو شحنها الى اسواق اوروبا. وحيث أثارت تلك التجارة المربحة اطماع سلاطين المماليك فقد حاولوا احتكارها مما أدى بهم الى تشديد قبضتهم على الحجاز عموما.

اما مكانة الفاسي بين مؤرخي الجزيرة فلن اكون مبالغا – ايها السادة – لو اقترحت عليكم بأن يلقب «**شيخ مؤرخي الجزيرة في العصر الاسلامي الوسيط**» اذ هو اغزرهم انتاجا واقومهم منهجية واوسعهم علما. وقد استفاد جميع من اتى بعده من مؤرخي مكة من كتبه امثال **بن فهد القرشي وقطب الدين النهروالي وابن ظهيرة** وغيرهم.

وقد طبع كتاب «**شفاء الغرام**» طبعتين. الاولى وهي عبارة عن منتخبات من الكتاب. وطبعت في ليدن سنة ١٨٥٩م اما الطبعة الثانية فقد ظهرت في القاهرة سنة ١٩٥٦ وشملت جميع مواضيع الكتاب. وكانت على نفقة المرحوم **الشيخ محمد سرور الصبان**. وارجو ان يقيض الله من يقوم بتحقيق هذا السفر القيم ووضع فهارس له واعادة طباعته.



د. احمد ذباب

حركة الاستشراق مالها؟.. وماعليها؟

اشترك في الندوة: ○ د. عباس جراري - المغرب ○ د. أحمد ابراهيم دياب - السودان ○ د. عبد الرحمن زكي - ج.م.ع

الاستشراق حركة علمية وثقافية على جانب كبير من الخطورة والخطر. الخطورة بالنسبة لما لها من أهمية في إثارة اهتمام العلماء والمؤرخين الغربيين بتاريخ وتراث العرب المسلمين. وادخال مناهج البحث العلمي في تحقيق تراثنا، ومراجعة تاريخنا، وتقييم مأثورنا الفكري والادبي والفني في ضوء معطيات البحث الأكاديمي الحديث.

والخطر بالنسبة لما عليها من مآخذ لصدورها في بعض الأحيان، ولدى بعض المستشرقين، اما عن سوء فهم لتراثنا العربي الإسلامي، وعبقرية اللغة العربية في تعبيرها عن هذا التراث، او عن سوء قصد للنيل من هذا التراث. والانتقاص من هذه العبقرية.

وذلك كله تمهيدا وتأكيدا للحضارة الغربية في السيطرة على مقدرات الشعوب الأخرى بحجة ان هذه الشعوب قاصرة في ميادين الابتكار والابتداع، وبخاصة في ميادين الفكر والعلم والفن والادب. وان قصورها هذا لا يرجع لأسباب عارضة او عابرة، تزول بزوال هذه الاسباب ولكنه القصور الكامن في طبيعة هذه الشعوب. الداخل في بنية تركيبها النفسي. وتكوينها العقلي. ولما كانت الشعوب العربية هي أعلى ما وصل اليه



د. عبدالرحمن زكي

د. عباس الجراري

○ د. مصطفى لطفي بيلجا - تركيا ○ د. عبدالجليل التميمي - تونس ○ د. رشيد بورويبة - الجزائر

الجنس السامي. كانت هذه الشعوب بالتالي هي هدف الجنس (الآرى) صاحب هذه الحضارة البيضاء.

ومن هنا. لا من هناك. ولا من اي مكان آخر. كانت حركة الاستشراق في أحد جانبيها حركة على جانب كبير من الخطر. لما تنطوى عليه من غزو ثقافي يستهدف التمهيد للغزو الاستعماري من ناحية وتأكيد أصالة العنصر الآرى على حساب العنصر السامي من ناحية أخرى. فضلا عما تشيعه حركة [illegible] من مفاهيم عنصرية لم يعد

هكذا بدأت حركة الاستشراق. على الأقل. على يدي المفكر الفرنسي (رينان) وعلى يدي زميله العالم الفرنسي (جوبينو). الأول من خلال اهتمامه باللغات المقارنة. والآخر من خلال اهتمامه بعلم الاجناس. وكلاهما كان من فرنسا. أولى البلاد الاوربية الساعية الى الاستعمار في مطلع القرن التاسع عشر. ومن ورائها انجلترا. ثم المانيا. ثم العديد من دول الحضارة الغربية.

أما وقد تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال. وأثبت البحث

الأنثروبولوجية والإثنولوجية الحديثة، سذاجة التفسير بطبائع الأشياء بمعنى ان تكون بعض الأجناس عبقرية بطبيعتها، والأخرى عاطلة من العبقرية بحكم الطبيعة، كما اثبتت علوم اللغات المقارنة الحديثة، أن العبقرية قدر مشترك بين جميع الحضارات، فكل حضارة ابدعت ونقلت وكانت لها سمة تميزها بين الحضارات الأخرى. ولم توجد قط حضارة تفردت بالعطاء دون الأخذ، أو بالابتداع دون الاتباع، بل لم توجد قط حضارة على ظهر الأرض، كان جميع علمائها من عنصر محض خالص ينتمون اليه ولا يمتزجون بالعناصر الأخرى.

أما وقد أثبتت العلوم الحديثة هذا كله، واثبتت بالتالي أن العبقرية والأصالة ليست حكرا على جنس دون جنس أو على أمة دون أمة، وانما هي مشاع لكل الأجناس وكل الأمم دونما الغاء لمزايا الأجناس وخصائص الشعوب. وانما هي ظروف حضارية وتاريخية هي التي تساعد على النمو والازدهار في جانب وان حجبتها في جانب آخر. وهي ظروف عارضة وعابرة. قد تعرض لأمة من الأمم فتعوقها عن الابتكار والازدهار. وقد تعرض عن أمة أخرى فتدفعها في طريق النمو والتنمية حتى تحقق لنفسها وللآخرين كل معاني الأصالة والعبقرية.

لهذا كله ولكثير غيره، بات من الضروري إعادة النظر في قضية الاستشراق. وطرحها في ضوء مكتسباتنا المعنوية والمادية الجديدة. طرحا يتوخى الانصاف الموضوعي لحركة الاستشراق.. مالها.. وما عليها؟. ماذا نأخذ منها وماذا ندع؟ وما الذي نفعله بكتب وكتابات المستشرقين. هل نقذف بالسلبي منها الى النار. أم نطالعه في نور الوعي. الوعي بتراثنا الأصيل. وثقافتنا المعاصرة؟ واذا كانت مجلة «الفيصل» قد تصدت في هذا العدد. لعقد هذه الندوة التي تطرح فيها قضية الاستشراق طرحا موضوعيا جديدا متوخية في اعضائها من الباحثين والمتخصصين روح الانصاف والأمانة العلمية. حتى لا يصدروا في اجاباتهم عن شعور بالثأر، او يصدوا عن القضية برمتها عن شعور بالنقص. فإنها تأمل من خلال طرح هذه القضية ان ينتهي الطرح الى الكشف عن الحقيقة الموضوعية، واظهار وجه الحق.

بين الكشف والتاريخ

في طليعة من التقينا بهم من علمائنا ونقادنا المتخصصين، **الدكتور عباس جراري من المغرب**، وهو من الأساتذة الفضلاء الذين لهم رأيهم في موضوع الاستشراق، وكان من رأيه أن حركة الاستشراق قد اغنت بالفعل، التراث العربي الاسلامي، ولفتت النظر إلى بعض جوانبه، وأبرزت من عناية الباحثين الغربيين بهذا التراث. وقد تجلت هذه العناية من وجهة نظره في ثلاثة مظاهر:

احدهما، العثور على عدد غير قليل من المخطوطات، والقيام بإخراجها ونشرها، **والآخر** كتابة مجموعة كبيرة من الأبحاث والدراسات في مختلف نواحي التراث، أما **الأخير فهو** تدوين عدد من الرحلات في بلدان العرب والمسلمين.

ويتناول **الدكتور عباس جراري** كل مظهر من هذه المظاهر الثلاثة، فيتكلم عنه بمزيد من التفصيل، أما عن **المظهر الأول** فيقول:

«بالنسبة لنشر المخطوطات، قام المستشرقون بعمل جليل حقا، لأنهم عثروا على العديد من النفائس التي كانت دفينة في مكتبات نائية خارج الوطن العربي الإسلامي، وكذلك في خزائن الكتب الوطنية التي حال الاستعمار دون أن تقع في ايدي العرب والمسلمين. ومع ذلك فقد بقيت هذه العملية محصورة في الاخراج دون التحقيق. **والفرق بينهما واضح وأبسط مظاهره أن الاخراج لا يتوقف الا على مقابلة النسخ، أما التحقيق فيحتاج الى فهم النص وتذوقه، والقدرة على شرح غوامضه والتعليق عليه.** وهو ما لم يكن في مقدور المستشرقين أن يتذوقوا النص العربي، ويدركوا أبعاده، خاصة اذا علمنا أن لغتنا العربية لغة ذوقية.»

وأما عن **المظهر الثاني**، والخاص بإنجاز المستشرقين لعدد من الابحاث والدراسات في مختلف نواحي التراث العربي الإسلامي، فيقول الدكتور عباس جراري:

«الواقع أن الأمر فيما يتعلق بما كتبوه من دراسات. وما دونوه من رحلات، يحتاج إلى قدر كبير من الحيطة والحذر، لأن أكثر هذه الانجازات لم يكن يتسم بصفة الموضوعية. فالنزعات الصليبية والاستعمارية والعنصرية عملت على تشويه العديد مما قدمه المستشرقون، وبعدت به عن الموضوعية التي يجب ان تتوافر في كل بحث علمي».

«الواقع ان الامر فيما يتعلق بما كتبوه من دراسات، وما

دونوه من رحلات، يحتاج الى قدر كبير من الحيطة والحذر، لان اكثر هذه الانجازات لم يكن يتسم بصفة الموضوعية، فالنزعات الصليبية والاستعمارية والعنصرية عملت على تشويه العديد مما قدمه المستشرقون، وبعدت به عن الموضوعية التي يجب ان تتوافر في كل بحث علمي».

واخيرا يقول باحثنا المغربي عن **المظهر الثالث** والخاص بتدوين المستشرقين للرحلات، «اننا لا نعرف تماما في تدوينهم للرحلات، ما اذا كان هدفهم علميا صرفا، ام مشوبا ببعض الاغراض غير العلمية، ويستطيع القارئ حتى من الوهلة الاولى ان يدرك ما تكنه طوية هذا المستشرق او ذاك من خلال تدوينه لهذه الرحلة او تلك».

ويعقب الدكتور عباس جراري على تفنيده لهذه المظاهر الثلاثة، بقوله «اننا اليوم، وبعد ان اصبحت امورنا بأيدينا، وتيسرت لنا وسائل الاتصال بالخزائن والمكتبات في كل مكان، وبعد ان اخذنا بمناهج البحث العلمي الحديث في مختلف بحوثنا ودراساتنا، اصبح من حقنا بل من واجبنا، ان نعيد النظر فيما كتبه المستشرقون، لا من اجل تقييمه وتقويمه فحسب، ولكن لكي نتناول نفس الموضوعات التي سبق لهم ان تناولوها بالمنهج العلمي وبما ينسجم مع حقائق امتنا، وواقع مسيرتنا التاريخية.

وتبقى بعد ذلك المستشرقين مادة يمكننا ان نفيد منها، باعتبارها تشكل وجهة نظر اجنبية في تراثنا العربي الاسلامي، وهي مادة نستطيع ان نستأنس بها في الفهم والتحليل دون ان نعتمد عليها اعتمادا اعمى، ودون ان نقلدها تقليدا كاملا.

اعادة كتابة التاريخ

اما **الدكتور احمد ابراهيم دياب من السودان**، فيدلي برأيه الشخصي في حركة الاستشراق، فيقول:
«انا شخصيا لا ارحب بآراء المستشرقين، وما اندر من كان منهم غير منحاز او متحيز، لذلك فأنا ادعو الى اعادة كتابة التاريخ، واعني بالتاريخ، تاريخ هؤلاء المستشرقين، من خلال ما كتبوه عن تراثنا العربي الاسلامي، فهم قد جاؤا بأفكار مسبقة قبل ان يطلعوا على تاريخ المسلمين، وطبقوا هذه الافكار بشكل لا يخلو من التعسف والتعنت، فضلا عن انهم لم يعايشوا ما كتبوه عن العرب والمسلمين، ولم ينتموا اليه انتماء وجدانيا، لذلك غابت عنهم الحقيقة ووقفوا عند ظواهر الاشياء».

ويستطرد الدكتور احمد ابراهيم دياب في حملته على المستشرقين، فيقول:
«**التاريخ مشاركة قبل كل شيء**، ولما كان المستشرقون يصدرون عن افكار وآراء عقائدية من شأنها تشويه وجه التاريخ العربي الاسلامي، وتقديمه بصورة بعيدة عن جادة الصواب وصحيح ان المستشرقين كشفوا عن اشياء فاتت المؤرخين المسلمين، ولكن الصحيح ايضا ان الكشف شيء، والتاريخ شيء آخر.

وربما ساعدنا الكشف عن الحقائق في كتابة تاريخنا كتابة سليمة من الخطأ، قريبة من الصواب ان لم تكن هي عين الصواب، ولكن ذلك يقتضي منا ان نحذر كل الحذر، ونحتاط كل الحيطة ونحن نتعامل مع المادة التاريخية التي يقدمها لنا المستشرق المؤرخ، او المؤرخون من المستشرقين».

اما عن الدعوة التي يدعو اليها الدكتور احمد ابراهيم دياب بشأن اعادة كتابة التاريخ فهو يرى ان تقام لها ندوة وان تلتزم هذه الندوة بمجموعة من الضوابط والروابط تحاشيا للوقوع في اية منزلقات، وفي رأيه ان العمل الجماعي افضل بكثير من المجهود الفردي، وهذا معناه تشغيل لجان متخصصة تتكامل فيما بينها من اجل الوصول الى الكمال، او الاقتراب منه بقدر الامكان. وهنا يجيء دور «**منظمة اليونسكو العربية**» في تقديم العون كل العون لانجاز مثل هذا العمل الهام.

سرقوا المخطوطات النادرة

ومن **جمهورية مصر العربية**، يجيء **الدكتور عبدالرحمن زكي**، الاستاذ بكلية الآثار بجامعة القاهرة ليبدي رأيه في هذه القضية من خلال تخصصه في مادتي الآثار الاسلامية، والتاريخ الاسلامي، يقول **الدكتور عبدالرحمن زكي** «ان جامعة الدول العربية خطت خطوة فسيحة في جمع المخطوطات، بمختلف الوانها وشتى صنوفها، ولكن هذا وحده لا يكفي، وانما الواجب هو تشكيل لجنة موسعة تكون مهمتها اختيار ابدع واروع ما في تراثنا العربي والاسلامي ثم العمل على تحقيقه ونشره على المساحة العريضة من جمهور القراء».

ونسأل الدكتور عبدالرحمن زكي، وكيف يمكن التجهيز والاعداد لمثل هذا العمل من ناحية، ولمثل هذه اللجنة من ناحية اخرى، ويرد قائلا:
«هذا العمل في الواقع يتطلب اعداد جهاز ضخم من الباحثين العارفين بفنون التحقيق والنشر، والاحاطة باللغة العربية، والالمام باللغات الاجنبية وكذلك التدريب على استخدام الاجهزة الحديثة فضلا عن تكوين جهاز تكون مهمته

هي كيفية حماية المخطوطات من التلف وهو ما سبقنا اليه الاوربيون.

ويستطرد الدكتور عبدالرحمن زكي قائلا:

«وهناك كذلك المنظمة العربية للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وهي تحاول انشاء مراكز لحفظ المخطوطات وصيانتها، كما تحاول ان تنشر التراث على الوجه الامثل، وهو الوجه المطلوب. اذا فالعمل الجماعي المتكامل والمتكاتف هو النمط المطلوب لدفع الازدواجية في تحقيق التراث، ثم العمل على تأسيس مطبعة كبرى تقوم على طبع ما يتم تحقيقه واعداده من كتب ومخطوطات التراث».

ونرجع الى قضية الاستشراق مرة اخرى فنسأل الدكتور عبدالرحمن زكي عن تقييمه العام لدور المستشرقين في حياتنا الثقافية، والى اي حد اساء ام افاد هذه الحياة، يقول آسفا:

«**حركة الاستشراق للاسف البالغ كانت تستهدف اكثر ما تستهدف دراسة الدين الاسلامي والحضارة العربية، لا الدراسة المقصودة لذاتها، وبصرف النظر عن اي اعتبار خارجي .. سياسي او عنصري، ولكنها الدراسة التي تحاول التعرف على خصائص الطبيعة العربية، على نحو يمكنهم كأوربيين وغربيين من التعامل مع هذا الجنس البشري من اجناس الشعوب.** هذا بالاضافة الى مخططهم الكبير في استلاب المخطوطات النادرة من كل بلدان الوطن العربي الاسلامي، ومن المتاحف والخزائن والمكتبات الوطنية، هذا كله في الوقت الذي كانت الامم العربية الاسلامية تعيش تحت وطأة الاستعمار، فلا تقوى على حماية نفسها فضلا عن حماية هذا التراث.

وهذا هو دور العرب المسلمين في عصرنا الحاضر، بعد ان حصلوا على حريتهم واستقلالهم واصبحت لهم شوكتهم، فليس لهم من عذر في استعادة تراثهم السليب، كما استعادوا حريتهم المغتصبة.

الغرضية في دور المستشرقين

والتقينا بالدكتور **مصطفى لطفي بيلجا، استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة استانبول بتركيا**، ودار معه هذا النقاش حول حركة الاستشراق ودور المستشرقين.

وكان قد حضر مؤتمر الارشاد والتبليغ الذي عقد بالمدينة المنورة ١٣٩٧ هـ والقى بحثا في هذا المؤتمر عن المستشرقين، وعن اهدافهم المعادية للاسلام، ويبدأ الدكتور مصطفى لطفي بيلجا كلامه عن الاستشراق فيقول:

علينا ان نعرف اولا ان مراكز المستشرقين في جامعات اوروبا، لم تفتح اعتباطا، وانما كان الهدف منها هو فهم الاسلام، **كعقيدة وشريعة**، وذلك لخدمة اهداف استعمارية فضلا عن تزييف تاريخنا الاسلامي، وتشويه علومنا الاسلامية».

واستوضح الدكتور مصطفى لطفي بيلجا رأيه في هذه الناحية من نواحي الاستشراق، وكيف يمكن ان يكون هذا الهدف محسوبا على الحقيقة العلمية، والموضوعية «**الاكاديمية**»، وهو ما يدعيه المستشرقون، فيرد قائلا:

«هؤلاء المستشرقون الذين كتبوا في التفسير، قالوا الكثير والكثير جدا ضد التفسير، والذين كتبوا عن الحديث ارادوا ان يثيروا الشبهات حول رواية الاحاديث مثل **(جولدزيهر)** و**(شاخت)** وغيرهما.

«هذا بعينه هو ما حدث في ميادين التاريخ الاسلامي والفقه الاسلامي، فهم قد كتبوا في هذين الميدانين، وغايتهم القاء الشبهات في عقول المسلمين، وتقديم الاسلام الى الغرب بالصورة التي لا تشجع الغربيين على الدخول في الاسلام.

وهنا بادرنا على الفور بسؤال الدكتور مصطفى لطفي بيلجا، عن موقفنا الراهن من كتب المستشرقين وكتاباتهم، **ماذا ينبغي ان يكون موقفنا منهم الآن ؟، هل نعرض لكتبهم ام نعرض عنها ام نتعرض لها ام نعارضها ؟**، وكان جوابه:

«حسن، ماذا علينا ازاء المستشرقين اذا صدر لاحدهم كتاب في العلوم الاسلامية او في تاريخ المسلمين، هذا بالفعل سؤال هام، **واجابته انه من الواجب علينا ان نتناول الكتاب بمنهج علمي وننتقده بأسلوب موضوعي، ونحن نقدم الكتاب مترجما الى القارئ العربي المسلم مع ابداء وجهة نظرنا في الكتاب من ناحية، ووجهة نظر العقيدة الاسلامية من ناحية اخرى، حتى لا يحدث الكتاب الاستشراقي ايه بلبلة في عقول القراء**».

هذا فيما يتعلق بالمستقبل، او فيما هو آت من كتب للمستشرقين، **ولكن ماذا عن الماضي، عما صدر لهم بالفعل من كتب ؟** واجاب الدكتور مصطفى لطفي قائلا:

«علينا ان نشكل لجنة تكون وظيفتها مراقبة وانتقاد واعادة تقييم آثار المستشرقين التي طبعت حتى اليوم، والتي ستطبع في المستقبل، على ان تتكون هذه اللجنة من باحثين متخصصين في مختلف العلوم الاسلامية. فاذا ما صدر كتاب لواحد من المستشرقين، عرض على اللجنة المقترحة هذه، حتى تقر مدى صلاحيته للترجمة والنشر.

«على الا يقتصر دور هذه اللجنة على ذلك فقط، بل عليها ايضا وبالاضافة ان تشير باعداد دراسات وابحاث من قبل العلماء المسلمين، تقف وجها لوجه امام دراسات المستشرقين وابحاثهم، حتى يكون تراثنا العربي الاسلامي في ايد امينة، تطمئن القارئ من ناحية، وتثري المكتبة الاسلامية من ناحية اخرى.

«وانا اذكر هنا على سبيل المثال «**دائرة المعارف الاسلامية**» فما اكثر المواد التي ترجمت منها الى لغتنا .. **العربية والتركية والفارسية** .. ترجمت عن الطبعتين الانجليزية والفرنسية، دون اي تمحيص او تفنيد لكثير من المزاعم الاستشراقية التي وردت في هذه المواد».

واستطرد الدكتور مصطفى بيلجا، قائلا:

«ولقد كتب في هذا الموضوع عدد من باحثينا الممتازين مثل **الدكتور عمر فروخ، والدكتور مصطفى السباعي**، اللذان طالما حذرا القارئ العربي المسلم من آثار المستشرقين، حتى لقد قال الدكتور مصطفى السباعي في كتابه عن «**الاستشراق والمستشرقون» انه زار كثيرا من مراكز الدراسات الشرقية في اوروبا، فوجد ان رؤساء هذه المراكز اما من القسس او من الرهبان فتساءل مندهشا، وماذا ننتظر من هؤلاء جميعا بالنسبة للاسلام ؟**

«بل اكثر من هذا اننا نجد من المستشرقين الغربيين من لا يجيد اللغة العربية ويحاول ان يقوم بترجمة القرآن الكريم، فكيف يمكننا ان نتصور هذا ؟ بل كيف نستطيع ان نثق في حركة الاستشراق، دون ان نتناولها بالكثير والكثير جدا من الحيطة والحذر».

القضية من وجه آخر

ونلتقي بالدكتور **عبدالجليل التميمي**، استاذ التاريخ الحديث **بجامعة تونس**، ونستعرض معه تاريخ حركة الاستشراق، واهم الانجازات التي قدمها المستشرقون، ورأيه في تقييم الحركة الاستشراقية بوجه عام، وكان ان بدأ **اجابته قائلا**:

«انا **انظر للقضية من وجه آخر**. فهؤلاء المستشرقون قاموا بواجبهم الوطني بالنسبة لبلادهم، في وقت لم نكن نستطيع فيه ان نواكب الحركة الفكرية في العالم من حولنا، ولا حركة المستشرقين انفسهم في الكشف عن كنوز تراثنا العربي الاسلامي. ومن ثم كان الطريق امامهم واسعا وممتدا لتحقيق اهدافهم ومراميهم البعيدة، في الوقت الذي كنا فيه بعيدين كل البعد عن ادراك هذه الاهداف، وفهم هذه المرامي».

وعدنا نسأل **الدكتور عبدالجليل التميمي**، والآن، كيف نواجه هذا الموقف برفضه ام قبوله، ام اعداد نوعية جديدة من الباحثين العرب والمسلمين للرد على مزاعم المستشرقين ؟

وكانت اجابته:

«اعتقد ان نوعية المؤرخين العرب التي نريدها لمجتمعاتنا، هي التي تحدد نوعية الاستفادة من اعمال هؤلاء المستشرقين، ونوعية المؤرخين العرب، كما اعتقد ان المستوى الذي نريده لهم هو الذي يعطي الابعاد الحقيقية لمواقفنا منهم، ومن كتبهم وكتاباتهم، فان كان لدينا حقيقة علماء بالمعنى الكامل لهذه الكلمة، فانا لا اخشى على مجتمعاتنا من كتاباتهم ولا من تفكيرهم، لان تفكير المستشرقين وكتاباتهم في هذه الحالة، يمكن ان يتبلور مع عمق دراساتنا، وجدية تفكيرنا، ومنهجية ابحاثنا».

وعدنا نسأل الدكتور التميمي، عما اذا كان هذا العمل في مقدور افراد بأعينهم، اما انه ينبغي ان تشارك فيه الهيئات العلمية والجمعيات الثقافية، حتى تحقق له نوعا من التكامل والشمولية، وكانت اجابته:

«هذه القضية بالفعل، واحدة من اهم القضايا التي يعاني منها مجتمعنا العربي الاسلامي، كما تعاني منها معاهدنا ويعاني منها كذلك باحثونا بوجه عام، واذا نحن اردنا بحق النجاح لمستقبلية الابحاث العربية الاسلامية، وجب علينا ان نقوم بعملية مسح شامل للمختصين والمتخصصين في موضوع التراث العربي الاسلامي، وان نصدر نشرة دورية تعكس اهتماماتهم ومشاغلهم بهذه الطريقة. او بمثل هذه الطريقة يمكننا ان نتحاشى الاخطاء الكثيرة التي لا تغتفر والتي تقع في ميدان التحقيق والنشر. والتي لم يعد هناك ما يبرر وقوعها اليوم وقد ساعدت الطائرات ووسائل المواصلات على اختصار الزمن وتقريب المسافات. وحبذا لو تم تنسيق العمل بين كافة المعاهد العلمية. وشمل توجيه الباحثين كافة ابعاد العملية التراثية مما يساعد في النهاية على تحقيق شمولية البحث في تراثنا العربي الاسلامي».

منظمة اليونسكو العربية

ومن **الجزائر**. التقينا بالدكتور **رشيد بوروبية**. استاذ تاريخ المغرب الاسلامي بجامعة الجزائر. والاستاذ بمدرسة الفنون الجميلة بالجزائر. وبدأنا بسؤاله عن قضية التراث من ناحية. وعن حركة الاستشراق من ناحية اخرى فقال:

«اننا نشاهد في بعض الاحيان صورة واضحة لعدم التنسيق في ميدان البحث العلمي وفي ميدان تحقيق المخطوطات

ونشرها، فكثيرا ما نرى باحثين اثنين يقومان بتحقيق مخطوطة واحدة، بينما تظل مخطوطات اخرى كثيرة في زوايا النسيان تنتظر من يذكرها او يتذكرها لكي ترى النور. ومرجع ذلك في رأيي هو ضعف العلاقات العلمية بين الجامعات العربية من ناحية ومراكز البحوث الاسلامية من ناحية اخرى. وهذا مما يقتضي بالسرعة وبضرورة البدأ فورا في تنسيق العمل في مختلف المجالات وفي شتى الاتجاهات».

وسألنا عن السبيل الى ذلك، كيف يمكن تنسيق مختلف المجالات في شتى الاتجاهات فكانت اجابته:

في تقديري ان الحل الامثل هو انشاء مركز للوثائق العربية، يكون مجهزا بأحدث الاجهزة العصرية، ويوضع في خدمة كافة الباحثين في قضايا التراث في الوطن العربي الاسلامي كله. ويمكن ان يكون هذا المركز تابعا لمنظمة اليونسكو العربية، وفي اي بلد من البلدان العربية.

«هذا بالاضافة الى دور الباحثين العرب في ضرورة انتقاء كتب التاريخ التي يحتاج اليها القارئ من ناحية، والتي يمكنه ان يستوعبها ويفيد منها من ناحية اخرى، وينبغي للكتب التاريخية بخاصة ان تطبع طباعة جيدة، مزودة بالرسوم والخرائط والصور الفوتوغرافية حتى تتحقق الفائدة المرجورة منها على الوجه الاكمل».

وسألناه عن رأيه في حركة الاستشراق، **فكانت اجابته**:

«لست ممن يرفضون الاستشراق، لانني لا انسى ابدا انني كنت تلميذا للمستشرقين فلقد ساعدني الاستاذ **(فوليي)** في ابحاثي، واشرف على اطروحتي الاولى والثانية هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، ينبغي ان نلاحظ ان المستشرقين اسهموا مساهمة كبيرة في الحفاظ على التراث العربي والاسلامي، **فكيف والحال كذلك، يكون موقفنا من المستشرقين موقفا رافضا ومضادا ؟**

«**هذا مستحيل!**»

«بل اكثر من هذا انني اطالب البلدان العربية بتشجيع حركة الاستشراق والوقوف الى جوار الموضوعيين من المستشرقين حتى نستطيع ان نوجد جوا من المنافسة العلمية الموضوعية والشريفة بين الباحثين العرب وبين الباحثين من المستشرقين.

صحيح انه من واجبنا مراقبة اعمال المستشرقين، فلا نتركهم يفعلون بتراثنا ما يشاءون ولكن يجب ان نفيد منهم في ذات الوقت، وان نشاركهم ونشترك معهم في المؤتمرات العلمية التي تعقد في الوطن العربي او في غير الوطن العربي.

واخيرا ارجو للمستشرقين ان يصبحوا بعد جيل او جيلين تلاميذ للعلماء والباحثين العرب بعد ما كانوا اساتذة لهم، وهذا يستوجب من العلماء العرب والباحثين المسلمين ان يكونوا في المستوى العلمي والاكاديمي الذي يمكنهم من اعتلاء كرسي الاستاذية.

تعقيب

تلك كانت اهم الآراء التي قيلت في موضوع الاستشراق، وهي الآراء التي وان تشابهت كثيرا واختلفت قليلا، الا انها في مجملها تعكس وجهة النظر العربية والاسلامية في الحركة الاستشراقية، وهي آراء على جانب كبير من الاهمية، في موضوع لا يقل عنها خطورة وخطرا، الا وهو اعادة النظر في حركة الاستشراق، وطرحها طرحا موضوعيا جديدا، في ضوء وعينا الثقافي والحضاري الجديد، وفي ضوء تطلعاتنا وتشوقاتنا لان نأخذ بأيدينا مقاليد امورنا الثقافية والعلمية بعد ان ملكنا زمام انفسنا حياتيا واجتماعيا وعلى المستوى الحضاري.

وهو طرح نرجو ان يجد فيه القارئ الفائدة [illegible]، والخير كل الخير في انطلاقه الثقافي نحو آفاق اوسع، ونحو غايات ابعد مدى.

«المجلة»



بقلم: د. عبد الله الطيب

أول عهدي بكتاب **سيبويه** رحمه الله في أوليات سنوات الأربعين، عصر كنا تلاميذ في المدارس العليا، وهي التي صارت في ما بعد جامعة الخرطوم، وكان مقررا علينا في النحو بمدرسة الآداب كتاب «**الكامل في النحو**» **لأحمد زكي صفوت** وهو كتاب جيد، طريقة تأليفه مبوبة على ما عليه **ألفية ابن مالك**. وكنا آنئذ نؤثر من الكتب ما كان مثله صحائفه بيض ومن كتب النصوص ماله شروح في أسافل الأوراق على الطريقة الافرنجية، وننفر من الكتب ذات الأوراق الصفر والحواشي. وكانت طبعة بولاق من هذا الضرب. وكنت قد ألفته في طبعة كتاب **كامل بن يزيد**، وهو كما لا يخفى غير المتقدم. وقلبت الورقات الأوليات، واذا بعسر شديد يلقاني في الصفحات الأول، ولا أحسبني مضيت فيه كثيرا غير أنني استوقفني قوله: «**هذا باب الاستقامة في الكلام والاحالة**» فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك أتيتك أمس وسآتيك غداً وأما المحال فأن تنقض اول كلامك بآخره فتقول أتيتك غدا وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ غير موضعه نحو قولك قد زيدا رأيت وكي زيد يأتيك وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: «**سوف أشرب ماء البحر أمس**».

أعجبتني جدا هذه القطعة وساعدني على الإعجاب بها اننا كنا آنئذ ندرس المنطق، وبدا لي ان **سيبويه** ههنا لم يتعرض لعلم النحو وحده فحسب، ولكن ألم بأصناف مما يعرف باسم **علم المعاني** من العلوم الموسومة باسم البلاغة. وتنسب فيها الى **عبد القاهر الجرجاني** فضيلة سبق لا أراها له، على فضله، وانما أراها لسيبويه ولأستاذه **الخليل** وتلاميذهما من بعد الذين وطئوا علوم النقد وكانت عندهم جميعهم كلا واحد كما هو واضح من تأليف **محمد بن يزيد المبرد** في الكامل، وما كان يعرف الا بالنحوي.

هذا وفي المقال المتقدم انما أراد سيبويه ان يمهد بجمل لما سيفصله من بعد، ومن أمثلة ذلك في أوائل الكتاب قوله: **هذا باب تخبر فيه عن النكرة بالنكرة**، وذلك قولك ما كان أحد مثلك وليس أحد خيرا منك وما كان أحد مجترئا عليك وانما حسن الاخبار ههنا عن النكرة حيث أردت أن تنفي ان يكون مثل حاله شيء او فوقه لأن المخاطب قد يحتاج الى ان تعلمه مثل هذا–

كلمة عن كتاب سيبويه

أنظر الى قوله لأن المخاطب قد يحتاج الى ان تعلمه مثل هذا فان هذا في صميم علم المعاني كما ترى.

ثم يقول رحمه الله، واذا قلت كان رجل ذاهبا فليس في هذا شيء تعلم كان جهله، ولو قلت كان رجل من آل فلان فارسا حسن لأنه قد يحتاج الى ان تعلم ذلك.

وانظر قوله **حسن** فانه يرجع بلا الى التفصيل الذي قدمه قبل من قوله **حسن وقبيح ومحال وكذب** وهلم جرا.

هذا وقد وجدت في كتاب **سيبويه** أول قرأته عسرا شديدا ولم يكن النحو الذي عندي حينئذ على حي له بتمهيد حق صالح له، اذ كتاب سيبويه هو ليس بمحض كتاب نحو، ولابد لقارئه من شرح يوطئه له من شارح ملم، **فإن لم يجد شارحا ملما لزم أن تكون له كما يقولون الآن خلفية من العربية وكتب النحو،** ولاسيا التي من ضرب **شرح الأشموني**، جواف خوال من غير كوالح القواعد بعد تجريدهن من ذوق اللغة نفسها مما الكتاب به مفعم، والكتب التي تأثرت بمذهب الكتاب مثل **مفصل الزمخشري وشرح الكافيه للرضي.**

هذا ومضى زمان وكنت أقلب صفحات من كتاب تاريخ بغداد، فوجدت في ترجمة سيبويه رحمه الله، انه كان على رأس جامع البصرة شيء يستدل به على اتجاه الهواء، فسأل سيبويه احد تلامذته ان يخرج فينظر اين اتجاه الريح، فخبره انه من كل اتجاه، فقال له قل: تذاءبت الريح. وانما ساق صاحب التأريخ هذا الخبر ليدل على مكان سيبويه من الفصاحة وصحة اللغة.

وأحزنني وأنا اقرأ ترجمة له مما كتب **الخطيب** أو **ياقوت** انه لمّا كيد له عند البرامكة خرج محزونا، ومرض ببعض الطريق، واشتد به المرض وكان معه أخوه، فكان اذ يقارب سكرات الموت ينظر الى أخيه فقطرت دمعة منه على خده، فتمثل رحمه الله بقوله:

أراد حياة لتبقى له
فمات المؤمل قبل الأمل
حثيثا يروى أصول الفسيل
فمات الفسيل وعاش الرجل

فوقع في نفسي أن الفسيل الذي عاش هو هذا الكتاب — وقد ذكروا انه التمس من بعض أصحابه، ان يعاونوه على إحياء علم الخليل، فلم يخف لذلك منهم أحد، فتفرد هو لذلك وتجرد فاتفق له هذا الانتاج الباهر العظيم.

وروي ان **أبا عثمان الجاحظ** أهدى الى صديقه **أبي جعفر محمد بن عبد الملك الزيات** نسخة من كتاب سيبويه، وقال له انه لم يجد بعد كتاب الله شيئا يهديه اليه أنفس من هذا الكتاب.

وهدك بالجاحظ من ناقد وأديب. وما كان ليقول ذلك وكتاب سيبويه عنده مجرد كتاب نحو.

فصح عزمي على ركوب البحر. وهكذا كان يقول **المبرد** رحمه الله لمن يهم بقراءة كتاب سيبويه ودرسه، **وذلك انه فيه الدر واللجج المرهوبات.**

واتفق ان كان في معهد اللغات الشرقية أيام كنت أحضر للدكتوراة **الدكتور محمود السعران،** وقد صار بعد أستاذاً باسكندرية، ثم توفي وهو في روق شبابه رحمه الله. وكان يحضر هو أيضا للدكتوراة. وكنا كثيرا ما نلتقي فنتجاذب أطراف الأحاديث في أبواب من الأدب واللغة — وكنا نجد في تقليب آراء سيبويه ومراجعة بعض نصوصه فائدة عظيمة. وكانت النسخة التي عندي وكذلك مثلها عنده من طبعة باريس. وكان ربما شاركنا أحيانا كثيرة **الدكتور سيد يعقوب بكر،** وكان هو أيضا يعد للدكتوراة، وقد صار فيما بعد عميدا لكلية الآداب بالقاهرة، ثم قد توفى منذ زمان قريب وهو في أول عشر

الجاحظ

• هو عمرو بن بحر المولود في عام ٧٧٥ والمتوفي في عام ٨٦٨ للهجرة، وكانت ولادته ووفاته بالبصرة، حيث نشأ في اسرة فقيرة، فواصل التعلم في الكتاب والمسجد والحلقات، والاطلاع على كل ما تقع عليه يداه. اتصل بعلماء الكلام – وانضم الى المعتزلة، واجاد [illegible] في المجتمع الاسلامي.

• وكشف فيها عن اتساع في الرؤية، وبراعة في الوصف، وقدرة على التمييز، ودقة في التصوير الحسي والنفسي مع ميل الى الفكاهة.

• قصد الى بغداد، وزار دمشق وانطاكية وربما مصر. وفي آخر حياته اصيب بفالج نصفي فعاد الى البصرة.

• ولقد اشتهر الجاحظ بكتبه عن «الحيوان» و«البخلاء» و«البيان والتبين» و«المحاسن والاضداد»

المبرد

• هو محمد بن يزيد المولود في عام ٨٢٦ والمتوفي في عام ٨٩٨ للهجرة، ولقد ولد بالبصرة ومات ببغداد، ودرس اللغة والنحو على المازني والجرمي، والسجستاني حتى صار اماما للبصريين، فأخذ عنه الزجاج، والسراج، ونفطويه.

• شهر في اللغة والنحو والادب والتفسير والاخبار، وألف فيها كتبا كثيرة اشهرها كتاب «الكامل» الذي يعد احد اصول الادب القديمة.

• ويمثل منهج اللغويين القدماء والمعارف العربية المختلفة في عصره.

من اشهر كتبه «المقتضب» في النحو، و«معاني القرآن» و«الرد على

يتعاظمون أمره، وهو كما قدمت ليس بالكتاب السهل المسلك
ولا ذللت بعد لي ولا لكثير من الناس مصاعبه –

وقد ترجم الى الألمانية في القرن الماضي. وقد رأ
المستشرقين يجسرون على النظر فيه، وبخسارتهم على الأخذ م
أشد. وانا خاصة ما اشك ان علم اللغويات الحديث مدي
لمذهبه في الكتاب ولمذهب شيخه **أبي عبد الرحمن الخلي**
رحمها الله، وكذلك علم الصوتيات وهذه قد قتلها ابو ع
الرحمن علما، حتى ان الزعم بزيادة شيْ عليه باطل.

ولا يتسع المجال ههنا لتفصيل بعض ما تقدم اجماله
سبق **أبي بشر وأبي عبد الرحمن** الى مذاهب اللغويات وفلسف
– فأحتسب بالتنبيه الى ما بدأت به وما هو أعلق بمحبتي
سبق أبي بشر في البلاغة والأدب. وليعجبني جدا تقديم الأست
الفاضل العلامة **محمود مصطفى** لطبعه الكتاب بقوله في عنوا
«كتاب علم الأعلام إمام كل إمام مالك أزمة الأدب وم
علوم العرب أبي بشر عمرو الملقب بسيبويه.» وموضع استشها
قد كان حقا مالكها، رح

الخليل بن أحمد (٧١٨ – ٧٩١)

ولد بعمان ومات بالبصرة، درس اللغة والقرآن والحديث على أبي عمرو بن العلاء وعاصر الأحوَل وعاش زاهدا يدرس اللغة.

اشهر تلاميذه سيبويه والاصمعي والنضر بن شميل، بعد شيخ نحاة البصرة في القياس والتعليل النحوي. كان عارفا بالموسيقى فاستنبط علم العروض وألف اول معجم عربي شامل على الحروف باسم (كتاب العين) وتنسب اليه كتب (معاني الحروف) و (جملة آلات العرب) و (العوامل) و (العروض) و (النقط والشكل) و (النغم) وغيرها.

أي براءة منه.» – قلت قوله أبرئ براءة الله، براءه هنا مفعول مؤكد لقوله أبرئ.

–رجع الحديث:

«**وأما ترك التنوين في سبحان فانما ترك صرفه لأنه صار عندهم معرفة**» – أقول فاجتمع فيه العلمية وزيادة الألف والنون وقد فصل هو الجانب النحوي من هذا في بابه في اوائل الجزء الثاني ص ١٠ من طبعة بولاق.

رجع الحديث

«**وانتصابه كانتصاب الحمد لله**» (عند من نصب الحمد)

–

«**وزعم أبو الخطاب ان مثله قولك للرجل سلاما تريد تسلما منك كما قلت براءة منك تريد لا ألتبس بشيء من أمرك**».

ههنا كما ترى أدب وشرح وتفسير لا نحو بحت –

«وزعم ان **أبا ربيعة**» أي زعم ابو الخطاب ان ابا ربيعة – وكأن هذا كان فصيحا، ممن تؤخذ عنهم اللغة «**كان يقول اذا لقيت فلانا فقل سلاما فزعم انه سأله ففسره له بمعنى براءة منك**» – أي اذا لقيت فلانا هذا فقل اني اتبرأ منك فصارت سلاما بهذا المعنى «**وزعم ان هذه الآية مفعول بها واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما بمنزلة بذلك**» يعني بقوله مفعول بها أي معمول بها على نحو هذا المعنى الذي زعمه أبو ربيعة وهو ان هؤلاء الصالحين كانوا يتبرئون منهم فكأن قالوا سلاما بمنزلة ما قدم من قوله أبرّئ براءة الله من السوء في تفسيره نصب سبحان آنفا.

هذا ويؤيد ما ذهب اليه **أبو ربيعة** ههنا ما روى من نحو خبر مصعب بن عمير أنه رد على لبيد قوله:

وكل نعم لا محالة زائل

بأن نعيم الجنة لا يزول

قال سيبويه يذكر مقال أبي الخطاب رحمهما الله وما زعمه أبو ربيعة في تفسير الآية: «**لأن هذه الآية فيما زعم مكية ولم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ولكنه على قوله براءة منكم وتسلما لا خير بيننا وبينكم ولا شر**».

تأمل هذا الذي قدمناه من كلام سيبويه وما اشتمل عليه مع التعليل النحوي من التفسير وعلم القرآن والتغلغل الى بلاغته.

وتأمل بعد قوله وهو يوضح هذه المعاني التي قدمها: «وزعم – (يعني أبا الخطاب) ان قول الشاعر:

سلامك ربنا من كل فجر

بريا ما تغنّثك الذموم

على قوله براءتك ربنا من كل سوء. فكل هذا ينتصب انتصاب حمدا وشكرا الا ان هذا يتصرف وذاك لا يتصرف» يعني ان حمدا وشكرا يتصرف لأنه يقع مواقع مختلفة في الاعراب بخلاف سبحان فهو اما منصوب مضافا او معزولا عن الاضافة ممنوعا من الصرف وربما جاء منونا.

قال رحمه الله: ونظير سبحان في البناء من المصادر والمجرى «**أي في كون أن أصله مصدر وأن مجراه أي حركته النصب**» لا في المعنى، غفران لأن بعض العرب يقول غفرانك لا كفرانك يريد استغفارا لا كفرا ومثل هذا قوله ويقولون حجرا محجورا أي حراما محرما يريد البراءة من الأمر (**يعني بقوله حجرا**) ويبعد عن نفسه أمرا (**يعني قوله محجورا أي بعيدا عنا**). فكأنه قال أحرم ذلك حراما محرما. ومثل ذلك ان يقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجرا أي سترا وبراءة من هذا الخ.ا.هـ.

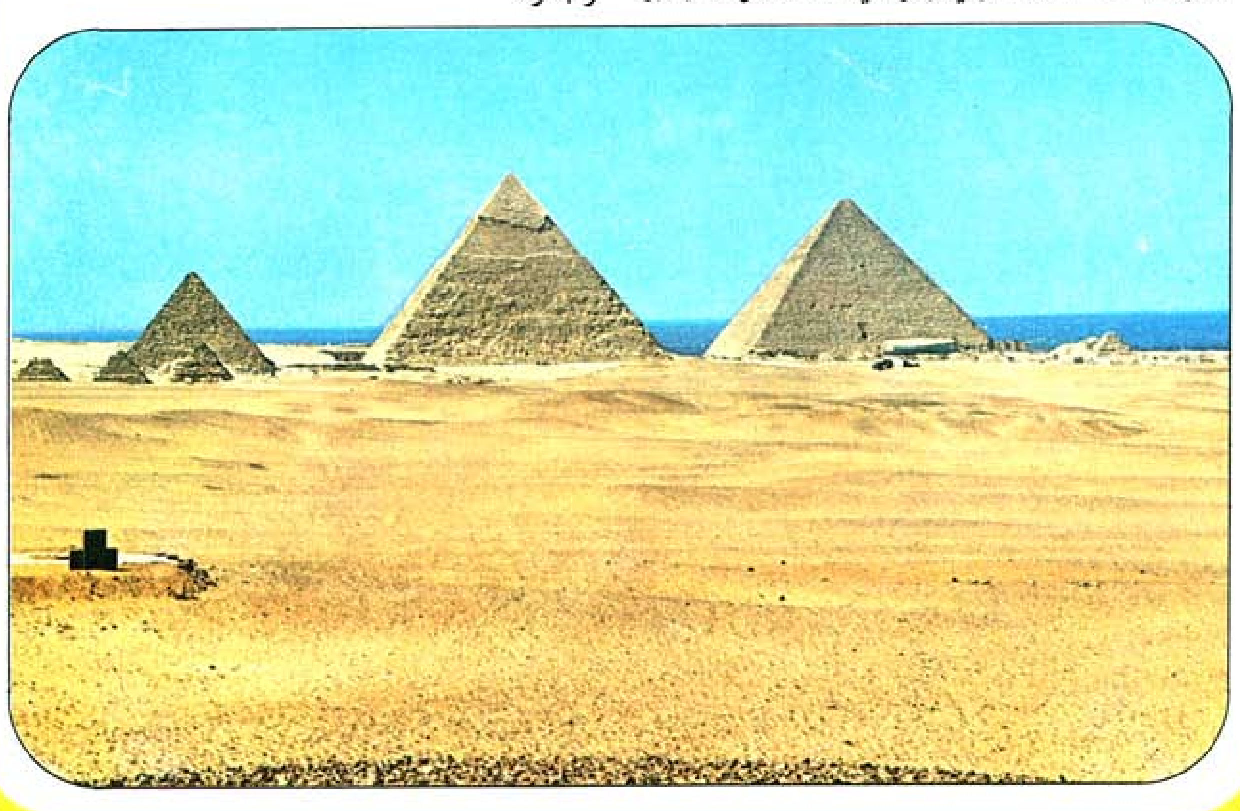
قلت وموضع الافادة بلغة العرب وفصاحتها ههنا لا يخفى ولا أريد بعد في هذا الفصل أن استقصي وانما أريد أن أنبه على مكان هذا الكتاب الجيد النادر الذي عرف فضله الأولون وينبغي ان يعرف فضله الآخرون.

الجيزة

ثاني مدينة بناها المسلمون في مصر

إعداد : خيري شلبي

ربما كانت مدينة الجيزة من أشهر الأقاليم المصرية فعلى الرغم من وجود الأقصر وأسوان وغيرهما من المدن المصرية الحافلة بالآثار التاريخية الهامة، الا ان شهرة الجيزة طبقت الآفاق، وأي زائر يأتي الى القاهرة لا يعتبر نفسه قد زار القاهرة حقا اذا لم يقم بجولة طويلة في مدينة الجيزة، وتحتل الجيزة مكانا لامعا جدا في خيال الأطفال المصريين والعرب على السواء، ولعلها كذلك ايضا بالنسبة لأطفال بعض الدول الأوروبية خاصة فرنسا وانجلترا.



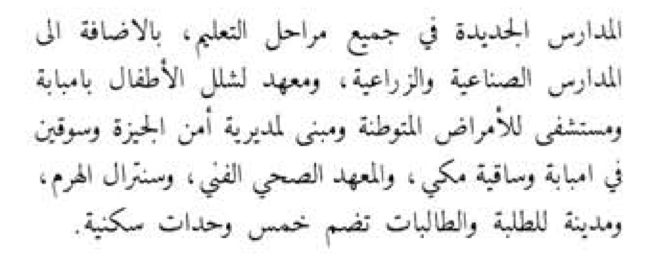


كان من الرأي الا يؤخذ الشاعر بهذه الدقائق الفلسفية، ما لم يأخذ نفسه بها، ويتكلف التعمل لها، فيؤخذ فيها حينئذ بحكمة، ويطالب بما جنى على نفسه».

ونحسب أن هذا التفريق بين مجالات التفكير العلمي

لا عهد لهم به. و**(الغرابة) في طليعة العوامل التي تجذب الانتباه**، وتنشط العقول والقلوب، وتثير شعور الاعجاب، **كما ان (الألفة) تغض كثيرا من قيم الاشياء**، ولاسيما في عالم الفنون. **ولا يوصف شيْ بالجدة الا اذا كان فيه قدر من الغرابة وبالاضافة الى ذلك فان هذه «الجدة» أو «الغرابة» مقياس من**





المدارس الجديدة في جميع مراحل التعليم، بالاضافة الى المدارس الصناعية والزراعية، ومعهد لشلل الأطفال بامبابة ومستشفى للأمراض المتوطنة ومبنى لمديرية أمن الجيزة وسوقين في امبابة وساقية مكي، والمعهد الصحي الفني، وسنترال الهرم، ومدينة للطلبة والطالبات تضم خمس وحدات سكنية.

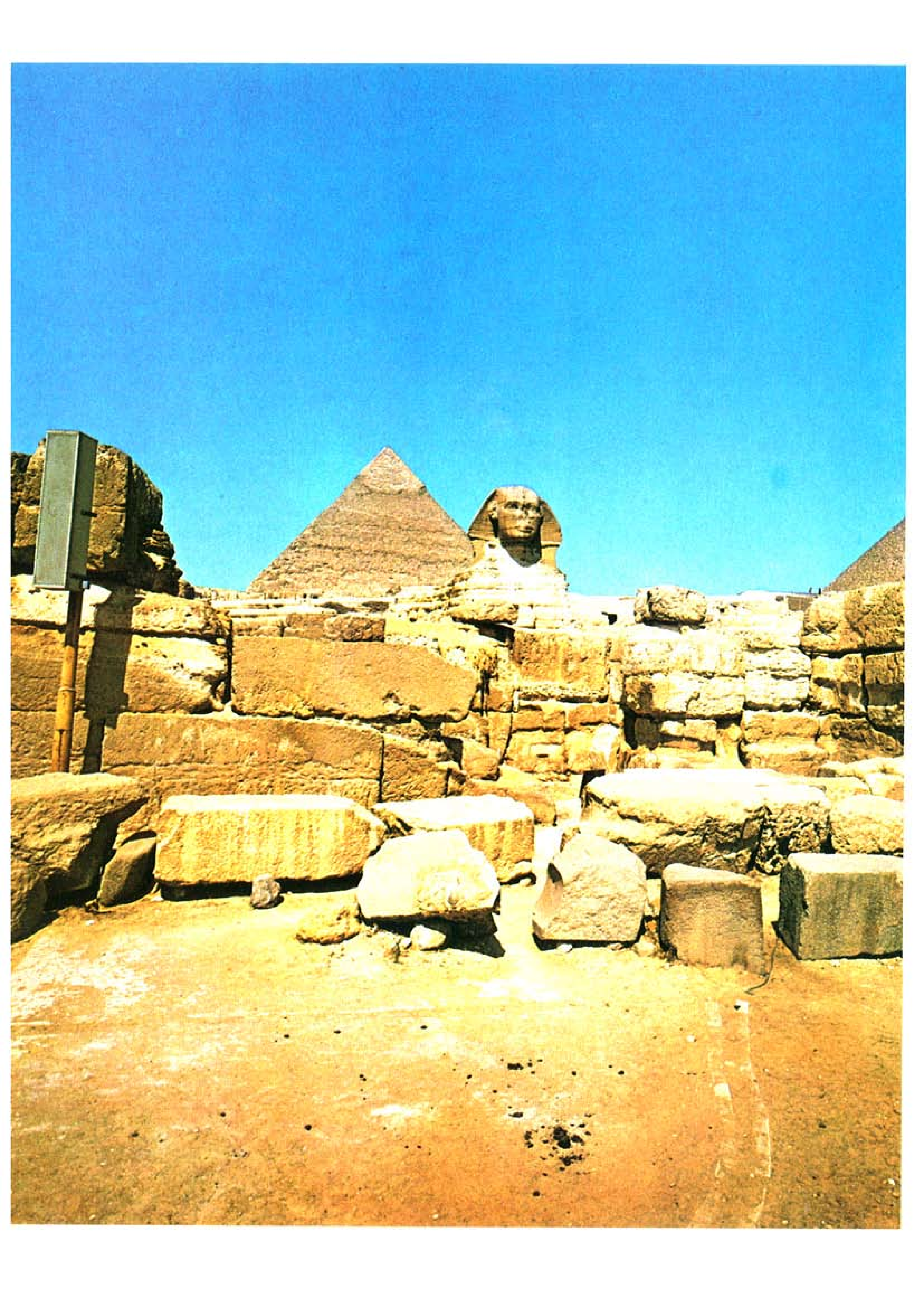
* «صوت» التاريخ القديم في «ضوء» الحاضر:

وفي ابريل عام **١٩٦١** افتتح مشروع الصوت والضوء بمنطقة ابي الهول والأهرام بالجيزة. وهو مشروع يعرض تراث وتاريخ مصر القديم عرضا مضيئا ناطقا يحكي الكثير من عراقة حضارتنا ويصل وثبتنا الحاضرة بنهضتنا البعيدة الغابرة.

واذا كان الاغريق يعتبرون الأهرامات من عجائب العالم السبع فان علماء الآثار ومهندسي المعمار يعتبرونها أعظم ما خلفه القدماء من آثار ومن أبدع أعمال العمارة في جميع الأزمنة. ويقول «ديودور الصقلي» ان الآراء أتفقت على أن عظم شأن الأهرام لا يرجع الى ضخامة بنائها وما تكلفه من جهد ومال بقدر ما يرجع لدقة بنائها، فمهندسوها أولى بالاعجاب من الذين دبروا نفقاتها. ومن الأقوال المأثورة عند **نابليون قوله بأن اهرامات الجيزة الثلاثة تحتوي من الاحجار ما يكفي لبناء سور حول فرنسا جميعها ارتفاعه ثلاثة أمتار وعرضه ثلاثين سنتيمترا.**

وهي تؤلف معا – فيما يذكر **الدكتور محمد أنور شكري** –

الأهرام وأبو الهول





مجموعة متناسقة فريدة، كما تؤلف مع ما يحيط بها من أهرامات صغيرة ومقابر أفراد الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة مدينة كبيرة للموتى، وكان لكل منها اسمه. فكان الهرم الأكبر يسمى «**مشرق خوفو**»، والهرم الثاني «**خفرع عظيم**» والهرم الثالث «**منقرع مقدس**» — وقد اختار خوفو لهرمه أحسن موقع في الهضبة الغربية شمالي منف حيث يشرف على الوادي الخصيب من عل لمسافات بعيدة مما يدل على اختيار مقصود. ثم تبعه خفرع فاختار لهرمه مكانا في الجنوب الغربي من هرم خوفو في موقع يبعد قليلا عن حافة الهضبة، وأخيرا أقام منقرع هرمه في مكان أقل ارتفاعا، ويبعد مسافة غير قصيرة عن حافة الهضبة.

وليس يملك الانسان وهو يرى الهرم الأكبر الا ان يهوله سموقه وعظم مسطحاته وقوة رسوخه وحسن نسقه. وهو يؤلف مع الهضبة التي يقوم عليها وحدة متسعة — وكان طول كل جانب من قاعدته **٢٣٠ مترا** تقريبا، وكان ارتفاعه مائة وستة وأربعين مترا ونصف المتر، وزاوية ميل جوانبه **٥٢**. وقد ظل أربعين قرنا اعلى بناء في العالم حتى أواخر القرون الوسطى عندما بنيت بعض الكاتدرائيات التي تعلوه قليلا. وكانت مساحة قاعدته حوالي **٥٣٠٠٠ متر مربع** او ما يقرب من **١٣ فدانا**، وهي مساحة تسع كاتدرائيات فلورنسا وميلانو والقديس بطرس في روما والقديس بولس ووستمنستر أبي في لندن.

وعلى الرغم من انه بني حول نواة بارزة من الصخر لا تسمح بحساب صحيح لما استخدم في بنائه من أحجار الا ان الدكتور شكري **يقدر مجموع عدد احجاره بنحو مليونين وثلثمائة ألف حجر، ومتوسط وزن الحجر الواحد طنان ونصف. ويؤكد القول السائد بانه اذا صنع من الأحجار مكعبات طول كل ضلع منها قدم ثم وضعت جنبا الى جنب فان طولها يغطي ثلثي محيط الكرة الأرضية**. ويقع مدخل الهرم في الجانب الشمالي منه على ارتفاع **١٧ مترا تقريبا**. ويؤدي المدخل الى دهليز هابط يمضي في بناء الهرم نفسه ثم في الصخر مسافة طويلة الى أن يفضي الى غرفة لم يكمل حفرها بما يدل على انه غض النظر عن ان تكون غرفة الدفن، مما دعا الى شق دهليز صاعد في نواة الهرم قبيل اختراق الدهليز الهابط للصخر. ويمضي الدهليز الصاعد مسافة في بناء الهرم ثم يستقيم مسافة أخرى غير قصيرة الى أن يؤدي الى ما يسمى خطأ بغرفة الملكة، وتقع على محور الهرم وعلى ارتفاع عشرين مترا تقريبا من سطح الأرض، وسقفها أحدب. هكذا يقول الدكتور شكري، ثم يضيف ان من القرائن ما يدل على ان هذه الغرفة بدورها تركت قبل ان يتم العمل فيها مما يشير الى تغيير جديد في مخطط الهرم اقتضى



جامعة القاهرة بالجيزة



منها احدها على الآخر، بما يخفف ثقل مائة متر تقريبا من الحجر عن غرفة الدفن. ويفوق الدهليز العظيم وغرفة الملك غرفة الملكة فخامة ودقة بناء، فقد حقق فيهما البناء كمالا فنيا يثير الاعجاب والتقدير. **ويدل هذا كله على ان فن البناء بلغ في عهد خوفو ذروة التفوق والاتقان مما كان ولا يزال مثار الاعجاب والدهشة لدى السائحين والمؤرخين والفنيين على حد سواء. وهو يدل كذلك على ان الهرم بني على أسس هندسية عملية وهو لا يزال قائما رغم الزمن ورغم تعريته من كسائه.**

كيف بني الهرم؟ ..

يقول الدكتور شكري في مؤلفه الكبير عن العمارة في مصر القديمة انه كان يعنى باختيار المكان الذي يقام عليه الهرم، بحيث يخلو من الشقوق والعيوب، ويكون قريبا من العاصمة والنيل، ليتسنى إشراف الملك على البناء وليسهل نقل الأحجار اليه. وبعد اختيار المكان الصالح كانت طبقة الرمال والحصى تزال منه ليبنى الهرم على أساس ثابت متين. ثم كان الصخر يسوى، ولا يعرف على وجه التحقيق كيف كانت المساحة الشاسعة تسوى بدقة لا تبارى – ولكن الموقع كان يمسح بدقة بما يكفل ان تكون قاعدة الهرم أقرب ما يمكن الى المربع، وان تواجه جوانبه الجهات الأصلية.

وبينما كانت أرض الهرم تسوى وتحدد اتجاهاتها الأصلية كانت طوائف عديدة من العمال تعمل في قطع الأحجار سواء في الهضبة ذاتها او في محاجر طرة في الجانب الآخر من النيل او في محاجر الجرانيت في أسوان. وكانت طوائف اخرى تعمل في اعداد الطرق من المحاجر الى النيل، ومن النيل الى مكان الهرم، بينما كانت جماعات غيرها تنشئ الحراسى واخرى تنقل ما تم قطعه من الأحجار على زلاقات من خشب في البر، وعلى مراكب كبيرة في الماء. وكان لكل طائفة اسمها، وقد وجدت اسماء بعض الطوائف مكتوبة على كثير من الأحجار، ولعل الغرض من ذلك كان بيان عمل كل طائفة.

ويضيف الدكتور شكري قائلا انه عندما كانت الأحجار تبلغ موقع الهرم كان يتلقاها البناؤن فيسوونها من اسفل ومن الجانبين، ثم كانوا يضعونها في دقة وعناية في اماكنها من البناء، ومن ثم ينحتون سطوحها العليا. فاذا أتموا رصف أرض الهرم وبناء المدماك الاول كان لابد من جر الأحجار على جسور صاعدة تعتمد على جوانب ما تم بناؤه، وذلك على مستويات يعلو بعضها بعضا كلما تقدم البناء حتى يبلغ ذروته ويبدو مما تهدم من اجزاء بعض الأهرامات ان الهرم كان يبنى من نواة وسطى تتضمن الغرف الداخلية، تضاف اليها في جوانبها الأربعة اضافات جانبية بميل بزاوية قدرها ٧٠°، باطنها من حجر جيري محلي ووجوهها الظاهرة من حجر جيري جيد أحسن بناؤه، على أن وجه الحجر لم يكن يسوى على عكس ما جرى عليه الأمر في هرم زوسر المدرج وهرم ميدوم وبذلك استغنى البناء عن عمل غير مجد في بناء الهرم.

وكان يتم بناء الدهاليز والغرف الداخلية في الهرم قبل بناء المداميك التي تحيط بها، والتابوت والمتاريس تأخذ مكانها قبل ان يتم بناء جدران الأماكن التي كانت توضع فيها. فاذا تم بناء نواة الهرم وما كان يضاف اليها من اضافات مدرجة نقل الى اعلى الهرم الهريم، وكان عادة من حجر الجرانيت، ويبرز من وسط قاعدته ما يشبه القرص ليستقر في وسط المدماك الأخير. واخيرا كان الفراغ الذي يعلو الدرجات يبنى بحجر جيري جيد ليكون جدارا ساندا للكساء الخارجي للهرم. وكان الكساء يبنى ايضا بحجر جيري جيد، يعنى البناؤن بتسوية سطحه الظاهر من اعلى الى اسفل، اذا كانت احجار الكساء توضع في اماكنها باوجه جافة غير مهذبة حماية لها من ان تتعرض للتلف اثناء العمل.

ويقول ايضا ان الحجر الجيري كان يسوى بازاميل من نحاس يطرق عليها بحداق من الخشب، ولما كان الحجر الجيري قاسيا فكان يستعان في صقله بمصاقل من حجر صلد، اما الاحجار الصلدة فكانت تسوى بسحقها بكرات من الكورتزيت، وتصقل بمصاقل من حجر الجرانيت او البازلت او الكورتزيت. وربما كان يستعمل في ذلك مسحوق للصقل. ومع ذلك كله لا يعرف كيف سوى المصريون المساحات الشاسعة التي تؤلف أوجه الهرم وكيف جعلوا هذه الأوجه تتلاقى في دقة واحكام دون انحراف او اعوجاج.

ولكن لماذا اختار المصريون هذا الشكل الهرمي للمقبرة الملكية؟

يجيب على ذلك الدكتور شكري – قائلا ان هذا الشكل وان كان نتيجة تطور معماري يمكن ترسمه الا انه قد صاحبته عقائد وافكار ساعدت على تحقيقه او على الاقل اقترنت به في اذهان المصريين. لقد كان الهرم يشرف على مدينة الموتى كما كان يشرف على مدينة الاحياء وعلى الوادي الى مسافات بعيدة، وكان أعلى شيء في محيطه تتلألأ في ذروته اشعة الشمس. ويبدو انه اقترن في تصور المصريين بالحجر المقدس «بنبن» الذي كان يرمز الى الاكمة الاولى، وهكذا يكون الملك المتوفي قد دفن في

أكبر كتلتان على الأرض.

أبـــو الهـــول

ونفس ما قيل عن الهرم الأكبر يمكن ان يقال عن الهرمين الآخرين باستثناء بعض الفروق البسيطة فيما يختص بظروف البناء وهي فروق لا اهمية لها في موضوعنا.

ويقترن باهرامات الجيزة تمثال أبو الهول، ذلك الرابض على حافة الصحراء. ويذكر المؤرخون انه كان في الاصل صخرة تخلفت في المحجر الذي اقتطع منه خوفو احجار نواة هرمه، فنحتها مثال مبدع في هيئة اسد رابض طوله ٧٥ مترا بملامح وجه خفرع فكان ابو الهول. وقد تلفت بعض اجزاء من الوجه، وأمحت الالوان اوكادت، ومع ذلك لا يزال في ملامحه كبرياء وشموخ، واطمئنان وهدوء، وفي نظرته استعلاء وغموض، **وهو يرنو بناظريه عبر الوادي الخصيب نحو الشرق البعيد، حيث تشرق الشمس كل صباح، ويحرس من ورائه جبانة الجيزة.**

ولأنه في مكان منخفض من الهضبة فكثيرا ما كانت تغمره الرمال السافية، ومن ذلك ما يجله نصب كبير من الحجر الجرانيت، يقوم من امامه بين فجليه، من ان تحتمس الرابع وهو امير كان يصيد الحيوان في صحراء الجيزة، وانه في ظهيرة يوم حار جلس يستريح في ظل ابي الهول، فأخذته سنة من نوم، رأى فيها أبا الهول يحدثه بذات فمه ويعده بالملك وتاجي مصر ويطلب اليه ان يزيل عنه الرمال التي اخفت اعضاءه. واستيقظ الامير ووعى ما قاله له أبو الهول. على ان الجزء الاسفل من النصب تالف، وبذلك ضاع ما يقرب من نصف النص، بيد انه ما من ريب في ان تحوتمس ازال عنه الرمال حتى استطاع ان يقيم هذا النصب في مكانه، وقد مضى على ابي الهول اكثر من ستة واربعين قرنا وهو شامخ برأسه، ولا يزال الزوار من كل مكان يجتلون فيه كثيرا من المعاني.

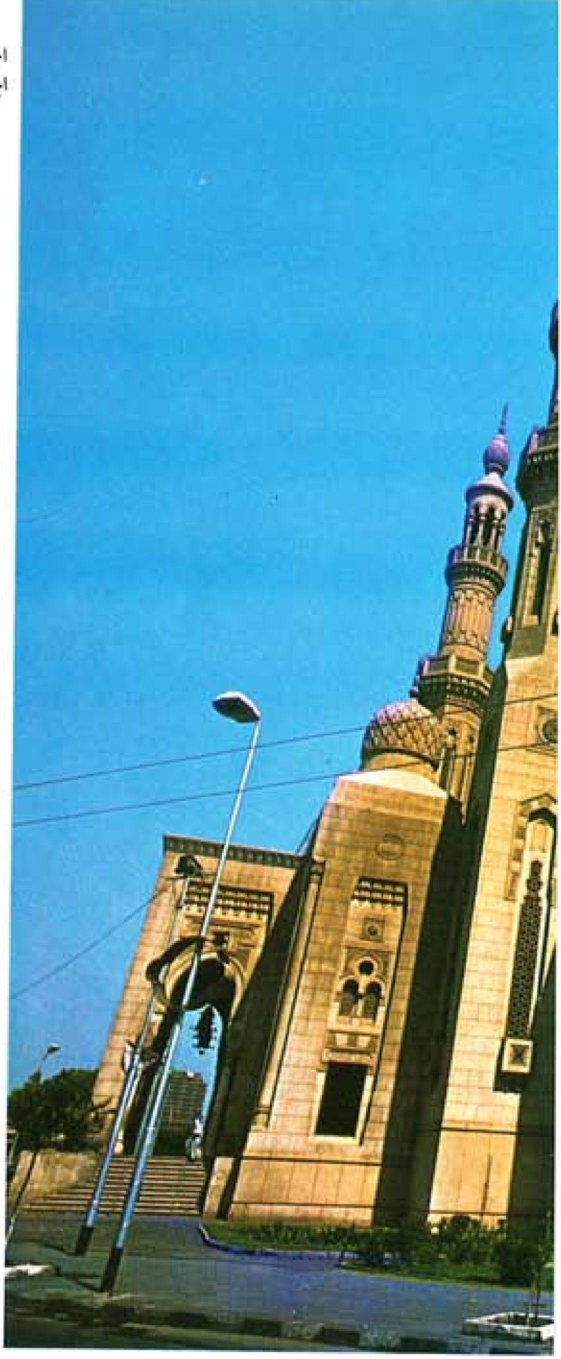
الجيزة مدينة اسلامية

ورد في خطط المقريزي عن ابن سيدة: **الجيزة الناحية والجانب والجيز جانب الوادي. وقد يقال فيه الجيزة. ثم يستطرد قائلا ان الجيزة اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على النيل من جانبه الغربي تجاه مدينة فسطاط مصر، لها في كل يوم احد سوق عظيم يجيء اليه من النواحي اصناف كثيرة جدا، ويجتمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد جامعة.**



لكن كيف بنيت هذه القرية الكبيرة التي صارت الآن من العواصم العربية الكبيرة؟

كان «**عمرو بن العاص**» قد انتهى من فتح مصر، وترك خيمته (الفسطاط) في الموضع الذي بنى فيه جامعه الشهير، ثم سار الى الاسكندرية ففتحها، وكانت الاسكندرية في ذاك الزمن مدينة ذات امجاد تاريخية لا مثيل لها، وكانت جديرة بان يجعلها، «**عمرو بن العاص**» عاصمة للفتح العربي في مصر، لكنه حين ارسل الى «**عمر بن الخطاب**» يستفتيه في هذا الامر، رد عليه بانه ليس من المستحب ان يجعل بينه وبين عشيرته



احد
الجوامع بالجيزة

بحرا، فقفل راجعا الى فسطاطه بجوار حصن نابليون الذي سيطر عليه المسلمون سيطرة تامة.

وأثناء العودة كانت جيوش المسلمين في ازدياد، وكانت تخترق الصحراء لتجتاز النيل الى الفسطاط وحصن نابليون، وارتأى «**عمرو بن العاص**» ان يترك في هذه الصحراء مؤخرة لجيشه تحميه من أي عدوان مفاجئ يجئ من الخلف، ثم عبر بمن معه. واذ استتب له الامر وشرع في بناء مدينة الفسطاط وجامعه الكبير، ارسل الى من تركهم في الصحراء يستحثهم على الوصول اليه، لكن بعض القبائل كانت ضربت خيامها واستطابت الصحراء، فلما طلب اليهم مغادرتها لم يرضوا، وطلبوا السماح لهم بالاستقرار فيها وبناء المنازل. فكتب «عمرو بن العاص» الى «**عمر بن الخطاب**» رضي الله عنهما يعلمه بما صنع الله للمسلمين، وما فتح عليهم، وما فعلوا في خططهم وما أستحبت «همدان» من النزول بالجيزة. فكتب اليه عمر يحمد الله ما كان من ذلك، ويقول له: **(كيف رضيت ان تفرق اصحابك؟ لم يكن ينبغي لك ان ترضى لأحد من اصحابك ان يكون بينك وبينهم بحر، ولا تدري ما يفاجئهم، فلعلك لا تقدر على غياثهم حين ينزل بهم ما تكره. فاجمعهم اليك، فان أبوا عليك وأعجبهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما هنالك، فابن عليهم من فئ المسلمين حصنا.)** فجمعهم «**عمرو بن العاص**» وقرأ عليهم كتاب «**عمر بن الخطاب**» فلم يقبلوا الخروج من الجيزة. فأمرهم ببناء الحصن عليهم يقول المقريزي: فكرهوا ذلك وقالوا: لا حصن أحصن لنا من سيوفنا. وكرهت ذلك **همدان ويافع**، فأقرع «**عمرو**» بينهم فوقعت القرعة على يافع، فبنى فيهم الحصن في سنة احدى وعشرين، وفرغ من بنائه في سنة اثنتين وعشرين.

وبعد ذلك أمرهم ببناء المنازل والأخطاط. وفي الوقت الذي كانت تبنى فيه مدينة **الفسطاط** على الضفة المقابلة كانت ثمة مدينة اخرى تنشأ. يقول المقريزي فاختط ذو أصبح من حمير من الشرق، ومضوا الى الغرب حتى بلغوا ارض الحرث والزرع، وكرهوا ان يبنى الحصن فيهم. واختط يافع بن الحارث من رعين بوسط الجيزة، وبنى الحصن في خططهم، وخرجت طائفة منهم عن الحصن آنفة منه. واختطت بكيل بن جشم بن نوف من همدان – في مهب الجنوب من الجيزة في شرقيها. واختطت حاشد بن جشم بن نوف في مهب الشمال من الجيزة في غربيها – واختطت الجياوية بنو عامر بن بكيل في قبلي الجيزة وأختطت بنو حجر بن ارحب بن بكيل في قبلي الجيزة. واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الأزد فيما بين بكيل ويافع. والحبشة اختطوا على الشارع الأعظم.

الجيزة .. والاماكن المقدسة:

وفي الجيزة أكثر من مكان مقدس. يقول القضاعي: سجن يوسف عليه السلام ببومير من عمل الجيزة، اجمع اهل المعرفة من اهل مصر على صحة هذا المكان. وفيه اثر نبيين: احدهما يوسف، سجن به المدة التي ذكر ان مبلغها سبع سنين. وسطح السجن موضع معروف باجابة الدعاء .. يذكر ان كافور الأخشيدي سأل أبا بكر بن الحداد عن موضع معروف باجابة الدعاء ليدعو فيه، فأشار عليه بالدعاء على سطح السجن. اما

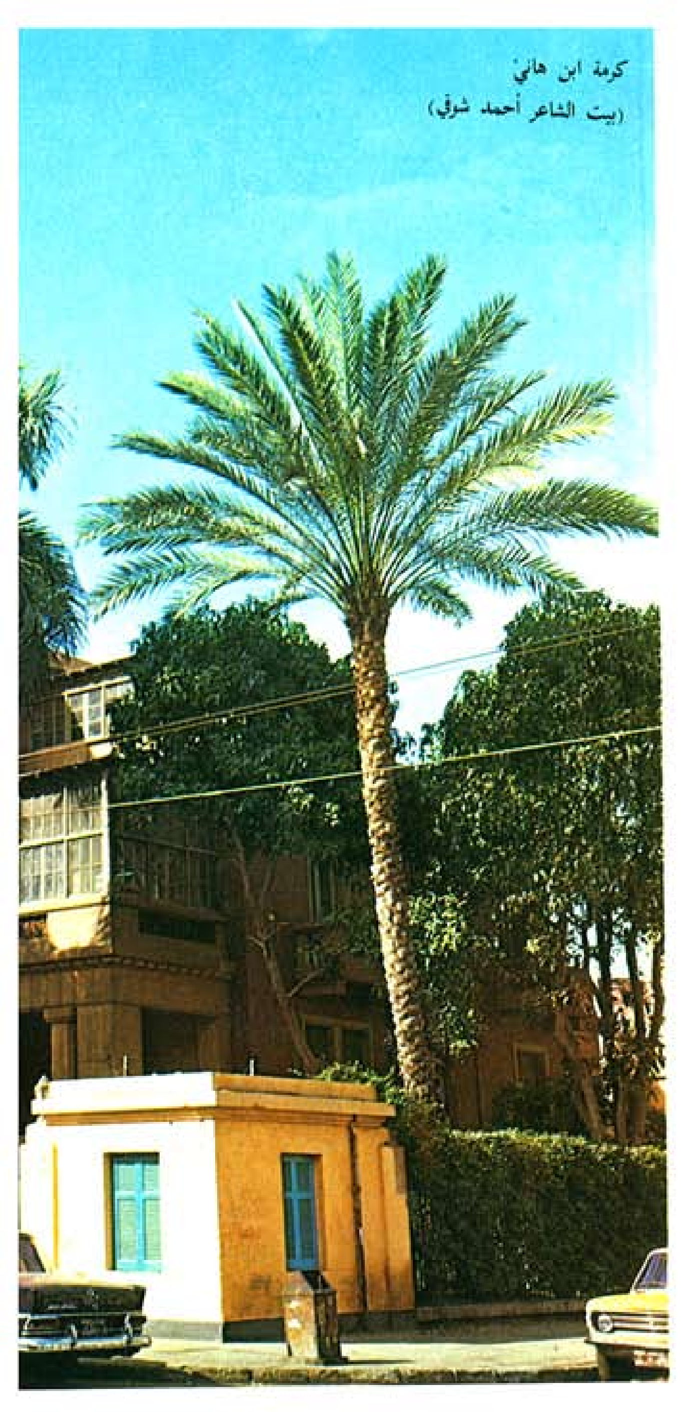
النبي الآخر فموسى عليه السلام. وقد بني على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى.

وبالبحث عن هذا المسجد اتضح انه يقع على هضبة عالية بسفح الجبل الشرقي بقرية الشيخ موسى بمركز الصف. ويرجع تاريخ انشاء هذا المسجد - فيما تذكر الدكتورة **سعاد ماهر** - الى العصر الفاطمي. وقد تهدم الآن ولم يبق منه الا محرابه. والمسجد بني من الطوب اللبن. ويبدو من بقايا الجدار القبلي ان المسجد كان له دور ثان بدليل وجود تجويف في اعلى الجدار. وقد عثرت مصلحة الآثار على اجزاء من لوحة تذكارية كانت موجودة بهذا المسجد وهذه اللوحة خاصة بالتجديد وليس بالتأسيس وقد أمكن قراءة الآتي منها: «**وأقام الصلاة**» وهي نهاية السطر الأول ويمكن قراءة اول السطر الثاني من الوجه الثاني. وقد قام الأهالي الآن بعمل دعامة خلف المحراب للمحافظة عليه.

وأما الأثر الذي بني عليه مسجد موسى فهو المكان الذي كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذي قذفته امه في النيل. وبه - أيضا - النخلة التي أرضعت مريم تحتها عيسى عليه السلام. وقد ظلت هذه المنطقة طوال العصر الاسلامي ينظر اليها كمنطقة مباركة.

ويذكر **المسبحي** في كتابه (تاريخ مصر) في حوادث سنة ٤١٥هـ ان الخليفة الفاطمي **الظاهر لاعزاز دين الله** خرج وعدى في سائر عساكره الى الجيزة في اربع عشاريات واربع عشرة بغلة من بغال النقل، وفي جميع من معه خاصته وحرمه الى سجن يوسف عليه السلام وأقام هناك يومين وليلتين.

ويقول ياقوت (**في معجم البلدان**) ان كعب الأحبار الصحابي مدفون بالجيزة. ويقول المقريزي ان اول مسجد جامع بني بالجيزة انشأه محمد بن عبدالله الخازن سنة ٣٥٠هـ بأمر الأمير علي بن الاخشيد واشرف عليه كافور، وكان الناس قبل ذلك يصلون الجمعة في مسجد همدان. ويقول الجبرتي ان بالجيزة جامعا يعرف بجامع أبي هريرة الذي جدد في سنة ١١٨٨هـ. وابو هريرة هذا ليس هو الصحابي المعروف، فقد ذكر ابن جبير: وفي سنة ٧٢٤هـ منع الناصر محمد بن قلاوون الوزير ان يتعرض الى شيء مما يتحصل من مال الجيزة فصار جميعه يحمل اليه، وأضاف، وبخارج الجيزة موضع يعرف بأبي هريرة فيظن من لا علم له انه أبو هريرة الصحابي وليس كذلك بل هو منسوب الى ابن ابنته. وجاء في (تحفة الأرباب وبغية الطلاب) للسخاوي ان أبا هريرة الصحابي مات على بعد فراسخ من المدينة وحمل اليها ودفن بالبقيع. وفي (الخطط



كرمة ابن هانئ
(بيت الشاعر أحمد شوقي)

التوفيقية) يقول «علي مبارك» ومدينة الجيزة كثيرة الأسواق والوكائل والخانات وحوانيت مملوءة بالتجارة والبضائع من جميع الأصناف، كما يوجد بها كثير من أرباب الحرف، فيوجد بها تجار التبر والحرير والنحاس والعقاقير والدخان ومعاصر الزيوت وطواحين بخارية، ومعامل للفخار وأنوال النسيج القطن وغيره. وقد أتخذت سكنا للأمراء والمماليك وكبار رجال الدولة منذ العصر العثماني ومن العلماء الأفاضل الذين ينتسبون الى الجيزة «الربيع الجيزي» صاحب الأمام الشافعي، وهو أبو محمد الربيع بن سليمان بن داوود بن الأعرابي الأزدي توفي سنة ٢٥٦هـ بالجيزة ودفن بها. ومنهم بهاء الدين ابو الحسن علي بن هبة الله خطيب مصر وأعلم أهل زمانه، المتوفي سنة ٦٤٩هـ. ومنهم

*بولاق الدكرور: وهي بلدة آهلة بالسكان كانت تعرف بمنية بولاق، وكلمة بولاق هي في الأصل كلمة مصرية قديمة اسمها «بيلاق» ومعناها الموردة او المرساة وقبل انشاء مدينة الجيزة كانت هذه البلدة هي المرسى الوحيد في هذه المنطقة – فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٣هـ مدينة جديدة على النيل تجاه القاهرة اسماها بولاق ايضا – بولاق ابو العلا الآن لأنها موردة ترسو فيها السفن القادمة الى القاهرة والمسافرة منها. اما مبنية بولاق فقد ظلت تحمل هذا الأسم الى ان نزل بها الشيخ ابو محمد يوسف بن عبدالله التكروري في عهد العزيز بالله الفاطمي، وكان الناس يعتقدون فيه الخير والصلاح، فلما مات – فيما يقول «**محمد رمزي**» في (القاموس الجغرافي) بنى عليه قبة وعمل بجانبها جامعاً، فاشتهرت هذه القرية من ذلك الوقت باسم بولاق التكروري.

ويقول المقريزي انه بعد سنة ٧٩٠هـ طغى ماء النيل على بولاق التكرور فأخذ منها قطعة عظيمة كانت كلها مساكن، فخاف أهل البلد ان يأخذ النيل ضريح الشيخ التكروري والجامع لقربهما من النيل، فنقلوا الضريح والجامع الى داخل البلد، وتذكر الدكتورة «سعاد ماهر» ان هذا الضريح لا يزال في مكانه الذي نقل بالبلد القديمة وليس في بولاق الدكروري كما يظن البعض. ويقول «**محمد رمزي**» في (القاموس الجغرافي) انه في سنة ١٨٦٣م حول مجرى النيل من الغرب الى الشرق لامكان توفر الماء اللازم لشرب سكان القاهرة، وبذلك أصبحت مساكن قرية بولاق التكرور بعيدة عن شاطئ النيل، وفي سنة ١٨٦٨م هدمت مساكن هذه القرية وعوض أهلها فانتقلوا الى مكانها الحالي بجوار محطة بولاق الدكرور. ويتضح لنا من هذا – فيما تذكر الدكتورة «**سعاد ماهر**» – ان قرية بولاق الدكرور هذه ليست في مكانها الأصلي القديم، وأن الجامع الذي جدده الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥هـ قد أندثر، وان اللوح الرخام الذي كان مركبا على بابه نقل الى باب ضريح الشيخ يوسف التكروري الموجود الآن مع اضرحة اخرى بين مبنى وزارة الزراعة ومبنى المتحف الزراعي.

*العزيزيــة .. يتحدث عنها المقدسي في كتاب (**أحسن التقاسم**) قائلا انها من القرى القديمة وانها من مدينة منف القديمة، وقد أختفت وخربت وكانت مصر في القديم، وبها كان ينزل فرعون، وفيها قصره ومسجد يعقوب ويوسف. وفي معجم البلدان يقول ياقوت ان العزيزية خمس قرى بمصر، تنسب الى العزيز بالله الفاطمي ومنها قرية بالجيزة. وفي (صبح



ايضا الطبيب علي بن رضوان بن علي جعفر، كان عالم مصر في أوانه في أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وكان أول أمره منجما، ثم قرأ شيئا من الطب وشيئا من المنطق، وصنف كتبا بلغت اثنين بعد المائة كلها مبتكرة مستنبطة، وتوفي سنة ٤٦٠هـ .. هكذا ورد في (عيون الأنبياء) لأبن ابي امبيعه.

الجيزة .. وأماكن لها تاريخ

اذا كان «الدقي» من الأحياء الشهيرة جدا في الجيزة فان هناك اماكن اخرى قد لا تحظى بشهرة هذا الحي ولكنها ذات تاريخ طويل، ومنها:

الاعشى) انه يوجد في شمال منف بلدة صغيرة تعرف بالعزيزية يقال انها كانت منزلة العزيز وزير الملك، وهناك مكان على القرب يعرف بزليخا. وفي (القاموس الجغرافي) يقول «**محمد رمزي**» انه لما ضربت مدينة منف منذ آخر ايام الحكم الروماني بمصر، اقيم على أطلالها وفي أراضيها قرى العزيزية ومنية رهينة والبدرشين وصقارة والظاهر انه لما تولى العزيز بالله الفاطمي اختاروا له خمس مدن قديمة وأطلقوا عليها اسمه تخليدا لذكره وكانت احداها العزيزية هذه – والعزيزية من أعمال مدينة الجيزة كما ورد في دواوين ابن مماتي.

***ساقية مكي**: يقول «**محمد رمزي**» في (القاموس الجغرافي) ان أسمها الأصلي ساقية مكي، سميت بهذا الاسم لان اراضيها كانت وقفا على اشراف مكة المكرمة وفي بدء تكوين هذه الناحية كان عليها ساقية فعرفت بساقية مكة، وحرفت الى مكي في العصر العثماني، ووردت باسمها في وصف الحملة الفرنسية لمصر – كما تذكر الدكتورة «سعاد ماهر».

***ميت القايد**.. وردت في معجم البلدان باعتبارها من القرى القديمة. اسمها الاصلي منية القائد، انشأها القائد فضل بن صالح احد قواد جيش الخليفة العزيز بالله الفاطمي. ويذكر ابن مماتي في دواوينه ان منية القائد من الاعمال الجيزية، وفي تاريخ سنة ١٨١٣م حرف اسمها من منية الى ميت ومن القائد الى القائيد.

***ميت عقبة**.. يذكرها المقريزي بانها من القرى القديمة واسمها الأصلي منية عقبة. انشأها عقبة بن عامر الجهني والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن ابي سفيان سنة ٤٥هـ، ولأنها كانت واقعة في ذلك الوقت على الشاطئ الغربي للنيل قبل تحويله الى الشرق عرفت باسم منية عقبة. وفي دواوين ابن مماتي ان منية عقبة من اعمال الجيزة، وفي تاريخ ١٨١٣م حرف اسمها الى ميت عقبة.

ملامح معاصرة في الجيزة

واذا تجاوزنا مجمع الجيزة للمديريات الذي افتتح في ابريل ١٩٦٧م في مناسبة يوم الجيزة، والذي يتألف من سبعة طوابق بالاضافة الى الطابق الأرضي وصالة للاجتماعات بالطابق الثامن، والذي تبلغ مساحة موقعه ٢٫٦٥٠٠ ومساحة مبانيه ١٤ ألف متر مسطح تضم ٣٢٠ غرفة بالاضافة الى صالات للاجتماع في جميع الطوابق، والذي بلغت نفقات انشائه ٢٣٠٫٠٠٠ جنيها. أقول اذا تجاوزنا هذا المجمع نجد أنفسنا أمام مجمع آخر اكثر عراقة.

ذلك هو **مجمع اللغة العربية** الكائن بشارع مراد بالجيزة رقم ٢٦ وقد انشئ بمرسوم صدر في ١٧ ديسمبر عام ١٩٣٢، ثم صدر في عام ١٩٥٥ قانون بشأن تنظيم المجمع وجعله هيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية. واختصاصات المجمع: المحافظة على سلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها وكذلك تحديد ما ينبغي استعماله او تجنبه من الألفاظ والتراكيب .. ووضع معجم تاريخي للغة العربية ونشر بحوث دقيقة في تاريخ بعض الكلمات .. واصدار مجلة تنشر بحوث المجمع [1].

واذ نصل الى جامعة القاهرة نكون قد وصلنا الى اعلى منارة في الجيزة ونكون ايضا قد وقفنا امام شريحة كاملة من التاريخ – فنذكر ان الزعيم مصطفى كامل قد بدأ الدعوة الى انشاء جامعة مصرية باموال الأمة في عام ١٩٠٤ واقترح تسميتها بكلية محمد علي بمناسبة مرور مائة عام على ولاية محمد علي حكم مصر. كان ذلك على صفحات جريدة اللواء – ويقول الدكتور «**حسين فوزي النجار**» ان الامير «**حيدر فاضل**» ايد دعوة مصطفى كامل وطلب من الامراء والأثرياء التبرع لانفاذ المشروع، وان «**محمد فريد**» حين دعا للاحتفال باستقبال مصطفى كامل عام ١٩٠٦ بعد ان نجح في اثارة الرأي العام الانجليزي والأوروبي على أحكام دنشواي كتب اليه مصطفى كامل من باريس يعتذر عن الحفل ويقترح فتح اكتتاب عام لتأسيس جامعة مصرية.

ولكن الفكرة لم تخرج الى حيز التنفيذ – فيما يقول الدكتور النجار – الا على يد «**مصطفى كامل الغمراوي بك**» من اعيان بني سويف – وفي ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٦ نشر نداء في جميع الصحف العربية والافرنجية داعيا لفكرة الجامعة مهيبا بالقادرين من الامة ان ينزلوا الميدان، وقال في ندائه:

«كثر بحث الجرائد في الزمن الاخير في ارتقاء المعارف في مصر، والمعارف والعلوم كما يعلم الناس حياة الأمة وركن ترقيتها وتقدمها وقد استلفت احد المحامين بمقالة نشرها في احدى الجرائد انظار المرحوم منشاوي باشا الى تخليد ذكره بانشاء مدرسة جامعة، فصادف الاستلفات أذنا واعية، وكان في نية المرحوم انشاؤها لو لم يعاجله القضاء، فهل تعجز الأمة المصرية، وهي تزيد على عشرة ملايين، عن ان تقوم بمشروع حيوي نوى تنفيذه فرد واحد، لم تكن ثروته تبلغ جزءا يسيرا من ثروة غيره من الأفراد، وهل لا يعد احجام اغنياء الأمة عن

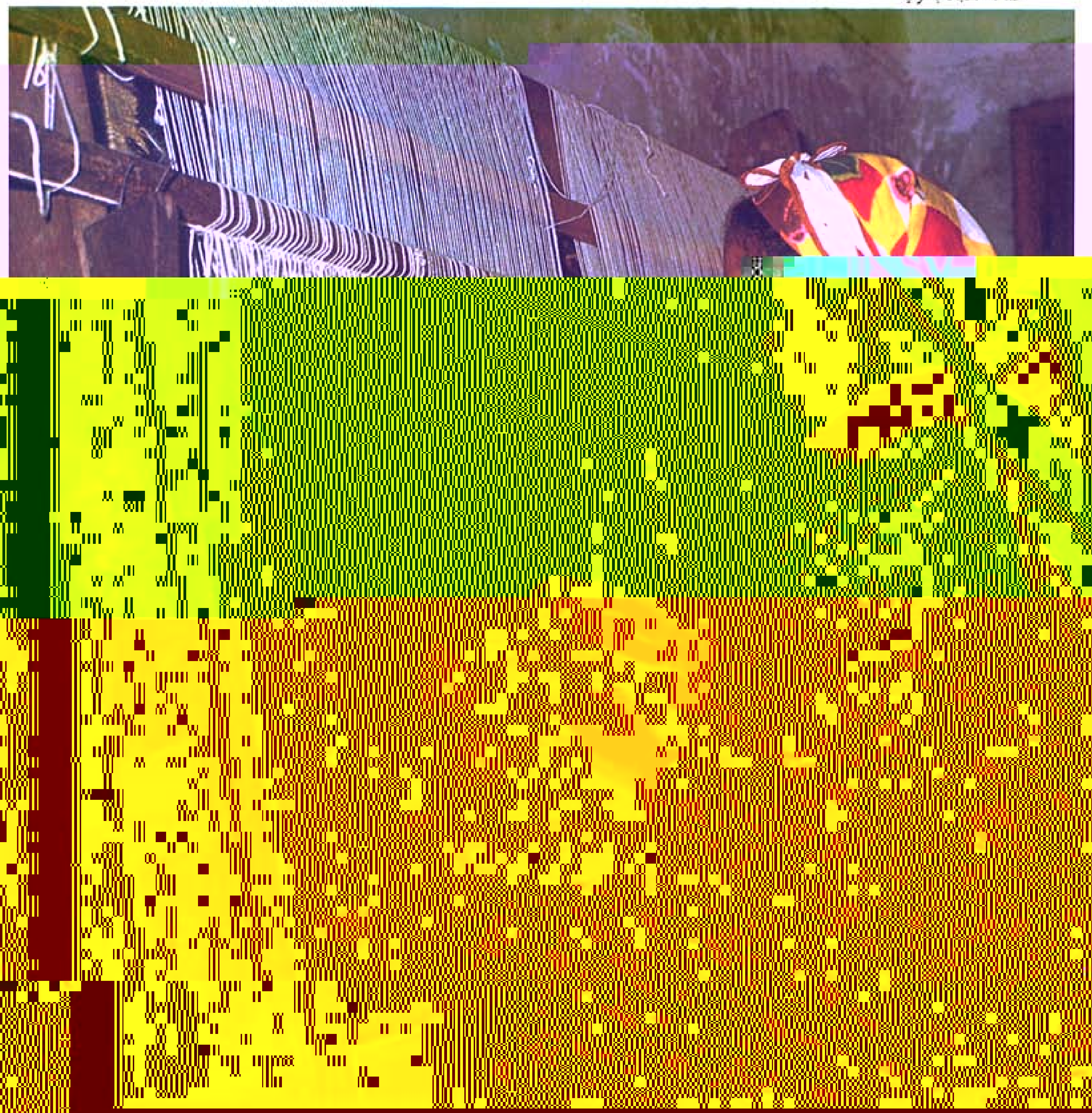
(١) راجع العدد الاول من هذه المجلة الصادر في شهر رجب ١٣٩٧ حديثا مطولا ومعلومات وافية عن هذا المجمع.

الأكتتاب دليلا على انها لا تزال بعيدة عن الترقي الحقيقي؟ وهل يعتقد الناس ان الوطنية تقوم بشقشقة اللسان او ببذل النفس والنفيس في سبيل الوطن وترقيته بالطرق التي تفيد ولا تعني؟ بالطرق التي يجمع عليها العقلاء المعتدلون».

«هذه الأمور جالت في خاطري زمنا، ووجدت ان من العار علينا ان نقف وغيرنا يتقدم، وان نكتفي بالشكوى والتحسر من الزمان والأقدار وحقا ان نشكو من قلة وطنيتنا وبخلنا على الاعمال العظيمة المرقية للوطن. لذلك ولاعتقادي بان على كل منا دينا لوطنه يجب وفاؤه وعدم المماطلة فيه. بادرت للاكتتاب بخمسمائة جنيه أفرنجي لمشروع انشاء مدرسة جامعة مصرية على الشروط الآتية:

أولا: ألا تختص بجنس او دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم فتكون واسطة للألفة بينهم.

صناعة السجاد بالحرانية



ثانيا : أن تكون إدارتها في السنين الاولى في أيدي جماعة ممن يصلحون لادارة مثل هذا المعهد العلمي الكبير وتثبت كفاءتهم للملأ.

ثالثا : أن يكتتب على الأقل ألف من سكان مصر، كل منهم بمبلغ لا يقل عن مائة جنيه، ويجوز ان يزيد هذا المبلغ الى ما شاء كرم الواجب وحبه لوطنه وللانسانية.

رابعا : ان يقام بناء هذه المدرسة في بقعة خلوية من أجمل بقاع مصر، على شاطئ النيل، وتعمل لها حديقة من أجمل الحدائق، وغير ذلك من الأمور التي يقررها المكتتبون.

«ويقيني ان كل من في فؤاده ذرة من حب الوطن الحقيقي من الميسورين يجود بمائة جنيه او أكثر لخير وطنه وخير أولاده ليتربوا في وطنهم التربية الحسنة ولكي تبرهن للأمم الغربية على ان فينا بعض الاستعداد والكفاءة. وأملي ان جرائدنا تترك النزاع الشخصي وتنشئ المقالات الضافية في استنهاض الهمم لاتمام هذا المشروع العضيم. وفي الختام أقول اذا لم يجب هذا النداء ألف من أغنياء مصر، وهم ألوف عديدة فلنخفي وجوهنا أمام كل الأمم، ولنعترف باننا عاجزون عن مباراة الأجانب في مضمار الحياة الأدبية والمادية. وهاأنذا في انتظار ما يكون، فلعل اغنياءنا يقبلون بكلياتهم على هذا المشروع المفيد لأفرادهم وللأمة».

وبدأ الشيخ **علي يوسف** بايعاز من الخديوي عباس موالاة هذه الدعوة وتأييدها ونشرها. وعقد الاجتماع الأول بدار القاضي «سعد زغلول بك» باتفاق المدعوين مساء الجمعة ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ — وكلهم من رجال القضاء والعلم والسياسة والجاه وقد بلغت المبالغ التي اكتتب بها الحاضرون ٤٤٨٥ جنيها مصريا وقرروا ما يلي :

أولا : **انتخاب لجنة تحضيرية من حضرات سعد زغلول بك وكيلا، وقاسم بك امين سكرتيرا، وحسن سعيد بك أمينا للصندوق، ومصطفى كامل الغمراوي بك، ومحمد بك عثمان اباظة ومحمد بك راسم، وحسن بك جمجوم، وحسن باشا السيوفي، واخنوخ أفندي فانوس وزكريا نامق افندي ومحمود بك الشيشيني اعضاء.**

ثانيا : تأجيل انتخاب الرئيس الى الجلسة القادمة.

ثالثا : نشر الدعوة في جميع الصحف المحلية.

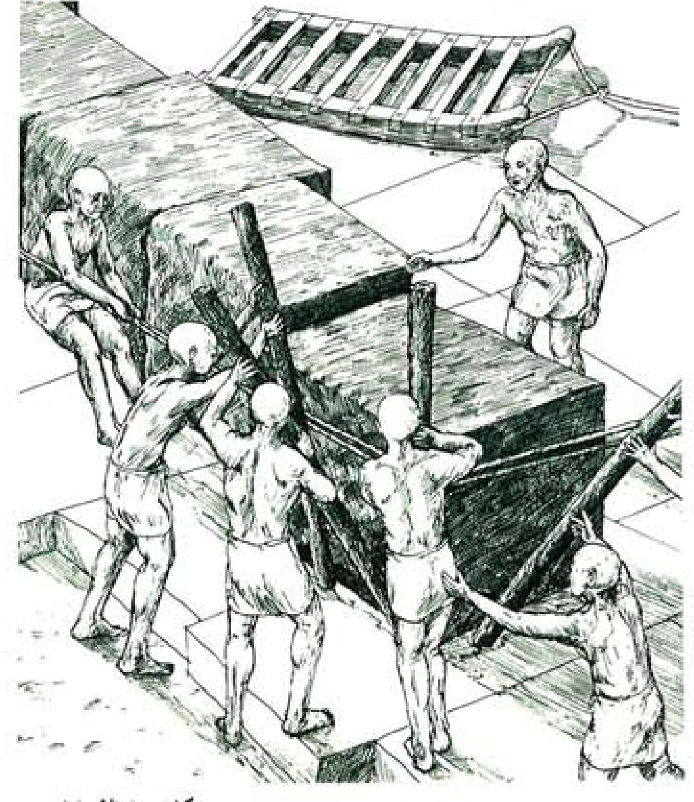
رابعا : الاجتماع مرة أخرى بدعوة خصوصية لانتخاب الرئيس واعضاء اللجنة النهائية.

خامسا : تسمية هذه الجامعة بالجامعة المصرية.

وبدأت التبرعات تنهال على الجامعة — وفي الساعة الخامسة من يوم الاثنين ٣ جمادي الاولى سنة ١٣٣٢هـ الموافق ٣٠ مارس سنة ١٩١٤م تم وضع الحجر الاصلي للجامعة في حفل حضره الرسميون وعلى رأسهم حسين رشدي باشا رئيس مجلس النظار — ورأت الاميرة فاطمة اسماعيل — التي تبرعت بستة أفدنة بجوار سرايها بالدقي لمباني الجامعة ان تكون نفقات حفل وضع الحجر الاساسي للجامعة من مالها الخاص.

وكانت الجامعة حينذاك ممثلة في قسم للآداب فانتخب الاستاذ اسماعيل بك رأفت عميدا له، والاستاذ المستر برس وايت نائبا للعميد والاستاذ محمود أفندي فهمي سكرتيرا للمجلس، وحددت الدراسة بالموضوعات التالية :

آداب اللغة الفرنسية — آداب اللغة الانجليزية — آداب اللغة العربية وتاريخها — تاريخ الأمم الاسلامية — علم تقويم البلدان ووصف الشعوب — تاريخ الشرق القديم.



هكذا بنوا الاهرامات

وكانت اول رسالة تناقشها الجامعة للشيخ **طه حسين** الكاتب المنتسب بقسم الآداب، عن حياة أبي العلاء المعري، وتألفت لجنة الامتحان من الاساتذة **الشيخ محمد الخضري** رئيسا **والشيخ محمد المهدي ومحمود افندي المدرسين بالجامعة واسماعيل بك رأفت والشيخ علام سلامة** ممثلين لوزارة المعارف العمومية. وتقرر امتحان الشيخ الطالب في علم الجغرافية عند العرب وفي المقارنة بين الروح الديني للخوارج في أشعارهم وفي كتب المتكلمين فضلا عن موضوع الرسالة.

ويقول الاستاذ **لطفي السيد** بشأن تحول الجامعة الأهلية الى جامعة حكومية: «على هذا الوعد عقدنا مجلس ادارة الجامعة في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٣ لتسليم الجامعة المصرية الى وزارة المعارف، وكتبنا بذلك عقدا أمضاه **أحمد زكي أبو السعود** باشا وزير المعارف في ذلك الحين، **وحسين رشدي** باشا رئيس الجامعة، وعنيت بأن أذكر في شروط هذا العقد وتلك الجلسة التاريخية التي تم فيها هذا التسليم ان يكون الدكتور طه حسين استاذا في الجامعة الجديدة».

زهور الحرانيّـــــة

وعلى مشارف الأهرام نلتقي بهذه القرية في الطريق الى سقارة، حتى تجاوزت الحدود الجغرافية وأسمعت العالم صوت زهورها الناضجة وتعني بها قرية «الحرانيّة» التي صارت الآن من المعالم البارزة لوجه مصر الفني.

فمنذ سنة ١٩٥٣ بدأ المهندس الفنان «**رمسيس ويصا واصف**» وزوجته الفنانة السيدة «**صوفي حبيب**» هذه التجربة — ويروي الاستاذ **بدر الدين أبو غازي** قصة هذه التجربة قائلا «ان الفنان رمسيس عاد بعد دراسته للعمارة في الفنون الجميلة بباريس الى اساليب البناء المصرية، ووجد في العقد والقبو والقبة دلالات خدمته الى المعمار المصري الأليف .. الى بساطة المسكن المبني بالطوب الأخضر الرصين، واستهوت متعة الروح التي تشع من العمارة المصرية المتواضعة في البيوت القائمة في حي مصر القديمة كما دفعته نحو النوبة حيث السكن الأنيس النابض بمواهب الابداع عند الناس فأخذ يبحث عن نور داخلي يهديه الطريق. أما هي — يقصد زوجته — فقد نشأت في بيئة تشيد بفن الطفل وتسعى الى اكتشافه وشهدت والدها الفنان «حبيب جورجي» يخوض تجربة الفنون التلقائية في النسيج وفي منحوتات صاغتها حماسة الاطفال ومخيلتهم من الطين المصري الاصيل، وعاشت في أسرة أنضم افرادها الى هؤلاء الصبية الذين جمعهم حبيب جورجي وأحاطهم بجذوة حماسه وايمانه غير المحدود بالفكرة.

ويضيف الاستاذ بدر الدين ابو غازي قائلا ان رمسيس ويصا وزوجته مضيا نحو حقول البيئة المصرية بحثا عن تعبير فني ينبع من نفس الطفل الريفي ويفيض بكل ما فيها من نضارة الفكرة، فاتجها الى قرية الحرانية عند مشارف الهرم — ولم يكن مرجع اختيارها سمات خاصة تميز سكان هذا المكان او تجارب فنية سابقة عرفت عنهم .. على العكس كان التعبير الفني شيئا بعيدا ومجهولا لأطفال الحرانية .. وانما جاء الاختيار عن ايمان بان في الطفل طاقة لو رعتها في بكارتها ايد واعية وحفظت لها جذوتها المبدعة لاستطاعت ان تستخلص وجدانها الصافي. لم يتخذ رمسيس سمة المعلم وانما اتخذ صفة المرافقة الأليفة فبدأوا في قطعة صغيرة من الارض وبخيوط من الغزل الملون يكتشفون وجه الجمال في العالم البسيط حولهم ويشكلونه. وجاء اختيار السجاد لاعتبارين، اولهما انه مجال رحب لانطلاق مخيلة الصبية، وثانيهما انه مجال للاجادة الحرفية ولنمائها مع نمو الصورة وتطورها.

وانتقلت تجربة الحرانية الى سويسرا سنة ١٩٥٨ حيث لقي معرضها الاول نجاحا كبيرا، ثم تتابعت معارض الخارج، في سنتي ١٩٦٠، ١٩٦١ اقيمت معارض الحرانية بمتحف الفن الحديث باستكهولم وبعديد من مدن السويد .. وفي سنة ١٩٦٢ عرض صبية الحرانية بمتحف امستردام وبكوبنهاجن. وفي سنة ١٩٦٣ طاف معرضهم بميونيخ وكولون وبادن بادن ومدن اخرى بالمانيا .. وفي سنة ١٩٦٥ اقيم بمتحف الفنون الزخرفية بباريس معرض كبير لصبية الحرانية ودخلت ساحة اللوفر اسماء «جارية وسعدية ابراهيم وكريمة علي وليلى عشري ونيقولا فايق وعلي سليم» وترددت هذه الاسماء في المواقع الخالدة التي اقترنت باسماء اعلام الفن في العالم. وفي سنة ١٩٦٦ عادت اعمال الحرانية الى السويد ثم عرضت في بينالي لوزان الدولي للسجاد سنة ١٩٦٧.

ويضيف **الاستاذ بدر الدين أبو غازي** قائلا ان العالم أخذ بروعة التجربة وأصالتها وبهذا العالم الشعري النابع من ذات الشعب ومن صميم وجدانه. وصدر عن فن الحرانية كتاب رائع بعنوان (ازهار الصحراء)، بينما أثر فن هؤلاء الصغار في كبار فناني النسيج في العالم فصمموا على رفض النماذج المسبقة وسعوا الى التغيير المباشر. وفي الولايات المتحدة تفرد احدى الرسائل الجامعية بحثا عن فن الحرانية.

عندما يطول السفر



اللهِ..كم تعدو عليّ أثري ... خيلِ الأسى وكتائب القَدَرِ
ترمي كياني أسهُمٌ وقناً ... صيغَتْ من الآلامِ والسَّهَرِ
لكأنها حقدت عليَّ فلم.. ... تَرَ غير رَزْئي منتهى الوَطَرِ
ولقد حذرتُ ولم أزل حذِراً ... لكنني لم أنجُ بالحذر..
وإذا الليالي ناصَبَت أحداً ... بعدائها ألقته في الخَطَرِ
وَطَغَت فلم تترك لمبتئسٍ ... أملاً، ولا عذراً لمُعتذرِ
وأرت دخائلها مكشَّفةً ... فلها ضميرٌ غير مستَتِرِ
طَبعُ الليالي ليس مبتدعاً ... وكذاكَ طَبعُ الناسِ والبشَرِ

* * *

إني شجيتُ وما الشجي أبداً ... يسطيع يدفعني الى الخَوَرِ
فحصيلتي عِبرٌ تهدّني.. ... من دهريَ المملوء بالعِبَرِ..
أضنيتُ بالأسفارِ راحلتي ... فقضت..ولما ينقضي سفَري
في كلِ يوم مَهمَهٌ نكدٌ ... يجتاحني بالهمّ والضَجَرِ..
تتقاذفُ الأنحاء بي وأنا ... قَلبٌ كسيرٌ غير منجبرِ



وظوالِمُ الأيامِ تقهرني..   تبدي لنفسي ظلمها وتُري

* * *

غَنَّيتُ حتى لم أجد أذُناً   تصغي..وحتى مَلَّني وَتَري
وطرقتُ أبوابَ الرؤى بيَدٍ   منقوشةِ الأطراف من فكَري
ورَشفتُ من كأس المُنى رَشْفاً   تنسي الكئيب مضاضَّة العُمُرِ
فوجدتُ منكِ أرَقَّ أغنيةٍ   أشدو بها فرداً وفي سَمَري
ولمحتُ في عينيكِ فاتنتي   إلهاميَ المحفوف بالصُوَرِ
ولَقيتُ منك أيا مدلِهَتي   أحلى المُنى في حبك النَّضِرِ
ما راح فيٍّ الشوقَ يا أملي   متدافعاً زُمَرا على زُمَرِ
إلا وكنتَ اليك أبعثه   ذكرى ليوم غير مُدَّكِرِ..

* * *

ياغيمةً تختال في أُفُقي   لم تُبدِ من صَحوٍ ولا مَطَرٍ..
حتامَ «...» أظل على   لَهَفي إلى مغناك والثَّمَرِ
سأظلُ طولَ الدهرِ منتظراً   وَلَو أنّ دهري غيرُ منتظَرِ

شعر:
احمد بهكلي



أول سيرة نبوية في العصر الحديث مازالت مجهولة!

بقلم: د. فاروق أبوزيد



الطهطاوي

رغم كثرة الكتب التي وضعت في السيرة النبوية الشريفة الا ان كتاب «نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز» يحتل مكانا فريدا بين هذه الكتب وتعود هذه المكانة الى مجموعة من الاسباب الهامة:

** اول هذه الاسباب: ان مؤلف الكتاب هو رفاعه رافع الطهطاوي احد رواد الفكر العربي والاسلامي الحديث ... وقد ولد رفاعة رافع الطهطاوي في عام ١٨٠١ بمدينة طهطا في صعيد مصر .. من اسرة تنتسب الى جعفر الصادق حين بلغ السادسة عشرة جاء الى القاهرة ليدرس في الازهر وكان ذلك في عام ١٨١٧ ... وفي الازهر تتلمذ الطهطاوي على يد الشيخ حسن العطار.

مكث الطهطاوي في الجامع الازهر طالبا نحو خمس سنوات من عام ١٨١٧ حتى عام ١٨٢٢ - وعمل بعد تخرجه مدرسا في الازهر - ثم واعظا واماما في الجيش ... وفي ربيع عام ١٨٢٦ انتهز محمد علي باشا حاكم مصر في ذلك الوقت فرصة مرور السفينة الحربية الفرنسية لاتروبت فكلف قبطانها روبيار ان يحمل معه الى مرسيليا اربعين شابا ليدرسوا في باريس فاشار الشيخ حسن العطار على محمد علي ان يضيف الى الطلبة اماما يسهر على شؤون دينهم في تلك البلاد البعيدة ورشح حسن العطار تلميذه رفاعة اماما للبعثة ... وفي باريس لم يكن مطلوبا من امام البعثة ان يتعلم علوم الفرنسيين وانظمتهم بل يكفيه ان يؤدي وظيفة الامامة لاعضاء البعثة وما اليها من الوعظ والارشاد[1] ... ولكن الطهطاوي اقبل على الدراسة بجهد وشغف فاق به زملاءه من طلاب البعثة الذين ذهبوا في الاصل للدراسة ... وقد وصل به الامر ان اتخذ له معلما خاصا يعلمه الفرنسية على نفقته[2] ... ولقد لفت ذلك انتباه «جومار» مدير البعثة فجعله موضع عناية وكان جومار مهندسا جغرافيا من علماء الحملة الفرنسية الذين اصطحبهم

(١) عبد الرحمن الرافعي - عصر محمد علي - ص ٣٨٦

(٢) علي مبارك - الخطط التوفيقية - الجزء ١٣. ص ٥٤



محمد حسين هيكل

العقاد

بونابرت الى مصر ... وهو الذي اشرف على نشر الكتاب الضخم الذي ضم دراسات علماء الحملة بأسم «وصف مصر».

قضى الطهطاوي في باريس خمس سنوات (١٨٢٦-١٨٣١) عاد بعدها الى مصر لينشر اول مؤلفاته «تخليص الابريز في تلخيص باريز» .. وفي مصر تقلد الطهطاوي العديد من المناصب .. فعمل مدرسا للترجمة بمدرسة الطب ... فمدرسا للترجمة ايضا بمدرسة المدفعية فمؤسسا وناظرا لمدرسة الالسن التي عدت بفضله اشبه ما تكون بجامعة تضم كليات للآداب والحقوق والتجارة[٢] ...وعمل ايضا مشرفا على قلم الترجمة الذي الحق بعد ذلك بمدرسة

الذي كان يوجه سياسة التعلم في مصر.

وكان الطهطاوي ايضا احد رواد الصحافة في عصره فقد تولى رئاسة تحرير صحيفة (الوقائع المصرية عام ١٨٤٢) وحولها من مجرد نشرة رسمية الى صحيفة استكملت كل مواصفات الصحيفة الحديثة ...كذلك تولى الطهطاوي رئاسة تحرير مجلة «روضة المدارس المصرية» وهي مجلة ثقافية.

... وقد اظهر اول عدد منها في عام ١٨٧٠ وفيها نشر كتابه «نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز» على فصول متفرقة.

وللطهطاوي كثير من المؤلفات والترجمات منها «تخليص

المؤلفات في الاسلاميات غير «نهاية الايجاز».

** وثاني هذه الاسباب: ان هذا الكتاب كان ثمرة للتزاوج بين الحضارة الاوربية وانجازاتها العلمية والفكرية الحديثة، وبين العقل العربي المسلح بالتراث الاسلامي ... فقد كان «نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز» اول كتاب وضع في السيرة النبوية في العصر الحديث ... فقد انقطع المؤرخون عن كتابة السيرة .. على كثرة ما كتب فيها من قبل .. نيفا واربعة قرون ... وكان كتاب «امتاع الاسماع بما للرسول من خولة وحفذة ومتاع» للمؤرخ المصري تقي الدين المقريزي في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي آخر ما كتب فيها .. ثم جاء رفاعة الطهطاوي فكتب هذه السيرة الجديدة فصارت من بعده تقليدا راسخا من تقاليدنا الفكرية يؤديها كل كاتب عربي كبير .. ولذلك لم يطرق مؤرخ من بعده ميدانها .. حتى كتب الدكتور محمد حسين هيكل .. «حياة محمد» في عام ١٩٣٥ وكتب الدكتور طه حسين «على هامش السيرة» وكتب العقاد «عبقرية محمد» وبذلك كان «نهاية الايجاز» فتحا جديدا في التاريخ للسيرة، وفي كتابة التاريخ الاسلامي على نمط حديث[1].*

** وثالث هذه الاسباب: ان «نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز» اول مؤلف عربي في السيرة يضع من بين اهدافه الرد على الصورة المشوهة التي رسمها الكتاب الغربيون الذين تصدوا للتأليف في الاسلام .. فقد اطلع الطهطاوي بحكم سفره الى باريس ومعرفته للغة الفرنسية .. وسعة اطلاعه على المؤلفات الاوربية .. على الكثير من هذه الكتابات التي تعرضت للاسلام ولنبيه بغير الحق .. وعلى سبيل المثال فقد قرأ الطهطاوي وهو في باريس ضمن ما قرأ للفيلسوف الفرنسي (فولتير) ... مسرحية (محمد) التي امتلأت بالهجوم على الاسلام وعلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته ... ومهما قيل عن ان فولتير كان يستخدم (الاسلام) ستارا لا



ان كتاب نهاية الحجاز، يحتل مكانًا فريدًا وضعت في السيرة هذه المكانة إلى

يقصد من ورائه سوى مهاجمة البابا ورجال الكنيسة الكاثوليكية في ذلك الوقت ... فان ذلك لا ينفي تشويه فولتير لحقيقة الاسلام ونبيه.

كذلك فقد قرأ الطهطاوي من بين ما قرأ من مؤلفات الفيلسوف الفرنسي (مونتسكيو) مؤلفه الضخم (روح الشرائع) ... ورغم اعجاب الطهطاوي بموفسكيو لدرجة ان اطلق عليه (ابن خلدون الافرنج) الا انه رفض ما كتبه مونتسكيو في كتابه (روح الشرائع) – حيث ادعى ان الاستبداد صفة ملازمة للدين الاسلامي.

ولقد تصدى الطهطاوي للرد على مونتسكيو في عام ١٨٤٢ في احدى افتتاحياته لصحيفة الوقائع المصرية التي كان يتولى رئاسة تحريرها في ذلك الوقت حيث يذكر ان «الافرنج وبالذات فيلسوفهم مونتسكيو يعدون الحكومات الاسلامية من قبل المطلقات التصرف ... والحال انها مقيدة اكثر من قوانينهم فان الحاكم الاسلامي لا يخرج اصلا عن الأحكام الشرعية التي هي اساس للقوانين السياسية ولاتساع الشريعة المحمدية وتشعب ما يتفرع عن اصولها ظن من لا معرفة له ان ما يفعله حكام الاسلام لا وجه له في الشرع»[1].

ومن يتصفح «نهاية الايجاز» يجد بين دفتيه ردودا كثيرة – وان كانت غير مباشرةً على العديد من المؤلفات الاوربية التي كانت قد ظهرت حتى ذلك الوقت وهو يرد عليها بالمنطق الذي يفهمه الاوربيون «اي الحجة في مواجهة الحجة» ... وهو في ذلك كله يحرص على ان يخاطب عقل القارئ مستهدفا الوصول به الى درجة الاقتناع العقلي الخالص بكل ما يطرحه من حقائق واراء.

** وتصل بنا الحقيقة السابقة الى السبب الرابع والاخير لاهمية كتاب «نهاية الايجاز» من بين كتب السيرة النبوية ...

---

[1] د. عبد اللطيف حمزة ادب المقالة الصحفية – ص ١٣٠–١٤٠ و د. ابراهيم عبدة – تطور الصحافة المصرية الطبعة الاولى – مطبعة التوكل – القاهرة ١٩٤٤ – ص٦٢.

* المجلة: فات الكاتب ان يذكر عددا من الكتب التي تناولت السيرة النبوية الشريفة مثل:

١– كتاب «محمد المثل الاعلى» تأليف جاد المولى بك من كبار العلماء في مصر وعضو مجمع فؤاد سابقاً.

٢– كتاب «بطل الابطال» تأليف عبد الرحمن باشا عزام.

٣– كتاب «محمد» تأليف نظمي لوقا.

٣– مسرحية «محمد» تأليف توفيق الحكم .. وغيرهم.

[1] صحيفة الوقائع المصرية – العدد ٦٢٣ – مقال بعنوان (تمهيد) غرة ربيع آخر سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م)

الإيجاز في سيرة ساكن بين الكتب التي النبوية الشريفة ما وتعود مجموعة من الأسباب.

وهو نوعية المنهج الذي استخدمه الطهطاوي في طرح القضايا ومناقشتها وفي سرد الحقائق وتحليلها فقد طرق الطهطاوي في هذا الكتاب آفاقا جديدة لم يطرقها من سبقه ممن تصدوا للكتابة في السيرة النبوية .. اذ لم تزد غالبية كتب السيرة التي ظهرت قبل كتاب «نهاية الايجاز» عن مجرد سرد تاريخي للوقائع والاحداث.

اما الطهطاوي فقد انفرد من بين كتاب السيرة باستحداث ثلاثة مناهج للبحث في كتابه الاول: انه استخدم المنهج العقلي في تحليل وقائع السيرة واحداثها بحيث قدم لنا السيرة النبوية من خلال المعرفة العقلية ... فهو لا يقصر المعرفة العقلية على الوقائع المادية وحدها وانما يمدها ايضا الى مجالات العقيدة والايمان ... فهو يحلل الخوارق والمعجزات التي اتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم ويخضعها للتحليل العقلي فيؤكدها ويثبتها ... فيصير التسليح بها ليس مجرد تسليح وجداني قائم على الايمان وحده ... وانما تسليم عقلي مبني على الاقتناع أيضا.

ان اهمية استخدام الطهطاوي لهذا المنهج في كتابه انه كان يحمي به التراث العقلي في الثقافة العربية الاسلامية بعد ان طمس هذا التراث لعدة قرون مسبقة ... وهي قرون الانحطاط العربية ففي عصر ازدهار الحضارة العربية كان علماء الاسلام يقولون بسلطان العقل ... وكانوا اذا تحاكموا فالى سلطان العقل ... واذا حاجوا فبحكم العقل .. واذا تعارض دليل النقل ودليل العقل ... اوجبوا تأويل دليل النقل بما يوافق دليل العقل او عملوا بدليل العقل ... واذا تعارض حديث مع العقل اعتبروا الحديث مزورا غير صحيح.[1]

وقد كان الطهطاوي من الذين يعتقدون ان القرآن والاحاديث قد حثت المسلمين على الاجتهاد في المسائل الشرعية...فالاسلام في رأيه يجمع بين الدين والشريعة...اما الدين فقد استوفاه الله في كتابه .. واما الشريعة فقد استوفى اصولها ثم نزل للنظار الاجتهادي فصيلها ... وقد وضع الطهطاوي كتابا صغيرا سماه «بقاء حسن الذكر باستخدام الفكر» اكد فيه «ان بقاء الذكر بفضل العلم من اشرف الكمالات والجامع لفضيلتي المعقول والمنقول افضل من المتفرد بواحدة منهما .. والمنفرد بواحدة منهما الكامل فيها خير من غير الكامل فيهما .. قال العلماء الماضون لا اضل من نصف اصولي ولا الحن من نصف نحوي ولا اجهل من نصف فقيه ولا اقتل من نصف طبيب ولا اهذى من نصف معقولي فالاول يفسد الاديان والثاني يفسد اللسان والثالث يفسد الاحكام الفرعية والرابع يفسد الابدان والخامس يفسد الاصول الشرعية فان كثيرا ممن ينسب الى المعقولات عارض كثيرا من الكتاب والسنة وانكر ما وردت به الشرائع وذلك لكلال ذهنية ووقوف فهمه لما تمكن منه النظر في علم المعقولات التي ما اتقنها ولا حققها فاختلفت عليه الامور والتبست وعلى هذا الوصف كان فلاسفة الحكماء وغالب اهل المنطق وذلك لانهم لما لم يتقنوا المعقول كل الاتقان خاضوا في الشرائع والاديان بالقول انها تخالف القواعد العقلية فلم يسعهم الا ردها او تحريفها لتوافق المعقول بزعمهم ولو اتقنوا المعقول لعلموا ان الشرع لم يرد بما يخالف العقل البتة. فكانوا يطبقون الاحاديث على المعقولات[2].

والثاني: استخدامه (المنهج الاجتماعي) في تحليل وقائع السيرة واحداثها فهو لم يكتف بسرد احداث السيرة سردا تاريخيا مجردا وانما مهد لذلك بدراسة الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي كان قائما في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الدعوة الاسلامية ثم بعد ظهورها بل لقد انفرد الطهطاوي دون غيره من كتاب السيرة بالتاريخ للحكومة الاسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث رأى في اعماله عليه الصلاة والسلام ما وضع نواة للنظام الاسلامي في الحكم والادارة والتشريع.

والثالث: والكتاب لا يخلو من اجزاء كثيرةيستخدم فيها الطهطاوي منهجا آخر مختلفا عن المنهجين السابقين: العقلي والاجتماعي، وهذا المنهج الثالث يقوم على التسليح المطلق بكل ما يتعلق بالرسالة السماوية اي ذلك الجزء المتعلق بالعقيدة الاسلامية نفسها – وهنا يؤكد الطهطاوي ان الايمان اقتناع وجداني ليس شرطا ان يكون وليد النظر العقلي او

---

(١) قدري حافظ طوقان – مقام العقل عند العرب – دار القدس ببيروت ص ١٢

(٢) رفاعة رافع الطهطاوي – بقاء حسن الذكر – باستخدام الفكر (صحيفة روضة المدارس المصرية العدد الثالث – السنة الاولى – ١٨٧٠

التأمل الفكري وانما هو ايمان يملأ القلب والوجدان ... فالعقل البشري محدود القدرة لا يستطيع ان يحيط بكل اسرار الوجود وحقائقه في حين ان القلب والوجدان يمكن ان يدرك كثيرا من هذه الحقائق والاسرار .. فالايمان يقع في هذه المنطقة ... منطقة القلب والوجدان.

وعندئذ نكتشف اصالة الطهطاوي ومعاصرته في نفس الوقت ... وذلك في مزجه الخلاق وملاءمته بين العقل والقلب ... بين الايمان والاقتناع وهو بذلك كشف عن جوهر الثقافة العربية. وعن عبقرية العقل العربي هذا العقل الذي استطاع ان يجمع بين المعرفة الوجدانية وبين المعرفة العقلية او بين المادة والروح. فالطهطاوي في نهاية الايجاز يتناول السيرة النبوية بعقله احيانا ... واحيانا اخرى يتناولها بقلبه.

ولقد بدأ نشر «نهاية الايجاز» في مجلة روضة المدارس المصرية ... في فصول متتابعة كملاحق للمجلة ابتداء من سنتها الثالثة ... ولكن رفاعه الطهطاوي توفى قبل ان يتم نشر الكتاب كاملا في روضة المدارس وترك مسوداته لابنه علي فهمي كامل الذي قام على هذه المسودات يعيد قراءتها حتى انجز نشرها كاملة في روضة المدارس وكان ذلك في سنتها الخامسة اي بعد وفاة الطهطاوي بعامين كاملين.

وقد قسم الطهطاوي الكتاب الى عدة ابواب – وجعل في كل باب عدة فصول – تماما كتلك التقسيمات التي نراها اليوم في الكتب والدراسات العلمية الجامعية ... فالباب الاول خصصه (لمولد الرسول صلى الله عليه وسلم الى بعثته) وضم هذا الباب عدة فصول .. تناول الفصل الاول. في مولده الشريف ونسبه المنيف ورضاعته وكفالته «والفصل الثاني «في ذكرى عمل مولده الشريف واشهارة كل سنة وفيما جرى في مولده وفيما بعده من وقائع» والفصل الثالث «في زواجه بخديجة بنت خويلد رضى الله عنها وما رزقه الله من الذرية منها». وخصص الباب الثاني في مبعثه صلى الله عليه وسلم ودعائه الناس الى الدين الحق وهجرته"

.. وضم هذا الباب عدة فصول تناول الفصل الاول (في رسالته صلى الله عليه وسلم على رأس الاربعين الى كافة الناس بشيرا ونذيرا» والفصل الثاني «في الهجرتين الى الحبشة» والفصل الثالث «في هجرته صلى الله عليه وسلم الى الطائف» قبل هجرته الى المدينة المشرفة، والفصل الرابع «في الاسراء به صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرم وعروجه من المسجد الاقصى الى السموات العلى».

اما الباب الثالث فقد خصصه الطهطاوي للحديث (في



هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وما ترتب على ذلك من المظاهر الاسلامية والظواهر التعليمية وقسمه الى عدة فصول خصص الفصل الاول للحديث (في الاسباب الباعثة على هذه الهجرة والتمهيد لها) والفصل الثاني (في سيرة مهاجر الى المدينة مع صاحبه صديقه رضى الله تعالى عنه ... وهو ابتداء التاريخ الاسلامي) والفصل الثالث (في ذكر الظواهر الحادثة بعد الهجرة اجمالا).

اما الباب الرابع فقد خصصه الطهطاوي للحديث في تفاصيل الظواهر التي حدثت بعد هجرته عليه الصلاة والسلام الى وفاته صلى الله عليه وسلم وتناول الفصل الاول (في ظواهر السنة الاولى من الهجرة وما فيها من الغزوات) والفصل الثاني (في ظواهر السنة الثانية من الهجرة وما فيها من الغزوات) والفصل الثالث (في ظواهر السنة الثالثة من الهجرة وما فيها من الغزوات). والفصل الرابع (في ظواهر السنة الرابعة من الهجرة وما فيها من الغزوات). والفصل الخامس (في ظواهر السنة الخامسة وما فيها من الغزوات). والفصل السادس (في ظواهر السنة السادسة وما فيها من الغزوات). والفصل السابع (في ظواهر السنة السابعة وما فيها من الغزوات). والفصل الثامن (في ظواهر السنة الثامنة وما فيها من الغزوات). والفصل التاسع منها (في ظواهر السنة التاسعة وما فيها من الغزوات).

وفي هذا الفصل (التاسع) قام علي فهمي رفاعة بعمل جدول لغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كان والده رفاعة الطهطاوي ينوي اعداده ولكن المنية عاجلته قبل ان يشرع فيه.

اما الفصل العاشر في هذا الباب فقد خصصه الطهطاوي للحديث (فيما وقع من وفود العرب عليه صلى الله عليه وسلم وفي حجة الوداع).

وفي الباب الخامس تناول الطهطاوي الحديث (في وفاته صلى الله عليه وسلم وذكر بعض اخلاقه وصفاته ومعجزاته وازواجه واعمامه وعماته واخواله ومواليده وخدمه وحشمه صلى

الله عليه وسلم) وتناول الفصل الاول (في ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بذلك) والفصل الثاني (في ذكر بعض اخلاقه وصفاته صلى الله عليه وسلم) والفصل الثالث (في ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم) وفي الفصل الرابع (في ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وقرابته ومواليده).

اما الباب السادس فقد تناول فيه الطهطاوي الحديث (في الوظائف والعمالات البلدية خصوصية وعمومية اهلية داخلية وجهادية التي هي عبارة عن نظام السلطنة الاسلامية وما يتعلق بها من الحرف (والصنائع والعمالات الشرعية على ماكان في رسول الله صلى الله عليه وسلم) وخصص الفصل الاول (في خدمة الخاصة به صلى الله عليه وسلم) والفصل الثاني (بما يضاف الى الامامة العظمى من الاعمال الاولية كالوزارة والحجابة وولاية البدن والسقاية والكتابة) والفصل الثالث (في العمالات الفقهية وما يضاف اليها) والفصل الرابع (في بعث الرسول يدعو الى الاسلام او للصلح او للامان او لمصلحة وغير ذلك من السفارات وما يتعلق بذلك من الترجمة وغيرها) والفصل الخامس في كتابة الجيش والعطاء والديوان والزمام وبيان ان الديوان له اصل في عهده صلى الله عليه وسلم) والفصل السادس (في العرفاء والمحاسبين) وخصص الطهطاوي الباب السابع في الحديث (في العمالات المتعلقة بالاحكام بالامارة العامة على النواحي والقضاء وما يتعلق به من اشهاد الشهود وكتابة الشروط والعقود والمواريث والنفقات والقسام وناظر البناء للتحديد وذكر المحتسب والمنادي ومتولي حراسة المدينة والجاسوس لاهل المدينة والسجان ومقيمي الحدود). وتناول الفصل الاول (في الامارة والقضاء وما يتعلق به من اشهاد الشهود وكتابة الشروط والعقود). والفصل الثاني (في فارضي المواريث وفارضي النفقات والقسام وناظر البناء للتحديد) والفصل الثالث (في ذكر المحتسب والمنادي البريح[1] وصاحب العسس[2]...ومتولي حراسة المدينة والجاسوس لاهل المدينة والسجان ومقيمي الحدود).

اما الباب الثامن فقد تناول فيه الطهطاوي (في العمالات الجهادية وما يتشعب منها او ما يتعلق بها) وتضمن الفصل الاول (في الامارة على الجهاد واستخلاف الامام على حضرته[3] او على اهله اذا خرج عنها للغزو او غيره وذكر

---

[1] شديد الصوت.

[2] الباحث او اجهزة الامن بلغة عصرنا.

[3] مدينته.

المستنفر) والفصل الثاني (في صاحب اللواء وذكر اول لواء عقد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم) والفصل الثالث (في انقسام الجيش الى خمسة اقسام) والفصل الرابع (في صاحب الخيل والمسابقة) والفصل الخامس (في سلاح النبي صلى الله عليه وسلم واعداده السلاح في سبيل الله وذكر من تولى النظر في ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم وسمي صاحب السلاح وذكر من تولى حرسه) والفصل السادس (في ذكر ما يتعلق بالسفر للغزو وغيره من الدلالة وتسهيل الطريق والحراسة والتجسس ومنه تخذيل الاعداء والامانة على الحرم) والفصل السابع (في صاحب الثقل[1]). والفصل العاشر (في البشير الذي بعث للبشارة بالفتح) والفصل الحادي عشر (في ذكر ما استعمل من السفن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي اخبار النبي صلى الله عليه وسلم ان ناسا من امته يركبون البحر غزاة في سبيل الله).

اما الباب التاسع فقد تناول فيه الطهطاوي الحديث (في العمالات –الجبائية) وتناول الفصل الاول (في صاحب الجزية وصاحب الاعشار والترجمان ومستوفي خراج الارضين وصاحب المساحة والعامل على الزكاة والصدقات والخارص والفصل الثاني (في الاوقاف) والفصل الثالث (في صاحب المواريث والمستوفي والمشرف).

اما الباب العاشر فقد خصصه الطهطاوي للحديث (في العمالات الاختزانية) وتناول الفصل الاول (في صاحب بيت المال وهو خازن النقدية وفي خازن الطعام وفي الوزان وفي الكيال) والفصل الثاني (في الاوزان والاكيال الشرعية المستعملة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي ضرب السكة) والفصل الثالث (في اتخاذ الابل والفتح ورسم الدواب وفي جمع الامام مراعي للنعم الواردة من الزكاة).

اما الباب الحادي عشر فقد تناول فيه الطهطاوي الحديث (في عمالات مختلفة) وتناول الفصل الاول (في المنفق وفي الوكيل وفي الامور المالية وفي انزال الوفد في دار الضيافة وفي انزال الوفد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) والفصل الثاني (في المارستان والطب والرقية والفصد والكي والمكان الذي اتخذ لايواء الفقراء الذين لا يأوون على اهل ولا مال).

---

[1] بفتح الثاء والقاف وهو متاع المسافر وحشمه.

اما الباب الثاني عشر - والاخير فقد خصصه رفاعه الطهطاوي للحديث (في حرف وصناعات كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وتضمن الفصل الاول (في التجارة وتوابعها) والفصل الثاني (في حرف مختلفة للرجال) دون الصنائع المذكورة لهم والفصل الثالث (في النساء المحترفات فيا يليق بهن).

ويختم رفاعة الطهطاوي كتابه قائلا (ان هذاالقدر من سيرته الشريفة صلى الله عليه وسلم كاف في التبرك بذكره الشريف وفي الدلالة على انه صلى الله عليه وسلم افضل الخلق وشريعته افضل الشرائع وامته اكرم الامم وعلماؤها اكرم العلماء. واما حصر فضائله ومعجزاته وما خصه الله به الدنيا والآخرة واعده له فلا سبيل لاحد اليه ولا يحوم طائر فكره عليه ولا يعلمه الا الله تعالى اللهم ادخلنا في شفاعته وامتنا على ملته واحشرنا في زمرة امته).

وهناك خلاف حول التاريخ الذي انتهت عنده ابواب «نهاية الايجاز» في سيرة مساكن الحجاز ويبرز في هذا المجال وجهتي نظر:

فتميل الاولى الى القول بان الطهطاوي قد وقف في نهاية الايجاز عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبدأ خلافة أبي بكر الصديق[1].

اما وجهة النظر الاخرى فتميل الى القول بأن الطهطاوي توسع في الكتاب حتى وصل الى خلافة (المطيع) .. وهو الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء الدولة العباسية (٩٤٦-٩٧٤ هـ) ... وان ابنه علي فهمي رفاعة .. قد شمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تكميله على حسب المراد بعد ان استأذن في ذلك وتصرح له بالتمام.[2]

ولكن الكتاب كما نشر في روضة المدارس يقف كما رأينا عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ... فهو لم يتعرض لخلافة ابي بكر الصديق ولا لمن بعده من الخلفاء الراشدين او الخلفاء الامويين او العباسيين .. ولكن اذا ما تفحصنا بعناية الخاتمة التي اضافها علي فهمي رفاعة لكتاب «نهاية الايجاز» فسوف نكتشف العديد من الحقائق التي تزيح الستار عما خفي من اخبار هذا الكتاب ... ففي هذه الخاتمة المنشورة في مجلة روضة المدارس يذكر على فهمي رفاعة (ان هذا الكتاب - يقصد نهاية الايجاز - وكتاب المرشد الامين في تربية البنات والبنين كان الوالد قد أتم تسويدها رحمه الله. ولم يزل يصحح ما يلزم طبعه شيئا فشيئا الى ان استأثره الله وبرحمته تولاه ... فكان احجام سابق براعته في مضمار التصحيح عند الاقدام عند الملزمة الرابعة والستين من هذه السيرة يعني عند قوله الفصل التاسع في ظواهر السنة التاسعة وما فيها من غزواته - عليه الصلاة والسلام فلم تأخذني في تتبع أثره لومة لائم وتتبعت الباقي من مسوداته قراءة وتصحيحه حرفا واثباتا قاصدا بذلك بر الوالد وثواب الحق الدائم)).

ولكتاب .. نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز ميزة اخرى بالاضافة الى كل ما سبق تجعله من أهم كتب الطهطاوي .. فقد كان آخر مؤلفاته .. وبالتالي فانه يصور لنا ما وصل اليه أسلوب الطهطاوي في فن الكتابة .. وخاصة اذا ما قارناه بأسلوبه في كتبه الاولى وبالذات «تخليص الابريز في تلخيص باريز» فقد كان اسلوب الطهطاوي في كتبه الاولى ومقالاته أميل الى استخدام ما كان شائعا في عصره من غلبة السجع والتشبيه والاستعارة والامثال .. اذ كان كتاب عصره مولعين بالبديع على صورة منفرة من طريقة القاضي الفاضل ومن سبقه من ادباء العربية الحريري وبديع الزمان وغيرهما ... فاذا اضفنا الى ذلك ان كتاب هذا العصر لم تكن لهم مثل ثقافة ولا موهبة القاضي الفاضل او الحريري او بديع الزمان لذلك جاءت كتاباتهم اقرب الى التقليد منها الى الابتكار .. ذات نسيج فني رديئ قد يثير في كثير من الاحيان ضحك القارئ المعاصر وسخريته .. اما في نهاية الايجاز فقد قل استخدام الطهطاوي للمحسنات اللفظية كثيرا حتى كادت تختفي في بعض الفصول تماما.

وفي هذا الكتاب وضع الطهطاوي الاساس للاسلوب الحديث في الكتابة بالعربية وهو اساس قائم على توخي البساطة والسهولة والابتعاد عن التعقيد والتقعر والتحرر الكامل من قواعد الزينة اللفظية.

وبعد هذا هو كتاب نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز ... الذي نقدمه الى القارئ .. والذي يمكن ان نقول عنه وبدون ان نتهم بالتجاوز انه يقف في صف واحد مع أهم الكتب التي ابدعها العقل العربي تاريخه الحديث.

---

[1] جمال الدين الشيال - التاريخ - المؤرخون - ص٨٣

[2] صالح مجدي - حلية الزمن في مناقب خادم الوطن - ص٦٣-٦٤


العالمية
فى الأدب

وقبل التعرض لهذا السؤال او ذاك يجدر بنا ان نتوقف بعض الشيء عند مظهرين ثانويين من مظاهر القضية:

اما **المظهر الأول** فهو انها قضية ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. فالرحمة التي تبثها آثارها على هذا النحو تكمن في ان ادبنا ادب طموح لانه ينتمي لامة طموح، والطموح رحمة، وتحريك كوامن الطموح رحمة ايضا. اما العذاب فيتدرج تحت هذا السطح مباشرة ويسفر عن وجهه في صور شتى ابرزها إيلام النفس وادانتها بالتقصير، وكأن عدم الحصول على جائزة نوبل هذه سقطة ما بعدها سقطة!

واما **المظهر الثاني** فيتعلق بجائزة نوبل نفسها من حيث هي اعتراف بالأهمية وتتويج للنضج والتفوق. احب ان اوضح ان الفوز بأية جائزة ليس وحده شهادة بالنبوغ او التفوق، والتعلق بالفوز بأية جائزة لا يدل على اصالة او نبوغ، واضعف الايمان ان اية جائزة لا يمكن ان تعادل النبوغ نفسه او النضج نفسه.

نعود بعد ذلك الى القضية الاساسية بطرفيها: **المحلية والعالمية**، لنسأل انفسنا: **ما المقصود بالمحلية وما المقصود بالعالمية**؟ ولان المقصود بالمحلية يكاد ان يكون - ان لم يكن بالفعل - مفهوما ومعروفا، فاننا سنتوقف عند الطرف الآخر للقضية: العالمية. وبمفهوم المخالفة يمكن ان يتضح طرف القضية اوحدها - كما يقول المناطقة - بإيضاح طرفها الآخر او المقابل.

ما العالمية ؟

- هل هي ذيوع النص الادبي وشهرته في اكثر من لغة ؟

- هل هي قابلية النص الادبي للذيوع والنتشار في غير لغته الاصلية ؟

- هل هي قدرة النص الادبي على التأثير في غيره من النصوص خارج لغته الاصلية ؟

الاجابة هي: **نعم في كل الحالات الثلاث مجتمعة**، فكل حالة متصلة بالحالتين الاخريين فلا يمكن تصور ذيوع النص بغير قابليته للذيوع وبغير قدرته على التأثير، ولا يمكن تصور قابلية النص للذيوع بغير ذيوع وبغير قدرة على التأثير، وهلم جرا، غير ان هذه الحالات الثلاث مجتمعة ما هي الا عرض لجوهر واحد، او هي مظاهر لجوهر واحد يتمثل في اجابة سؤال ثلاثي أهم:

- لماذا يذيع النص الادبي في اكثر من لغة ؟

- لماذا يقبل النص الادبي الذيوع خارج لغته الاصلية ؟

- لماذا يؤثر النص الادبي في غيره خارج لغته الاصلية ؟

الاجابة هذه المرة لا يمكن ان تكون بكلمة واحدة، مع انها - كما سنرى - اجابة واحدة تسري على السؤال بفروعه الثلاثة. ذلك ان النص الادبي لكي يصل الى الحكم عليه بالجودة والامتياز لا بد ان يتضمن - في شكله ومضمونه على السواء - مجموعة من الخصائص القيمية **(من القيمة)** تعارف عليها خبراء الادب، ومنتجوه، وكذلك - الى حد ما - مستهلكوه اذا صح التعبير. وقد صارت هذه الخصائص - ان لم تكن - من البدهيات التي لا خوف من اجمالها او تعميم صيغتها دون تخصيص او تفصيل. ولا خوف علينا اذن من ان نجملها في اربعة مقومات.

اولا- النص الادبي في اساسه تعبير عن تجربة او خبرة انسانية عاشها المبدع او عايشها وبدون هذه التجربة او الخبرة يفتقد النص مقوما اساسيا من مقوماته. ويتدرج هذا التعبير - بالطبع - من الوصف الخارجي للتجربة او الخبرة الى التصوير الداخلي لحركتها وانعكاساتها.

ثانيا- النص الادبي تعبير عن تجربة او خبرة انسانية عاشها المبدع او عايشها من خلال احساسه الخاص الفرد. وبدون هذا الاحساس يفتقد النص مقوما اساسيا آخر من مقوماته، ويصير كالجثة الهامدة، لا حياة فيها. ويتدرج هذا الاحساس من الذاتية المطلقة الى ما يمكن ان نسميه بالذاتية النسبية، اي الذاتية الواعية، بمعنى ان يتحكم المبدع اثناء او بعد عملية الابداع في ضبط ذاتيته وتوجيهها الوجهة السليمة من حيث علاقتها بذلك القانون الذي اهملناه طويلا في نقدنا .. قانون الضرورة والاحتمال، اي ضرورة وقوع الواقعة او احتمال وقوعها.

ثالثا- النص الادبي تعبير عن تجربة او خبرة انسانية عاشها المبدع او عايشها من خلال احساسه الخاص الفرد وصهرها داخل قدرته او موهبته التخيلية. وبدون هذه القدرة التخيلية، او ما نسميه بالخيال، يفتقد النص الادبي مقوما اساسيا ثالثا من مقوماته ويتدرج الخيال ايضا من الفقر الى الغنى، ويكون غناه باعثا على جودته.

رابعا- النص الادبي تعبير عن تجربة او خبرة انسانية عاشها المبدع او عايشها من خلال احساسه

الخاص الفرد وصهرها داخل قدرته او موهبته التخيلية، وقدمها في رؤية انسانية متكاملة وملموسة الاطراف. وبدون هذه الرؤية الانسانية يفتقد النص الادبي المقوم الاساسي الرابع. وليست الرؤية الانسانية شكلا فحسب، ولكنها مضمون ايضا. كما انها ليست مضمونا فجا مباشرا، ولكنها مضمون يتوسل لبلوغ هدفه بوسائل إيحائية وتصويرية غير مباشرة.

هذه هي المقومات الاساسية الاربعة التي نراها ضرورية في اي نص ادبي بأية لغة من اللغات. ولو شئنا تطبيقها على النصوص الادبية لما تعذر ذلك على الاطلاق ابتداء من اقدم النصوص الادبية مثل «**الألياذة**» و«**الاوديسة**» في الادب الاغريقي الى احدث نص اخرجته المطابع. ويحمل هذه المقومات الأربعة يشكل الاجابة عن سؤالنا الثلاثي السابق دون حاجة الى تفصيل لا يقتضيه المقام.

وعندئذ نصل الى سؤال ثلاثي آخر اهم:

– كيف يذيع النص الادبي في اكثر من لغة ؟

– كيف يقبل النص الادبي الذيوع خارج لغته الاصلية ؟

– كيف يؤثر النص الادبي في غيره خارج لغته الاصلية ؟

الاجابة هذه المرة ايضا لا يمكن ان تكون بكلمة واحدة، ولا يمكن ايضا ان تكون واحدة تسري على السؤال بفروعه الثلاثة. ذلك لأنها تضعها مباشرة في دائرة ثلاثة علوم حديثة على جانب كبير من الاهمية هي: **الادب المقارن** «LITERATURE COMPARATIVE»، **الاتصال بالجماهير** «MASS COMMUNICATION»، **العلاقات العامة** «PUBLIC RELATIONS»، واقدمها – وهو الادب المقارن – لا يزيد عمره على قرن من الزمان.

□ الوجود العربي □

وقبل ان نتعرض لمواجهة هذه العلوم الثلاثة وصلتها بالادب، او بالنص الادبي على وجه التحديد علينا ان نتوقف قليلا عند ظاهرة ذيوع بعض النصوص الادبية العربية بعد عصر النهضة في اوربا، وتأثيرها الواضح في النصوص الادبية الاوربية في كثير من لغاتها. فقد ذاع على سبيل المثال لا الحصر نص «**رسالة الغفران**» **لابي العلاء المعري**، ونص «**حكايات الف ليلة وليلة**» ونص «**كليلة ودمنة**» **لابن المقنع** ونص «**مقامات الحريري**» ونص «**حي ابن يقظان**» **لابن طفيل**. وقد ذاعت هذه النصوص وغيرها في اوربا واثرت تأثيرا واضحا في نصوصها الادبية في كثير من لغاتها، ناهيك عن ان اللغة العربية نفسها كانت قبل ذلك في العصور الوسطى وإبان عصر النهضة لغة ثقافة، وكان المثقفون الاوربيون يفخرون بمعرفتهم لها. ولو اننا حاولنا تطبيق مقومات النص الادبي الاساسية الاربعة – التي ذكرناها – على هذه النصوص العربية وغيرها مما ذاع وشاع واثر في اوربا، لما واجهتنا صعوبة ولا ثبتت هذه النصوص نفسها صدق ما ذكرناه من فروض هي اقرب اليوم إلى البدهيات في لغة الادب وتقديره. ومن شاء ان يجري هذا التطبيق فليفعل. اما ما يهمنا الآن فهو بيان الكيفية التي ذاعت بها هذه النصوص وغيرها. وقد كان العالم طوال العصور الوسطى وإبان عصر النهضة مترابطا الى حد ما بوسائل اتصال بدائية الى حد ما ايضا، مثل الاتصال الشخصي عن طريق الحروب والاسفار والتجارة ومثل الترجمة التي كانت في حد ذاتها قناة هامة من قنوات الاتصال في ذلك الزمن، فضلا عن «الوجود» العربي الذي كان يتمدد بعمق في شرايين اوربا عن طريق الاندلس والموانئ الايطالية وغيرها من البوابات. ولم يكن ذلك الانفتاح الاوربي على النصوص العربية راجعا الى قوة العرب او المسلمين وتألق حضارتهم، فهذا كلام نطلقه على عواهنه، لان العرب لم يكونوا قد غزوا اوربا كلها من ناحية – ومن ناحية اخرى كان مدهم قد انحسر في عصر النهضة، ومع ذلك ازداد ذيوع تلك النصوص وغيرها، لا لان العرب كانوا يوما ما اقوياء، وانما لان هذه النصوص نفسها كانت – في المحل الاول – نصوصا مستوفية المقومات الاساسية. وهذه هي النرويج – على سبيل المثال – امة محدودة العدة والعدد، لم يسبق لها ان غزت غيرها او توسعت في شبر مما حولها بل كانت مطمعا ومحلا للغزو من سواها، بل كانت لغتها – ايضا – ولا زالت محدودة الانتشار والمكانة، ومع ذلك كله استطاعت، النصوص الادبية الدرامية التي كتبها اديبها «**هنريك ابسن**» في القرن الماضي ان تذيع وان تؤثر – الى هذه اللحظة – خارج لغتها الاصلية، لا لسبب الا انها مستوفية المقومات الاساسية. ولم نذهب بعيدا والى جوارنا اليوم مثل آخر صارخ ؟ **فكثير من النصوص الادبية التي يكتبها كتاب القارة الافريقية جنوب الصحراء منذ فترة ما بين الحربين يلقى اليوم الذيوع والانتشار، كما يحدث اثره حتى في النصوص الادبية لكتاب الدول الاوربية التي استعمرت القارة منذ ثلاثة قرون.**

□ علم .. الادب المقارن □

نعود مرة اخرى الى العلوم الثلاثة التي اشرنا اليها منذ قليل

في مجالها يكمن معظم الرد على سؤالنا الثلاثي الاخير: **كيف يذيع النص الادبي ويحدث اثرا خارج لغته الاصلية ؟** واول هذه العلوم، كما قلنا، هو علم «**الادب المقارن**» الذي يختص بدراسة الآداب المختلفة في علاقاتها بعضها بالبعض، او الذي ينظر الى الادب من منظور دولي مع الوعي بوحدة كل تجربة ادبية وتفردها، سواء كانت هذه التجربة في نص واحد او في مجموعة من النصوص تشكل ادبا قوميا بذاته، والحق ان هذا العلم الناشئ الذي ظهر في فرنسا والمانيا ثم ذاع في العالم خلال القرن الحالي يطرح الكثير من المناهج والطرق الكفيلة بتحقيق غاياته وما يهمنا منه الآن ان ذيوعه وانتشاره في العالم كفيلان بتوجيه النظر الى مختلف الآداب الانسانية ودراستها ومعرفة الفروق النوعية بينها وفحص آثارها المتبادلة. ومن حسنات هذا العلم ان كثيرا من جامعات اوربا وامريكا قد ادخلت في مناهجها دراسة الادب العربي قديمه وحديثه، وان هذه المناهج قد تزايد الطلب عليها زيادة ملحوظة في السنوات الاخيرة.

□ علم الاتصال بالجماهير □

اما العلم الثاني فهو **علم الاتصال بالجماهير** الذي نشأ خلال هذا القرن، وحقق تقدما متزايدا في فترة ما بعد الحرب الثانية بصفة خاصة. وهو يعنى بدراسة عملية الاتصال بالجماهير من حيث هي عملية نقل معان او رسائل او معلومات معينة الى اكبر عدد من الناس وكذلك دراسة وسائل هذا الاتصال وطبيعة عملها وانواعها المختلفة من صحافة واذاعة وتليفزيون الى سينما ومسرح. واذا كان الادب يدخل في مجال عملية الاتصال هذه من حيث هو رسالة او معنى يريد مبدعه ان ينقله الى جمهور، فان وسائل الاتصال بالجماهير قد اصبح لها اليوم نفوذ ملحوظ على الادب ومبدعيه. بل ان انتشارها الكبير في عالم اليوم قد صنع جسورا عديدة بين مناطقه المختلفة، وقرب المسافات الشاسعة، ويكاد ان يجعل من العالم على اتساعه قرية صغيرة. ومن حسنات هذا العلم انه قدم لنا بمناهجه والوسائل التي يدرسها العديد من فرص الاشتراك فيما يدور داخل هذا العالم الكبير من احداث ومواقف. كما قدم العديد من النوافذ التي يمكن ان نطل بها على العالم دون ان نبرح اماكننا، وخلق الاهتمام عند الجماهير العريضة بما يحدث في اقصى الارض او ادناها.

□ علم العلاقات العامة □

اما العلم الثالث فهو علم **العلاقات العامة** الذي نشأ خلال هذا القرن ايضا، وحقق تقدما متزايدا متزامنا مع التقدم الذي حققه العلم السابق. وهو علم يعنى – كما هو واضح من اسمه – بدراسة العلاقات بين المؤسسات والأفراد من ناحية او بين المؤسسات والمؤسسات من ناحية اخرى، من حيث هي علاقات وروابط انسانية قابلة للتنمية والتوجيه ومن حسنات هذا العلم ايضا انه اتاح لنا مجموعة من الاختيارات والبدائل في تكييف العلاقات الانسانية العامة وتوجيهها، كما قدم مجموعة اخرى من محاور العلاقات العامة وضوابطها. ومن خلال امكانات علم كهذا نستطيع ان نقيم العلاقات والروابط بين مؤسساتنا الادبية ونظائرها عند غيرنا، كما نستطيع ان نوثق الصلة بالقوى الادبية المؤثرة في العالم بحيث تصبح الجسور بيننا وبين العالم صحية وموصولة.

وقد يقول قائل: **ما للاديب المبدع الفرد ولهذا كله ؟ وكيف نكلفه بأن يدرس ما لا يطيق وما لا يدخل في صميم عمله ؟** ولكننا نقول ان هذا كله مما يتيحه من امكانيات العلوم الحديثة العصرية اثرا في حركتنا شئنا او لم نشأ. واذا كان الاديب الفرد معفى من الاهتمام بهذه الامكانات فالمؤسسات ابتداء من الرابطة او الجماعة الادبية الى الدولة، ليست معفاة من اية مسئولية في عالم يتحرك بحساب، ويحسب خطواته بدقة قبل ان يتحرك.

لقد تغير العالم منذ انتقلت نصوصنا العربية خارج مجال لغتها في العصور الوسطى وعصر النهضة وما تلاه. تغير العالم تغيرا كبيرا، وصار الى التعقيد والتركيب اقرب، مثلما صار محكوما بالعلم والتكنولوجيا. ونحن لا نستطيع – شئنا او لم نشأ – ان نكف ايدينا عما يحدث حولنا، او ان نغلق الابواب والنوافذ على انفسنا ثم نبدع ما نبدع!

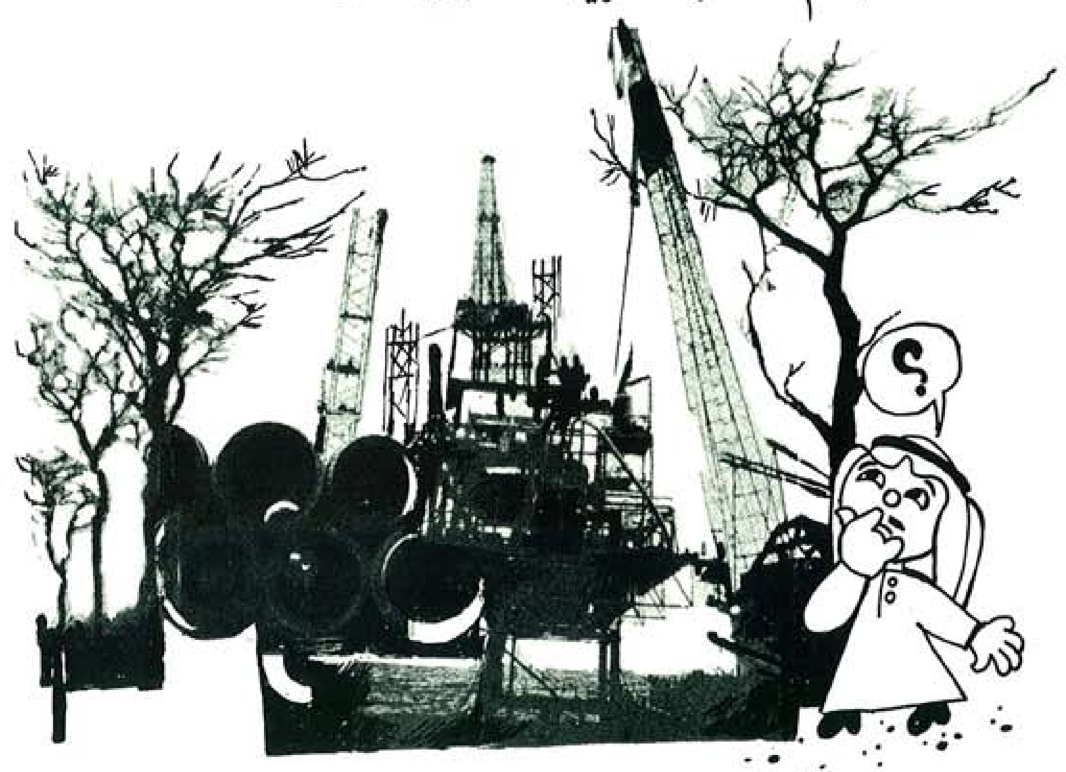
علينا قبل كل شيء ان نبدع في الاطار الذي ابدع فيه اجدادنا ممن استطاعت نصوصهم الادبية ان تذيع وان تؤثر الى اليوم، وعلى نقادنا ان يطالبوا مبدعينا بالمقومات الاربعة التي ذكرناها، فغيرها هو المحلية، وتحقيقها هو العالمية، حتى ان كان المبدع يقطن قرية صغيرة لا ذكر لها ولا شأن على خريطة بلده. وعندئذ لن نسأل انفسنا ذلك السؤال الدائم:

هل ادبنا **ادب عالمي**؟ ولن نشغل انفسنا بجائزة نوبل او غيرها.

وبالتالي فان على اولي الامر فيما بعد ذلك ان يتيحوا لما نبدعه على هذا النحو سبل الاتصال المناسبة بالغير، ابتداء من الترجمة الجيدة الى العلاقات الانسانية المتينة بأولي الرأي من المبدعين عند غيرنا من الامم.

حاجتنا إلى الثقافة البيئية

بقلم: د. عبدالعزيز حامد أبوزنادة



يلاحظ في العشر سنوات الاخيرة من هذا القرن اهتمام واضح بالبيئة والدراسات البيئية على مختلف مستويات التعلم والثقافة .. ولعل مرد هذا الاهتمام الواضح يكمن في تخوف البعض من العلماء وحذرهم من المخاطر التي قد يتعرض لها العالم بأجمعه من جراء التغيرات التي تطرأ باستمرار على البيئة في جميع بقاع العالم.

وعلى الرغم من كثرة ما كتب من مقالات وكتب وتقارير ووثائق وما عقد من ندوات مناقشة ومؤتمرات عالجت هذا الموضوع .. الا اننا او قل الاغلبية العظمى من سكان اي منطقة من مناطق العالم - ناهيك بمنطقتنا - يفشلون في تطبيق ما يقرأونه او يطلعون عليه في سلوكهم الفردي في البيئة التي يعيشون فيها. ولعله من غير الضروري الاشارة هنا الى ان الامر فيما يتعلق بهذا الموضوع نسبي ويختلف اختلافا بينا من منطقة الى اخرى في العالم تبعا لمقدار الثقافة البيئية المستوعبة ولمقدار ما يتعرض له الفرد العادي من تثقيف وتبصير في هذا المجال.



وهناك في الوقت الحاضر ما يشبه الاقتناع بان الحاجة تدعو الى ادخال برنامج شامل متطور للثقافة البيئية يدرس في مختلف مستويات التعليم ويؤكد على ان الفرد ما هو الا جزء من بيئته وانه لاشك يساهم بما يقوم به من اعمال وسلوك نحو العمليات المختلفة التي تحدث في منظومتنا البيئية. وبموجب هذا البرنامج فان كلامنا سيزود بمعلومات اساسية عامة عن اعتماد مختلف الكائنات – بغض النظر عن رقيها او عدمه – على بعضها البعض بما في ذلك بطبيعة الحال الانسان وعلاقاته بالبيئة وتأثير ثقافته على الاتزان الطبيعي للبيئة.

هذه في الحقيقة بعض اهداف الثقافة البيئية التي يمكن ان نعرفها بانها عملية التعرف على القيم وتوضيح المفاهيم بحيث ينمي لدى الفرد المهارات والسلوك والقدرات الضرورية لفهم ومعرفة العلاقات المتداخلة بين الانسان وثقافته وما حوله من محيطات بيلوجية وفيزيائية. والثقافة البيئية ايضا تستلزم التدرب على صنع القرارات وتكوين القدرة على رسم المناهج السلوكية حول القضايا المتعلقة بنوعية البيئة.

تكوين الوعي البيئي

كما قدمنا فان المتتبع لهذا الموضوع يجد ان قضايا البيئة اخذت في الآونة الاخيرة تستحوذ على كثير من الاهتمام حيث عقدت لها العديد من المؤتمرات التي تمخضت عن تكوين سياسات واضحة تبين كيفية السلوك البناء للفرد في بيئته.

ولئن اخذت الكثير من الدول المتقدمة بتبني سياسات ثقافية وتربوية محددة. الغرض منها تكوين وعي افضل عن البيئة. فان هذا يرجع كما هو متوقع لما يلمس من تغير واضح في تلك البيئات بحيث اصبح معها العيش اشبه بالمستحيل ولعلنا لتأكيد هذا لا نذهب بعيدا عبر الزمن لنتذكر ما حدث لأحدى المدن الايطالية من تدمير للبيئة بفعل نشاطات الانسان الصناعية.

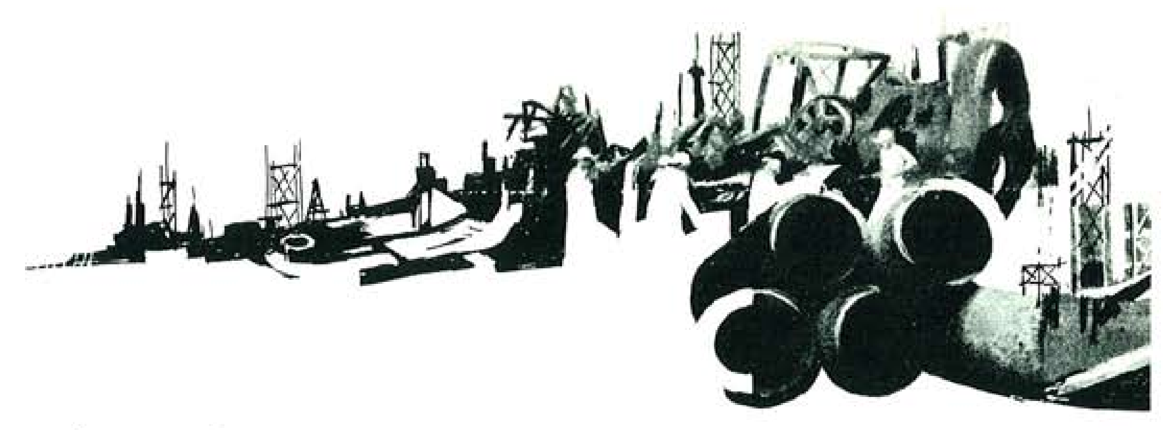
ومن أهم السياسات التربوية والثقافية التي تبنتها مختلف دول العالم وخصوصا الدول المتقدمة هي انشاء المعاهد العالية المتخصصة في شؤون البيئة بشكل شامل (يلاحظ ان الدراسات البيئية كانت وحتى وقت قريب تدرس كأحد الفروع الثانوية لبعض العلوم) كما أخذت في ادخال وربط المعرفة البيئية بشتى العلوم والفنون وذلك في محاولة لربط المتخصصين في هذه العلوم وتبصيرهم بالبيئة والتأثيرات التبادلية بين البيئة من ناحية وبينهم من ناحية اخرى.

العمليات التي تؤثر على البيئة

اما السؤال الملح هنا فهو اين نحن من مثل هذه المخاطر؟! وهل حقا تتعرض بيئتنا لمخاطر معينة بسبب ما نقوم به من مختلف العمليات وقبل ان نجيب على هذا التساؤل يجدر بنا ان نميز بين العمليات التي تؤثر على البيئة حيث يمكن ان نقسم تأثيراتها الى التالي:

(١) تأثيرات تنتج من العمليات الصناعية.
(٢) تأثيرات تنتج من العمليات المدنية.
(٣) تأثيرات تنتج من العمليات الزراعية.
(٤) تأثيرات ناتجة عن عمليات يقوم بها الافراد.

والعمليات الثلاث الاولى تتشابك تأثيراتها وتتعقد كثيرا وقد لا نكون حتى الآن قد لاحظنا آثارا واضحة لها في بيئتنا المحلية وذلك لطبيعتها الخاصة التي تتميز بتأثيرها البسيط في بداياتها الا ان هذه التأثيرات الضئيلة تتراكم عبر الزمن فينتج عنها ظواهر خطيرة هي التي تعاني منها حاليا الكثير من الدول المتقدمة صناعيا ... وقد يكون من غير المناسب هنا ان تذكر طرق الحماية منها او النصح باتخاذ خطوات محددة لعلاجها. فالأهم في هذا الصدد هو اجراء الدراسات المسحية المستفيضة للبيئة في الوقت الحاضر حيث ان نتائج هذه الدراسات ستكون بمثابة حجر الاساس عند التوصية بطرق



معينة لدرء اخطار تلك العمليات وعلى سبيل المثال يجدر اجراء دراسات عميقة لمعرفة مكونات الهواء من غازات وذرات دقيقة واتربة وكائنات دقيقة او حبيبات اللقاح وغيرها ... وكيفية تأثر هذه المكونات باختلاف فصول السنة وغيرها من المتغيرات كما يجدر اجراء مسح شامل للغطاء النباتي لمختلف المناطق بالمملكة وطريقة توزيع هذا الغطاء ومكونات تلك المساحات من حيوانات وطيور وغيرها. كما يجب ان توجه عناية خاصة للمياه سواء كانت مياه عذبة او مياه بحار. واجراء دراسات شاملة عليها لمعرفة مختلف مكوناتها الحية وغير الحية ان هذه الدراسات الاساسية تعتبر الركيزة الهامة التي يجب ان ترتكز عليها اية توصيات كما تعتبر متطلبا اساسيا عند

وجودها في بلد قد تكون اتساع رقعته احدى مشاكله الطبيعية.

ولقد تعدى الانسان بعملياته ذات الاثر التخريبي للبيئة الصحراوية فعبث بالبيئة البحرية ايضا وغير في صفاتها بما يلقيه فيها من مخلفات واستثمار غير متعقل لثرواتها بل المؤلم ما نشاهده من انقراض لبعض البحيرات تحت وطأة تلك العمليات المدنية ولنضرب على ذلك مثلا واحدا والامثلة كثيرة، فمن منا لم يلاحظ ما تعانيه البحيرة المعروفة (ببحر الطين – بجدة) من انقراض في مساحتها يزداد يوما بعد يوم .. لقد كانت تلك البحيرة (وهناك امثلة اخرى في مختلف المناطق الساحلية) الى زمن قريب الرئة القريبة من متناول الجميع ..

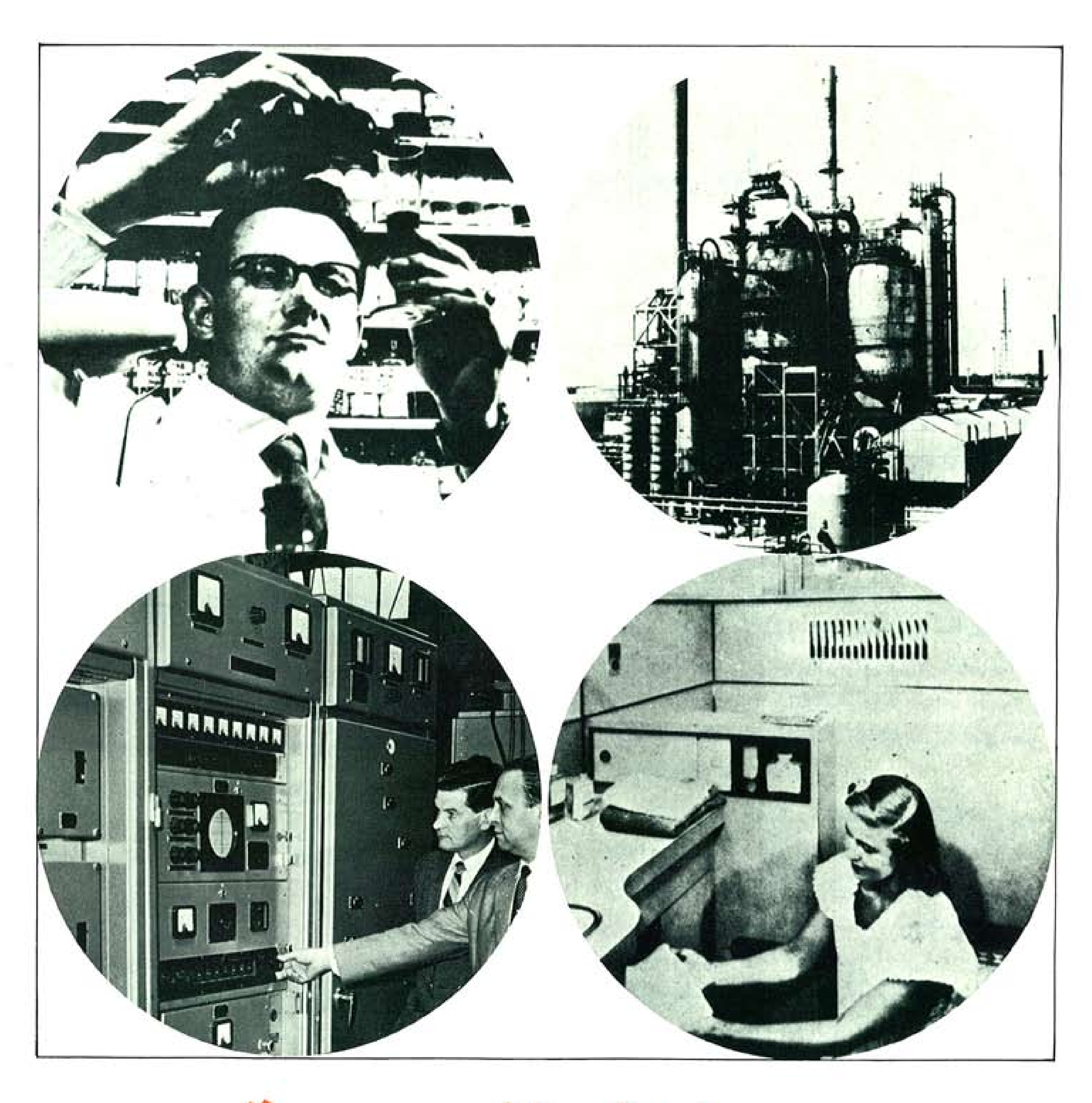
سن القوانين ووضع السياسات المتعلقة بالمحافظة على البيئة.

وسنعرض بالتفصيل في وقت لاحق عن هذه العمليات اما النوع الرابع من تلك العمليات فهو اكثرهم علاقة بموضوع هذه العجالة الذي يجب ان نبصر بتأثيراته ونجعلها راسخة في سلوك الافراد. فلقد عانت بيئتنا وتعاني كثيرا من العمليات التي يقوم بها الافراد والامثلة كثيرة على ذلك وسوف لا نشير الا الى القليل منها ... مثل تجريد الصحراء من غطائها النباتي الطبيعي واستعماله كوقود في بلد هي الاولى فيه من حيث انتاج الوقود. ونحن اذ نشير الى هذه الناحية لا نشير اليها بدافع حبنا واعجابنا بجمال النبات فقط بل لما يترتب عن ازالته من تخريب كبير للبيئة متمثل في تغير في المناخ وتغير في صفات التربة وعدم ثباتها مما يجعلها حرة يعبث بها الهواء فينقلها الى المدن التي نعيش فيها. وما دمنا بصدد الاشارة هنا الى اثر الانسان على حياة النبات فلعله من المناسب ايضا ان نذكر ما يحدث لبعض المناطق الزراعية القديمة في بعض المناطق بالمملكة التي بدأت تتلاشى تحت تأثير الانسان وعملياته المعمارية وكأننا بذلك نحاول ان نقتلع الاشجار لتزرع في اماكنها العمارات والمساكن. وان كان لهذه العمليات بعض من تبرير ومسببات في بلدان اخرى ضاقت بساكنيها فمن الغريب جدا ان نلاحظ

يؤمها الكثير للفسحة والراحة هذا علاوة على ما تضـ
لمسات جمالية لتلك المدينة.

ان عمليات الانسان ذات التأثيرات الخطيرة علـ
كثيرة ومتعددة ولا تشكو منها النباتات فقط او البحار و
فقط بل حتى الحيوانات البرية التي تقطن مناطق وعرة
الصحراء نجد الكثير من اجناسها وقد اصبحت في خـ
ان بعضها مثل حيوان «الوضيحي» لم يبق منه سوى
ضئيل معظمه في الحدائق العالمية بامريكا وغيرها .
المدهش ان تهتم بهذا الحيوان جمعيات علمية عالمية
نحن هنا المتسببين في زواله وهناك اجناس حيوانية
عديدة انقرضت او في طريقها للانقراض من بيئتـ

ان سن القوانين ووضع السياسات اللازمة لحماية البـ
انها ضرورية الا انها تعتبر العلاج الحاسم لهذه
فالعلاج الحقيقي هو التبصير والفهم الكامل للبيئة و
يتأتى الا بتكوين الوعي البيئي عن طريق التثقيف
البيئي باستعمال وسائل الاعلام المختلفة وادخال الثقافة
كمادة اساسية في مراحل التعليم المختلفة وان نحن اخذ
فاننا سوف لا نخدم جيلنا الحاضر فقط بل الأجيال
التي ستعيش في منظومتنا البيئية ... والله من وراء الـ



مدن في السعودية تشتغل بالطاقة الشمسية

بقلم : د. عبد المحسن صالح

«ارسلت السعودية عددا من المسئولين الى الولايات المتحدة الامريكية لدراسة جهاز خاص للتبريد والتدفئة يعمل بالطاقة الشمسية، ولما سئل وزير التخطيط السعودي عن سر هذا الاهتمام، قال بان السعودية تشعر بان النفط سيصبح من الاهمية بحيث يستخدم في الصناعات الكيماوية التحليلية، ولانتاج المواد الصيدلانية وقد شجعت وزارة التخطيط السعودية، بالفعل، التجارب التي تجرى على انظمة الطاقة الشمسية».

جاء هذا الخبر المثير في مجلة «الفجر» القطرية (العدد ٨٤) نقلا عن «السياسة» الكويتية، وتساءلت السياسة واذا كانت الكويت تحاول اللحاق بمضامير التقدم والبناء، فعليها ان تسارع بتخصيص بعض العقول الكويتية لبحث ودراسة استغلال الطاقة الشمسية ومنافعها الاقتصادية المتعددة، وفي نفس الوقت عليها ان تشجع اقامة صناعات تعتمد على البترول كمادة خام - كالصناعات الكيماوية والبتروكيماوية، والمواد اللازمة للعقاقير الطبية وغير ذلك من منتجات البترول.

والدعوة الى الاستفادة بالطاقة الشمسية في المملكة العربية السعودية، او في الكويت دعوة يجب الا تقتصر عليهما وحدهما، بل على كل الدول العربية الاخرى - البترولية وغير البترولية - ان تفتح عقولها، وتشحذ افكارها، وتسخر امكاناتها، وتوجه علماءها لاصطياد هذا النبع الهائل من الطاقة الذي يضيع ويتشتت دون ان يستفيد به احد .. الا النبات الاخضر!

صحيح ان النبات ليس له في عقول عامة الناس صلة وثيقة بلعبة الطاقة الشمسية واصطيادها ولكنه - والحق يقال - كان صاحب الفضل الاول والاكبر في كل هذه المخازن الهائلة من الثروات البترولية المدفونة تحت رمال معظم البلاد العربية او غيرها، فالبترول جزئيات عضوية مشحونة بطاقة كيميائية، لكن هذه الطاقة كانت في الاصل اشعة شمسية، ومن خلال عملية عظيمة نعرفها باسم التمثيل او البناء الضوئي تم اعتقال هذه الطاقة واصطيادها بواسطة بطاريات شمسية ظهرت على هذا الكوكب من قديم الزمن.

لكن هذه البطاريات لم تكن من صنع انس ولا جان، لانها ظهرت قبل ان يظهر الانسان بأكثر من الف مليون عام .. هي اذن من صنع الله الذي اتقن كل شيء صنعا، ثم وضع ما صنع في نبات اخضر، وجئنا نحن لنرقب بديع صنعه بواسطة المجاهر لنرى اعظم واصغر وادق واكفأ بطارية حية، وهي تلف وتدور داخل الخلايا الحية، لتأخذ نصيبها من الطاقة الشمسية، وتحولها الى طاقة كيميائية، ليبني بها النبات جزئياته وخلاياه وانسجته وحبوبه وثماره، ولتكون فيما بعد غذاء ميسورا للانسان والحيوان، فيحرقها، في جسمه حرقا بطيئا، ليحرر الطاقة المخزونة، فتنطلق فيه «شعلة» الحياة الدافئة - تلك الشعلة التي كانت في الاصل ضوءا، فاختفى في النبات بوجه، ليظهر فينا ولنا بوجه آخر.

وما البترول او الغازات الطبيعية او اي نوع من انواع الوقود الاخرى الا بقايا حياة نباتية وحيوانية دفنت في باطن الارض منذ عشرات ومئات الملايين من السنين، وتحولت تحت ظروف خاصة الى جزئيات مشحونة بالطاقة الكيميائية - هي في الاصل ايضا طاقة شمسية.

* *

لكن البترول حتما سينضب، طال الزمان او قصر، في حين ان الشمس لن ينضب معينها قبل مرور عدة الوف

الدعوة الى الاستفادة بالطاقة الشمسية في المملكة العربية السعودية أو في الكويت، دعوة يجب ألا تقتصر عليهما وحدهما، بل على كل الدول العربية الأخرى البترولية وغير البترولية.



الملايين من الاعوام، ومن هنا اتجهت اليها العقول والافكار، لا لعبادة او تقديس كما كان يفعل القدماء، بل من اجل السيطرة على جزء – ولو يسير – من اشعتها او طاقتها، للاستفادة به في اغراض شتى، وبهذا نوفر جزءا من البترول لاستخدامه في صناعات اخرى تستطيع ان تدر دخلا هائلا تحتاج اليه الاجيال القادمة، ذلك ان الدول التي تخطط لمستقبلها، وتعمل من اجل يومها وغدها، وتحسب حساب القرون القادمة، انما هي – بلاشك – دول واعية، وشعوب تعرف كيف تستثمر ما يفيد فيما يفيد.

والطاقة الشمسية هي امل المستقبل، ومن حسن حظ معظم الشعوب العربية انها تقع في منطقة من الارض تجود فيها السماء باشعتها وحرارتها، كما انها تتمتع بجو صاف معظم شهور العام وتلك من اعظم الحسنات التي تجعل من استغلال طاقة الشمس امرا جوهريا تتوقف عليه رفاهية الدول ومستقبلها.

على انه يجدر بنا ان نقدم هنا ميزانية او موازنة علمية عن نصيب هذا الكوكب من الطاقة الشمسية، وما يضيع من هذه الطاقة ويتشتت، وما يستغل منها ويبقى.

فالارض كلها لا تستقبل الا جزءا واحدا من الفي جزء من اشعة الشمس او طاقتها، وفي هذا الجزء الضئيل ما يكفينا وزيادة، اذ لا نطلب مزيدا حتى لا تتحول ارضنا الى فرن يكوي الوجوه، ولا ندعو بنقص حتى لا يصبح كوكبنا قطعة من الجليد، ولهذا فقد جاء كل شيء بحساب وميزان، لتعمر الارض، وتزدهر الحياة، وتسير الامور كما قدر الله.

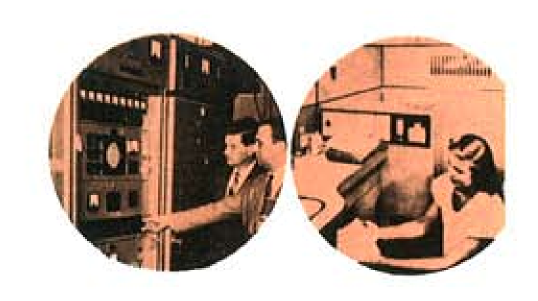
على ان لهذا الجزء الضئيل جدا من الطاقة الشمسية شأن آخر، لان الارض يوميا تستقبل في المتوسط حوالي ٤٫٧٠٠٫٠٠٠ قوة حصان على الميل المربع الواحد، او ان مساحة من الارض لا تزيد عن ميل ونصف ميل مربع، تتقبل كل يوم طاقة تساوي طاقة القنبلة الذرية التي دمرت هيروشيما باليابان، وبهذا انهت الحرب العالمية الثانية!

لكن هناك من يهوى هذه الطاقة بالكيلو واط ولهؤلاء نقول ان ارضنا تستقبل من الطاقة الشمسية ما يقدر بحوالي ١٧٣ مليون مليون كيلوواط، ومن هذه الكمية الهائلة يتشتت ويضيع بالانعكاس الى الفضاء مرة اخرى ما قيمته ٥٢ مليون مليون كيلو واط (حوالي ٣٠٪ من ميزانية الطاقة الواصلة لأرضنا)، في حين ان ٤٧٪ من الطاقة (ما قيمته ٨١ مليون مليون كيلو واط) يمتصه الغلاف الهوائي، والماء واليابسة، ويتحول الى دفء وحرارة تتوزع في ارجاء ارضنا، والباقي وقدره ٢٣٪ يتوزع على هيئة طاقة في التيارات المائية والهوائية والرياح والأعاصير والبخر والسحاب والمياه الجارية والكائنات الحية بداية من ميكروباتها، حتى انسانها ونباتها وحيوانها.

ورغم ان الكائنات الحية التي تنشر في الارض والماء والهواء تكون جزءا لا بأس به من نشاط هذا الكوكب – على الاقل ظاهرا لا باطنا، الا ان نصيبها من الطاقة الشمسية اصغر نصيب، فهو لا يتعدى ٤٠ الف مليون كيلو واط، او مجرد ٢٣ جزءا من مليون جزء من طاقة الشمس المسلطة على ارضنا، وهذه الكمية تدخل اصلا في عملية التمثيل الضوئي في النبات الاخضر – كما سبق ان ذكرنا، ومن النبات تتوزع على كل الكائنات في صورة طاقة كيميائية مختزنة، ثم تتحرر في هيئة طاقة حيوية تجعلنا نجري ونكد ونسعى ونفكر في المستقبل عامة، وفي الطاقة خاصة، علنا نحصل على مزيد من الطاقة، اذ بقدر الطاقة المستغلة – في اية صورة من صورها – يتحدد تقدم الدول ورفاهيتها، وبقدر نصيب الفرد من الطاقة، تكون مقاييس الحضارة.

* *

من هنا، بدأت الدول التي تحترم ذاتها، تخطط لمستقبل ابنائها في استغلال منابع طاقتها استغلالا رشيدا وحكيما، صحيح ان البترول هو المصدر الميسر والمسهل والرخيص للحصول على الطاقة، لكن الحكمة قد استدعت السعودية لكي تنظر نظرة بعيدة المدى، وتلجأ الى الصعب – اي تسخير الطاقة الشمسية، وتحرص على السهل – اي مصادر البترول، لان هذا السهل سيصبح صعبا ونادرا بعد عشرات السنوات، فبدلا من هدمه وحرقه لتوليد الطاقة



بحساب وبغير حساب، بدلا من ذلك كان لابد من بنائه في صناعات بتروكيميائية شتى .. وشتان ما بين هدم وبناء، او توليد طاقة، وصناعة عطر او كساء او خامة جديدة او دواء .. الى آخر القائمة الطويلة العريضة من المشتقات الكيميائية والدوائية والألياف الصناعية التي تدخل خامات البترول في صناعاتها.

اي كأنما السعودية ترى بنظرتها البعيدة والحكيمة ان البترول خامة يجب تصنيعها لا حرقها، وان الارصدة العائدة من البترول، يجب ان تستغل في تجهيز المملكة بمصادر للطاقات البديلة .. وليس هناك ما هو اعظم من الطاقة الشمسية التي تتسلط على صحاريها الخالية، اذ لو أمكن استغلالها بكفاءة، لكانت منبعا عظيما من طاقات لا تنضب، وبهذا توفر جزءا كبيرا من بترولها المستخدم في توليد الطاقة، لتقوم عليه صناعات بناءة، سوف تدر دخلا يقدر بعشرات المرات من دخل البترول الخام.

ان صحاري العالم غير المستغلة تبلغ مساحاتها ما يربو على العشرين مليونا من الكيلومترات المربعة، ومع ذلك فكل متر مربع منها عند الظهيرة، وفي يوم خال من الغيوم يستقبل من الطاقة الشمسية ما قيمته كيلو واط طاقة كهربية، او ان الكيلومتر المربع الواحد يساوي بمعايير هذه الطاقة مليون كيلو واط، او لو امكن استغلال الطاقة الشمسية المسلطة على هذه المساحات الهائلة من الصحاري الخالية من الزرع والضرع، لامدت العالم كله بفيض من الطاقة اكبر من كل ما يستغله الآن من مصادرها بما يزيد على اربعمائة مرة، ثم انه بجزء يسير من هذه الطاقة يستطيع الانسان ان يحول الصحاري الى جنات وزرع ونخيل واعشاب، لتشارك بدورها في اصطياد المزيد من الطاقة، اذ اننا لم نعرف حتى الآن ما هو اكثر كفاءة لاستغلال الطاقة من النبات، ولا يمكن ان يجاريه في هذا الشأن ما صنع الانسان من بطاريات شمسية وغير شمسية .. اذ هناك فرق كبير بين ما صنع الله، وما صنع الانسان.

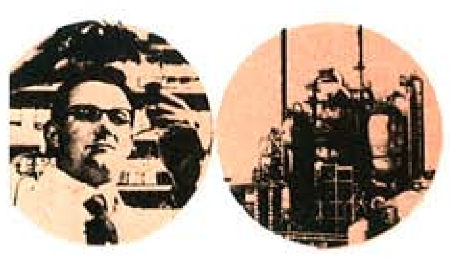
ان عملية التطبيق والتنفيذ مع كفاءة التشغيل مسألة هامة لتحقيق الهدف، اذ من المعروف ان البترول (والوقود الحفري عموما) من ارخص مصادر الطاقة المستغلة الآن. صحيح ان اشعة الشمس ليست ملكا لأحد، وصحيح انها مباحة للجميع، الا ان هناك بعض عقبات لاستخدامها في توليد الطاقة على نطاق واسع، ويوم يستطيع الانسان التغلب على هذه العقبات التكنولوجية – وسوف يتغلب، لان الاختراع وليد الحاجة، كما يقولون – فستصبح الطاقة الشمسية مصدرا اساسيا للانسان، خاصة لمن يعيشون في المناطق الحارة والمعتدلة ذات الاجواء الصافية معظم العام.

لكن ذلك لا يعني ان الطاقة الشمسية غير مستغلة حتى الآن، ولا يعني ايضا ان العلماء قد هجروها نظرا لان هناك من الطاقات ما هو ارخص منها، لكن ما نعنيه ان الطاقة الشمسية لم تستغل الا على نطاق محدود في بعض دول قليلة، وان الاجهزة والتصميمات العديدة المستخدمة في تحويلها من صورة الى اخرى لم تشتغل بالصورة التي يمكن ان تؤدي الى انتاج طاقة تجارية ميسرة لكل الناس.

والاستغلال المحدود للطاقة الشمسية يظهر اكثر ما يظهر على مستوى البيوت، بمعنى ان هناك كثيرين يستغلون هذه الطاقة في تكييف منازلهم صيفا وشتاء دون ان يطالبهم احد بفاتورة حساب، لان اشعة الشمس ليست – كما سبق ان المحنا – مما يباع ويشترى – الآن على الاقل!

ومن الدول التي اهتمت باستغلال جزء من الطاقة الشمسية في تدفئة البيوت شتاء، وتبريدها صيفا نذكر اليابان واستراليا وولاية او ولايتين في امريكا، كما تذكر بعض المراجع العلمية ان في اسرائيل ما يقرب من مائتي الف منزل وشقة تستغل الاشعة الشمسية في عملية التكييف عن طريق الواح خاصة تبلغ مساحة كل منها مترين مربعين، ومن اللوح تتوجه الطاقة الشمسية المتجمعة على هيئة طاقة حرارية الى خزانات مائية سعة كل منها ما بين ١٨٠–٢٧٠ لترا (حوالي ٩–١٣٫٥ صفيحة ماء) وبطريقة خاصة لا داعي لذكر تفاصيلها هنا، يمكن التحكم في هذه الطاقة لتدفئ البيت اذا كان جوه باردا، او تنعشه بهواء عليل اذا ارتفعت الحرارة.

في انجلترا مثلا يقولون ان مثل هذا



التصميم المنزلي المحدود لاستغلال طاقة الشمس له قدرة على التحويل تصل الى ما يقرب من ٦٠٠ كيلو واط/ساعة في العام الواحد. لكن التصميم لا يستطيع ان يفعل شيئا من اكتوبر حتى مارس من كل عام، فسوء الاحوال الجوية هناك تمنع ذلك، لان الشمس تبقى محتجبة وراء السحب معظم اليوم او كله، ومع ذلك، فمن الممكن استغلال هذه الفكرة في البلاد التي تتميز بجو قائظ صيفا، وشا[illegible] البرودة شتاء، ومعظم الدول العربية تشترك في مثل هذا المناخ. ويبدو ان من مشروعات المملكة العربية السعودية هي اقامة ٢٥ مدينة لاستغلال الطاقة الشمسية في تكييف منشئاتها ذاتيا، دون استهلاك البترول في هذه العملية لان البترول سيبقى لما هو اهم.

وفي محاولة طيبة لاستغلال الطاقة الشمسية في بعض الاغراض المحدودة وغير المحدودة قامت المنظمة الامريكية للعلوم، وهيئة الملاحظة والفضاء القومية (ناسا) بالولايات المتحدة الامريكية بتكوين هيئة علمية لها وزنها، للنظر في طريقة اقتصادية وفعالة، «لاصطياد» هذه الطاقة المباحة. وفي عام ١٩٧٢ تقدمت مجموعة العلماء بتقرير عن «الطاقة الشمسية كمصدر للطاقة القومية» وفيه يجئ «انه باجراء البحوث الموجهة والمقننة، وبرصد الميزانيات الطيبة للصرف منها على تلك البحوث. فان استخدام الطاقة الشمسية في عمليات التبريد والتسخين في المباني (التكييف). سوف يصبح حقيقة واقعة في الولايات المتحدة في خلال مدة تتراوح ما بين ٥-١٠ سنوات» .. ولقد شيدت الهيئة العلمية تقريرها على اساس ان هناك بحوثا كثيرة تشير الى امكان تسخير تلك الطاقة!

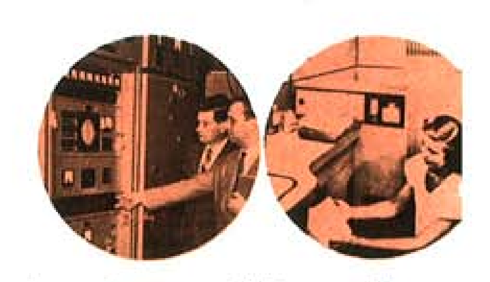
*

لكن استغلال الطاقة الشمسية للتدفئة والتبريد ليس هو كل ما في جعبة العلماء من افكار، ثم ان الفكرة لم تبدأ من فراغ، بل كان لها اصول وجذور قديمة. فيذكر لنا جير الدفولي وشارلوت نسيم في كتابهما «قضية الطاقة» المنشور في سلسلة بيليكان البريطانية في عام (١٩٧٦) ان اعظم دليل على امكان استغلال الطاقة الشمسية قد حدث في مصر عام ١٩١٣، حيث استطاع المولد الشمسي ان ينتج ما قيمته ٤٠ كيلو واط من الكهرباء، وان هذه الطاقة قد استغلت في رفع الماء من نهر النيل، ويذكر ان ايضا ان ج. أ. هارينجتون من نيوميكسيكو قد استخدم في اوائل هذا القرن آلة تدار بالطاقة الشمسية، وانها استطاعت ان تسحب الماء وتضخه الى خزان في اعلى بناية مرتفعة، ثم ينساب الماء من اعلى مندفعا نحو «توربينة» ليديرها، فيتولد تيار كهربي مناسب.

ومع ذلك، فان احدا لا يستطيع ان يحدد بدقة متى بدأ الانسان في استغلال طاقة الشمس في صورة مركزة او غير مركزة، ويقال ان لا فوازييه العالم الفرنسي الشهير كان قد استخدم «عدسة كبيرة في حجم الانسان» في تجاربه التي اجراها على الضوء عام ١٧٧٤، لكن الامر في الحقيقة اقدم من ذلك بكثير، فلقد كان لعلماء العرب المهتمين بالبصريات في ذلك المجال صولات وجولات، اذ استخدموا العدسات في تجميع الضوء وتركيزه ثم تسليطه على شئ قابل للاشتعال، فتضطرم فيه النار، ويقال ايضا - اذا صح هذا القول - ان ارشميدس الذي درس علومه في جامعة الاسكندرية القديمة قد استخدم مرايا عاكسة، وبها سلط ضوء الشمس المركز على الاسطول الروماني في عرض البحر، فأشعل فيه النيران عام ٢١٢ قبل الميلاد، وليس من نافلة القول اذا ذكرنا ان الفراعنة قد استخدموا الالواح العاكسة لتعكس اشعة الشمس وحرارتها داخل القبور العميقة المحفورة في قلب الجبال فكانت تكسبها الضوء والدفء في زمهرير الشتاء، لكن كل هذه الوسائل البدائية لا يمكن ان تكون سبيلنا في عصر يسعى سعيا جادا وراء استغلال حقيقي وفعال لمصدر من الطاقة يدوم ما دام الانسان والارض والشمس.

*

وموضوع استغلال الطاقة الشمسية بعد ذلك طويل ومتفرع ومثير، ونحن لا نستطيع ان نوفيه حقه هنا لضيق المجال، لكن يكفي ان نذكر باختصار شديد ان الطاقة الشمسية الواقعة على لوح خاص مستدير ومقعر يشبه المظلة (انظر الصورة



المنشورة هنا لاثنين مع جمل)، ويبلغ قطره حوالي متر وربع متر، يستطيع ان يركز الاشعة الواقعة عليه بحيث يسلطها على وعاء به لتر من الماء. فاذا به يغلي في غضون ربع ساعة. وكلما قل حجم الماء، انخفض الزمن اللازم للغليان. ومثل هذا الجهاز البسيط والعملي يمكن استخدامه في رحلات الصحاري الطويلة في تجهيز الطعام او طهيه وعمل المشروبات الساخنة. وغير ذلك من امور. كما انه من الممكن استخدامه في المنازل لمن اراد ان يوفر شيئا من فاتورة حساب الطاقة!

على ان هذا الفرن الشمسي البسيط يمكن ان يكون اكثر طاقة وفاعلية، لو زادت مساحة سطحه المستقبلة والمستغلة للطاقة الشمسية. وفعلا امكن تصميم وتشغيل فرن ايطالي على يدي البروفيسور جيوفاني فرانشيا. وهو يتكون من ٢٧٠ لوحاً دائرياً، قطر كل منها ٨٥ سنتيمترا، وتكون مساحته تصل الى ١٣٥ مترا مربعا، ومن الممكن توجيه الطاقة المتجمعة لتوليد ما يقرب من مائة كيلو واط كهرباء!

وفي فرنسا اقيم فرن شمسي جبار يتكون من ٣٥٠٠ مرآة، وكل مرآة تقوم بتركيز اشعة الشمس وتجميعها في منطقة صغيرة محددة. فترتفع درجة حرارة هذه المنطقة الى حوالي ثلاثة الآف درجة مئوية .. اي تساوي تقريبا نصف قيمة درجة الحرارة حول قرص الشمس ومثل هذه الحرارة العالية تستطيع ان تصهر الصلب في ثوان معدودة، ومن الممكن تطوير مثل هذه الافران في الدول ذات الجو الصافي المشمس، فتكون طاقاتها اعظم، وكفاءتها اكبر، ومجالات استخدامها اكثر، اذ يمكن مثلا ان تحول ماء البحر الأجاج الى ماء زلال يروي الزرع والضرع.

وفي امريكا تظهر عدد من الافكار، ولنأخذ منها فكرة واحدة، هي فكرة دكتور آدن ماينل وزوجته دكتور مارجوري من جامعة اريزونا، فلقد اقترحا فكرة المزرعة الشمسية الكبيرة في عام ١٩٧١، وتتلخص هذه الفكرة في اصطياد اشعة الشمس وتجميعها على مساحات من السطوح العاكسة تغطي حوالي ١٥ الف ميل مربع في الصحراء القاحلة والمشمسة الواقعة في الجنوب الغربي للولايات المتحدة، ولو امكن تنفيذ هذا الاقتراح الهائل، فان ذلك - على حسبما يقول ماينل - كفيل بسد كل احتياجات الولايات المتحدة من الكهرباء التي ستحتاجها عام ٢٠٠٠ م، صحيح ان هذا العمل الجبار تقابله عقبات مالية وتكنولوجية لكنه على اية حال بمثابة فكرة تراود عقل الانسان، او تعيش - على الاقل - في خياله وقد يتحول خيال اليوم - تحت وطأة الحاجة الى الطاقة - الى حقيقة، وما اكثر الاحلام والخيالات التي تحولت الى حقائق وانجازات.

هناك ايضا البطاريات الشمسية التي تحول اشعة الشمس الى تيار كهربي، وهي تستخدم بالفعل في امداد سفن الفضاء بطاقتها التي تدير بها اجهزتها، لكن الخامة الداخلة في تصنيع هذه البطاريات باهظة التكاليف، وقد اضطر علماء الفضاء اليها، لانه لا يوجد لها بديل، ويوم يتوصل الانسان الى بديل رخيص، فان ذلك سيكون كفيلا باستخدامها على الارض بدلا من الفضاء، لتمده بطاقة كهربية توفر له جزءا هائلا من البترول الذي يحرقه ليدير الآلات، فتولد الطاقات، ليبني بها الحضارات.

والافكار والاختراعات بعد ذلك كثيرة .. لكن يكفي ما قدمنا فأوجزنا.

على انه قد بقيت لنا كلمة.

فالطاقة الشمسية التي يمكن استغلالها، والاستفادة بها دون عقبات كبيرة تقع بداية من خط عرض ٣٠ درجة جنوبا حتى خط الاستواء، ومن حسن حظ الدول العربية انها تقع في هذا الحزام، ولهذا كان توجيه اهتمامها لاستغلال هذه الطاقة المتاحة واجبا قوميا واقتصاديا وحضاريا. فاليوم قد نبني على البترول حضارتنا، وغدا سيزول البترول، لكن قبل ان يزول، كان لزاما علينا ان نبحث الحل البديل، والحل - جزئيا على الاقل - في الطاقة الشمسية، فهي الوحيدة التي لن ينضب معينها، مهما توالت الحقب، وتعاقبت الاجيال.

وليبق بعد هذا جزء من رصيد البترول المخزون في باطن الارض لصناعات يقوم عليها الاقتصاد القومي لبلاد البترول، لكن ما هي تلك الصناعات البترولية وما اهميتها، فلذلك مقال آخر.



زيد.. الخير

"نسبه.. وأسرته"

بقلم: عبد العزيز الرفاعي

لا يستطيع الباحث ان يحدد متى ولد زيد الخيل .. ذلك لان العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام لم يكونا عصر تدوين .. فضلا عن ان الاهتمام بتدوين تاريخ المولد كان قليل الحدوث حتى مع بداية عهد التدوين نفسه ...

والفترة ما بين العهدين الجاهلي، وصدر الاسلام هي الفترة التي عاش فيها **زيد الخيل**. ومن المؤكد انه قضى معظم ايام عمره في العصر الجاهلي .. وفيه اشتهر بخيله .. وبحروبه وبشخصيته الفذة المتميزة .. وفروسيته .. وكرمه ومروئته .. ثم اضاف بل توج امجاده في الجاهلية بأن أدرك فضيلة الاسلام فاسلم، وحسن اسلامه .. ومات مسلما صحابيا .. رضي الله عنه .. **وزيد الخيل هو:**

«زيد بن مهلهل بن يزيد بن منهب بن عبد رضا بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن عدى بن مالك بن نايل بن نبهان بن عمرو بن الغوث ابن طيّ[1]».

ويدلنا هذا النسب على ان زيد الخيل، من قبيلة طيّ وهي قبيلة يمنية قحطانية .. ذات مكانة مرموقة في الجاهلية والاسلام، وقد اشتهر منها فيهما رجال كثير، زيد الخيل احدهم، ومنهم في الجاهلية **حاتم الطائي**، الذي استفاضت شهرة كرمه. وممن اشتهر من شعرائها في العصر العباسي الطائيان **«ابو تمام» و «البحتري»** ..

والبطن الذي ينسب اليه زيد الخيل هم بنو المختلس، وهو من بني نبهان .. بطن من الغوث .. ولذلك يقال في نسبة زيد الخيل النبهاني[2].

ووالدة زيد الخيل هي **(قوشة بنت الأزنم الكلبية)** من بني تيم اللات من رفيدة، فهي ايضا من قحطان وقد ورد ذكرها خلال بعض شعر الهجاء، حينما كان زيد الخيل يلتحم مع بعض شعراء عصره في مهاجاة من ذلك قول بجير بن أوس الطائي:

تمنيت ان نلقى (بجيرا) سفاهة
فلاقيته .. يعدو به الورد معلما
فالفيت مربوعا .. كما قلت مأزما
ووليت يازيد بن قوشة، معدما[3]

ومنه ايضا شعر لجبلة بن مالم بن كلثوم المعروف بابن شماء،

---

[1] تختلف المصادر في بعض اسماء جدوده زيادة ونقصانا وضبطا ولكنني اخترت ما اختاره استاذنا البحاثة الجليل الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب ج ٧ و ٨ السنة التاسعة المحرم وصفر ١٣٩٥ ص ٦٠٨ نقلا عن النسب الكبير ويراجع الاصابة واسد الغابة والاغاني – ترجمته.

[2] جاء في جمهرة الانساب لابن حزم ص ٤٠٣ (ولد نبهان، سعد ونابل ذكرهما امرؤ القيس في شعره:

بنو ثقل جيرانها وحماتها ... وتمنع من رماه سعد ونابل

فولد نابل: مالك وغوث بطنان، فمن بني غوث بن نابل بن نبهان زيد الخيل. وقد حدثني من اثق به من اهالي حايل ان لنبهان بقية في البادية حتى الآن ويقال ان نبهان اسم (سودان).

[3] تاج العروس مادة قوش. اما ما ورد في بعض المصادر من تسميتها قوسة بالسين فهو تصحيف على ما اعتقد وفي الاصابة قوشة بنت الاثرم.

أضربت عن ذكره عافية من فحش[٤].

ولا تحدثنا المصادر بشيء من التفصيل عن زوجته .. وكل ما نجده عنها، انها عندما بلغها خبر نعيه .. قافلا من وفادته على **النبي صلى الله عليه وسلم** في السنة التاسعة او العاشرة من الهجرة .. ورأت ناقته تحمل رحله خالية منه .. اخذتها سورة الفاجعة فيه .. فلجأت الى تصرف مثير، اذ عمدت الى الراحلة فاحرقتها بالنار[٥] .. أو لعلها عمدت الى الرحل، فأحرقته .. وقالت:

ألا نبها زيدا لكل عظيمة اذا اقبلت أوب الجراد رعالها
لقاهم لما طاشت يداه بضربهم ولا طعنهم حتى توالى سجالها[٦]

ونجم عن تصرفها الاخرق ذاك، ان ذهب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، لزيد الخير في اقطاعه فيد[٧]، وأراضي اخرى معه .. وقد اثارت بعملها الاهوج هذا استياء النبي عليه الصلاة والسلام.

اما ابناؤه فانتهى الينا ذكر أربعة: **مكنف**، وهو اكبر ابناؤه وبه كان يكنى، وعروة، وحريث، وحنظلة[٨].

وترجم معاجم الصحابة لهم عدا **حنظلة** ..

كما انتهى الينا انه كان لزيد الخيل اخ اسمه حصن .. هو **حصن بن مهلهل** .. وان من ولده جاء **القشعم بن ثعلبة بن عبدالله بن حصن بن مهلهل** .. وهو قاتل **(داهر)** ملك الهند ايام عبد الملك بن مروان[٩].

وقد عرف زيد في الجاهلية بزيد الخيل .. والتعليل المتداول في سبب اطلاق اللقب عليه انه كان يمتلك مجموعة من الافراس .. وكانت هذه الظاهرة في العهد الجاهلي ملفتة للنظر .. لان الكثير من فرسانهم لم يكونوا ليملكوا الا فرسا أو فرسين .. بينما اشتهر زيد بخمسة أو ستة افراس ذات اسماء معروفة .. على انه يرد على هذا القول اعتراض، بان هناك من رجال الجاهلية، وفرسانهم المعروفين من كان يملك عددا كبيرا من الافراس .. كالزبرقان بن بدر فيكون القليل حينئذ لمجرد التماس سبب ما لاطلاق هذا اللقب .. ويصح في هذه الحالة التماس سبب آخر.

هو شغف زيد الخيل، وعنايته البالغة بها وتدليلها وانه لا يفتأ يذكرها، ويركز على عنايته بها في اشعاره كما يتضح في مثل قوله:

يابني الصيداء ردوا فرسي انما يفعل هذا بالذليل
لا تذيلوه .. فاني لم اكن يابني الصيدا المهرى بالمذيل

ومعنى اذال فرسه، انه لم يحسن القيام بها .. ونحن نجد ان العرب، كثيرا ما تلقب الشاعر بما قد يلح به في شعره .. ولعلها لذلك اطلقت لقب زيد الخيل على **زيد بن مهلهل**، لكثرة ذكره الخيل في شعره لا لكثرة افراسه. على انه يرد بين الاحتمالات ايضا، ان زيد بن مهلهل كان كثير الطراد على ظهور الخيل .. اي انه كان حلسها وفي هذا ايضا ما يدعو الى اطلاق هذا اللقب عليه .. على ان الرسول عليه الصلاة والسلام، بعد وفادة زيد عليه، واعلانه اسلامه .. ولما رأى فيه من استكمال عناصر الشخصية القوية .. في مظهره الفاره، وفيما اجتمع له من عناصر الخير – رأى فيه ما يؤهله، لان يجرى على لقبه الذي فيه معنى الفروسية، تعديلا طفيفا من حيث اللفظ .. يبدو وكأنه تصحيف يسير، ولكنه بالغ الدلالة في المعنى .. وتبدو الفروسية فيه جزءا من كل .. لقد اطلق عليه زيد الخير .. والخير اسم جامع لكل الخصال الطيبة ..

ومساكن طيء .. القبيلة التي ينتسب اليها زيد الخير، هي منطقة جبلي اجا وسلمي .. ولا يزال هذان الجبلان يحملان اسميها القديمين حتى الآن .. وهما في منطقة حايل .. شمالي المملكة العربية السعودية.

ويبدو من خبر اقطاع الرسول صلى الله عليه وسلم وله ارض فيد .. واراضي اخرى معه .. ان هذا الاقطاع انما كان لمنازل زيد نفسها .. لئلا يعترضه فيها معترض وجدير بالذكر، ان زيد الخيل كان حين وفادته سيد قومه .. وقد كان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم تكريم الرؤساء من امثاله واعطاؤهم الهبات واقطاعهم من الاراضي السوح ما يتألف به اسلامهم .. وفيد التي منحها الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد الخير تقع في جنوبي مدينة حايل وتبعد عنها بمقدار ١٢٠ كم ولعل تجمعات نبهان كانت في هذه المنطقة ..

---

[٤] معجم البلدان مادة موفق.
[٥] سيرة بن هشام.
[٦] ديوان زيد الخيل ص ٧.
[٧] موضع على بعد ١٤٠ كيلومتر جنوبي مدينة حائل، ولقصة وفادته ووفاته تراجع سيرة ابن هشام في ذكر وفد طيء ..
[٨] ذكرهم بن حزم في الجمهرة، وانفرد بذكر حنظلة .. وبعض المصادر تقتصر على ذكر مكنف وعروة .. وقد تضيف بعضها حريثا.
[٩] جمهرة الانساب لابن حزم ص ٤٠٤.

التراث العربي الإسلامي المروي أو الشفاهي في أوروبّا



بقلم : عمر عثمان خضر

توقفت اوروبا مبهورة وهي تشهد وتسمع عن مهرجان الفنون الاسلامية في لندن وبدأت لحظة اهتمام محسوبة بالتراث الاسلامي .. ودارت المساجلات حول الدور الحضاري الهائل للمسلمين في اوروبا .. وانحصرت الاهتمامات بالدراسات التاريخية واللغوية والفنون التشكيلية واساليب البناء والزخرفة والنقش ذات الطابع الاسلامي ..

وتطرق الامر الى الوجود الاسلامي وتأثيراته في اوروبا من حدودها الشرقية في البلقان والجنوبية في اسبانيا وحتى اطرافها الشمالية .. وربما تطرقت البحوث الى اعادة النظر في كتابات المستشرقين الاوروبيين عن الاسلام والمسلمين والتي تضمنت الكثير من المغالطات والافتراءات .. وفي اعتقادي ان كل هذه القطاعات الحيوية للحضارة قد حظيت بكثير من الاهتمام والبحث والتنقيب .. ودارت حولها التساؤلات وكتبت فيها عشرات المجلدات .. وعلى اي حال فان يقظة [illegible] الاوروبي ومحاولته من جديد البحث عن الينابيع الاسلامية للحضارة هو شيء يدعو للارتياح الشديد .. وان كان ذلك يؤكد ارتفاع اسهم عالمنا الاسلامي والعربي من جديد. ويهمنا في هذا المجال ان نلقي الضوء على التأثيرات الاسلامية والعربية على اوروبا في مجال حيوي الا وهو «التراث الشفاهي» او المروي ونسلط الاضواء على جانب حيوي من الثقافة العربية الاسلامية الذي لا زال حيا في وجدان الشعوب الاوروبية ونقصد بذلك تراث الحكاية الشعبية الشفهية:

ذلك ان الحكاية الشعبية لشفهيتها تهاجر من شعب الى شعب .. وتتحرك مع تحرك الانسان في اي اتجاه .. وتتواتر عبر الاجيال وتتخذ في اوطانها الجديدة اشكالا جديدة لكنها في اغلب الاحيان تحمل معها دائما اصولها القديمة .. وفي السطور التالية سنوضح مدى تأثير التراث الاسلامي العربي على التراث الاوروبي المتواتر حاليا ..

الحكاية الشعبية العربية والتراث الاوروبي

يقول العلامة الامريكي ستيث ثومبسون في كتابه «الحكاية الشعبية» (ان الصحراء العربية قد خدمت بثراء كل افريقيا وكل ارض شهدت الاسلام .. وان تأثيرات التراث الاسلامي على التراث العالمي بلا حدود) ونشهد الآن بتحليل سريع للتراث الشفاهي الاوروبي الذي جمع خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ان الحكايات الاسلامية والعربية قد أثرت في بيئة الحكايات الشعبية الاوروبية التي لا زالت تروى للآن. ذلك اننا نجد الكثير من الموتيفات التي تتشابه مع مثيلاتها في التراث الشفاهي للحكايات الشعبية الاسلامية العربية الذي نشط الباحثون في الاقطار الاسلامية والعربية في تجميعه ودراسته .. وبدراسة مقارنة تظهر بوضوح التأثيرات الاسلامية العربية في تراث اوروبا الشفاهي ولكي نوضح للقارئ البعيد عن حقل الفولكلور عن ماهية هذا التأثير نوضح اولا معنى المصطلح الفولكلوري موتيف

فالموتيف هو اصغر جزء قصصي له القدرة على الاستمرارية في التراث .. ولكي نوضح الامر اكثر نقول مثلا: ان خصلة الشعر العادية لا تكون موتيفة شعبية .. ولكن خصلة الشعر الذكية الرائحة التي تقود الى صاحبتها فهذه تعد موتيفة شعبية .. كذلك اذا عض الكلب انسانا .. فهذا امر عاد .. لكن ان يعض الانسان كلبا .. فهذه هي الموتيفة .. وهكذا تتميز الموتيفة عن الامور العادية في الحياة .. والحكاية الشعبية هي مجموعة من الموتيفات يحويها طراز TYPE وقد قسمت الحكايات الشعبية تبعا لتصنيف آرني–تومبسون الى «طراز» .

ولو تتبعنا التجميعات الشهيرة للحكايات الشعبية الاوروبية لوجدنا بوضوح العديد من الطرز والموتيفات التي لا تزال تروى في المجتمعات الاسلامية والعربية.

لقد بدأت اوروبا حقيقة تهتم بتراث الحكايات الشعبية في وقت مبكر .. فقد ظهرت مجموعة (دي كاميرون) لبوكاشيو في اوائل عصر النهضة. ثم في عام ١٥٥٠م نشر الجيوفاني فرنسيسكو ستراباورالا مجموعة اخرى من الحكايات الشعبية تلا ذلك في القرن السابع عشر ظهور مجموعة (جيام باتستا بازيلي)

ان الحكاية الشعبية لشفهيتها تهاجر من شعب الى شعب ، وتتحرك مع تحرك الإنسان في أي اتجاه ، وتتواتر عبر الأجيال وتتخذ في أوطانها الجديدة أشكالاً جديدة ، لكنها في أغلب الأحيان تحمل معها دائماً أصولها القديمة.

المسماة (بينتامارون) ثم تلا ذلك مجموعة بيررو. ثم ظهرت ترجمة انطوان جالاند لمجموعة الف ليلة وليلة العربية .. وفي القرن التاسع عشر ازدهرت حركة الاهتمام بالحكايات الشعبية .. بمجهودات الاخوان جرم في تجميع ودراسة تراث الحكاية الشعبية الشفهية الألمانية وتوالت التجميعات .. وعلى جهود الجامعين بدأت البحوث عن الأوطان الأصلية للحكايات الشعبية الشفهية ومحاولة وضع خريطة للحكايات في العالم بأسره وظهرت نظريات كثيرة منها نظريات هجرة الحكايات الشعبية من قطر لآخر لعنصر الشفهية .. وقد أرجع الاخوان جرم معظم الحكايات الاوروبية الى الشعوب الهندواوروبية التي هاجرت من اوطانها الاصلية في الهند واستوطنت اوروبا .. وقد شارك في هذا الرأي ثيودور بنفي واجيال من الباحثين الاوروبيين الذين استهوتهم فكرة ارجاع النصوص الشفهية المتداولة حديثا الى اصول بعيدة جدا .. وقد اغفل هؤلاء الباحثون التأثيرات العربية والاسلامية في التراث الشفاهي الاوروبي وربما كان ذلك اساسا لعدم وجود تجميعات للتراث الشفاهي الاسلامي العربي.

الاسلام والحضارة العربية في اوروبا

يقول ول ديورانت في موسوعته «قصة الحضارة» ان الانسانية شهدت فجرا جديدا وتبدلا حقيقيا بمولد الحضارة الاسلامية .. ويقرر جوستاف لوبون ان فضل العرب والاسلام على اوروبا عظيم ذلك ان العرب المسلمين قد اقاموا حضارة زاهرة في الاندلس ..

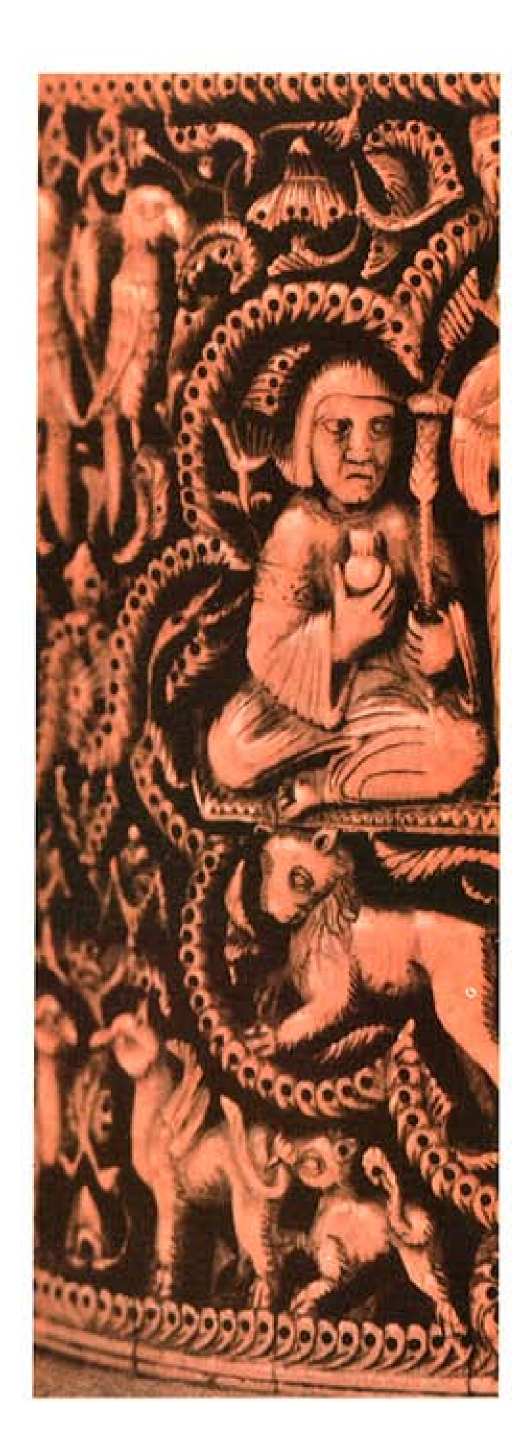
وكلنا يعلم ان العرب قد استقروا في الاندلس قرابة ثمانية قرون .. وان العرب حكموا جنوب فرنسا لفترات طويلة .. واستمر حكمهم لاقليم بروفانس اكثر من قرنين من الزمان .. وان العرب والاسلام قد وصلوا حتى سويسرا وان الحضارة العربية الاسلامية قد سيطرت على صقلية وجزيرتي كريت ومالطة وجنوب ايطاليا .. وان اوروبا قد اخذت الكثير من العرب والمسلمين وما زالت اللغة الايطالية تحمل مفردات كثيرة من اللغة العربية وحيثما تحرك العرب فقد حملوا معهم تراثهم العقائدي .. وعادات هنائهم الجمعي ومأثوراتهم الشعبية .. ولقد تعامل الاوروبيون مع التراث العربي لفترة طويلة .. وعرفوا المأثورات الشعبية العربية .. وتداولوها .. وكل ذلك قد ترسب في اللاشعور الجمعي للشعوب .. وظلت المأثورات تتواتر عبر الأجيال والمعروف ان الانسانية جمعاء مغرمة بالحكايات الشعبية .. وحيثما ذهبت في ارجاء الكون من احراش استراليا الى قلب افريقيا الى الاطراف الشمالية للاقيانوسة الى الامريكتين ستجد مجموعة من الرواة تلتف حول احد الرواة .. تنصت بشغف الى الحكايات الشعبية .. وقد سبق ان ذكرنا بان الحكايات الشعبية تهاجر من شعب الى شعب وعبر الاجيال بلا فواصل او حدود .. وانها تزرع في بيئاتها الجديدة لكن الثمار ترجع للأصل القديم .. وتحليل الحكاية الشعبية الى موتيفات ثم الى طراز هذا الاسلوب العلمي لمعرفتها .. والحكايات الاوروبية الشعبية الحالية تحمل الكثير من سمات الحكايات العربية والاسلامية .. وقبل ان نشير الى اوجه الشبه بين الحكايات العربية والاوروبية نود اولا ان نتحدث عن «الف ليلة وليلة» هذا المدون العربي الشهير الذي اوقع



الباحثين الاوروبيين في اخطاء فادحة اذا اعتبروه المرجع الاساسي في دراسة التراث الشفاهي العربي للحكاية الشعبية.

الف ليلة وليلة والتراث الشفاهي الاوروبي

رغم ان «الليالي» ستظل على الدوام تحمل طابعا شعبيا عربيا الا انها في واقع



الامر لا تمثل الا جزءا ضئيلا جدا من التراث الشفاهي المروي حاليا للحكاية الشعبية العربية .. ومعظم حكايات «الليالي» قد دخلت التراث الشفاهي في الاقطار العربية والاسلامية .. والمعروف ان «الف ليلة وليلة» قد استمدت بعض حكاياتها من ثقافات غير عربية .. هذه حقيقة ولكنها اخذت الكثير من التراث الشفاهي وتبلورت في النهاية لتحمل سماتها العربية المعروفة .. وقد عرفت اوروبا «الف ليلة وليلة» عن طريق المستشرق الفرنسي (انطوان جالان) الذي اخذ منذ عام ١٧٠٤م في ترجمتها الى اللغة الفرنسية مع محاولة تطويعها لتلائم الذوق الفرنسي كما ترجمها ايضا المستشرق (اوتولتيمان) وظلت هذه الترجمات تمثل في نظر الباحثين الاوروبيين التراث الشفاهي للحكاية الشعبية العربية .. وواقع الامر ان «الف ليلة وليلة» ترجع الى حوالي القرن العاشر الميلادي حين نشطت حركة الترجمة في الدولة الاسلامية .. وكان قد ترجم في حوالي القرن الثامن الميلادي كتاب بعنوان «الالف ليلة» وهي مجموعة من الحكايات الهندية والفارسية وانتقل الكتاب الى الشام ومصر وتعرض خلال ذلك الى تغييرات جذرية بالاضافة والحذف وتغيير بنية الحكايات .. وفي مصر تبلورت في شكلها النهائي لتضم حكايات عربية من الجزيرة العربية والعراق ومصر والشام .. وظلت المجموعة تتطور وتتبدل الى ان اخذت شكلها النهائي في مصر في القرن الحادي عشر الميلادي .. وعلى ذلك فقد ساهم في مجموعة «الف ليلة وليلة» كل من الهند وفارس والجزيرة العربية والعراق وتركيا والشام ومصر .. ومع ذلك فالعجيب حقا ان تأخذ اوروبا «الليالي» على انها واجهة التراث الشفاهي للحكاية الشعبية في شرقنا العربي والاسلامي.

الف ليلة والتراث الشفاهي العربي

دخلت معظم حكايات «الليالي» التراث الشفاهي للأمة العربية .. وأصبحت تروى بطرق مختلفة لكنها في النهاية ترجع لتتشابه مع حكايات «الليالي» من حيث انها تتضمن الموتيفات الموجودة بها .. وقد تعرضت مجموعة «الليالي» لكثير من الدراسات والبحوث اشهرها رسالة الدكتوراة للاستاذة سهير القلماوي وقد أثارت «الليالي» قضية الاصل في الحكايات العربية الاسلامية الشفهية .. فهل كانت من واقع التراث الشفاهي للحكاية العربية؟ .. ام ان التراث الشفاهي قد اخذها من المدون الشهير؟ .. تلك قضية تتضاءل لو عرفنا كنوز الحكايات الشعبية في الوطن العربي والاسلامي .. وسنحاول في عرض نماذجنا ان نبعد ما نستطيع عن حكايات «الليالي» ويتبقى لنا الجزء الهائل من الحكايات الشعبية التي لا تزال تروى في خيام الشعر وفي القرى والمدن العربية .. والتي لا تزال عميقة التأثير في وجدان الناس البسطاء في كل بقعة عربية.

المشرق العربي ورواية الحكايات الشعبية

مشرقنا العربي هو مهد الحضارات القديمة في وادي النيل والهلال الخصيب والجنوب العربي .. ورواية الحكايات الشعبية من أقدم فنون الانسان .. وقد اكتشفت حكايات شعبية كانت تروى في مصر والعراق منذ آلاف السنين .. ورواية الحكايات الشعبية اذن فن عريق في أرضنا العربية .. وقد سبق ان أوضحنا نظريات هجرة الحكايات الشعبية لخاصية الشفهية .. ومنطقتنا العربية كانت على الدوام قلب العالم القديم .. وقد احتكت اوروبا بمشرقنا العربي منذ أقدم العصور .. وتوالت منذ عصور سحيقة الهجرات من والى المنطقة العربية واوروبا .. لقد شهدت أرضنا غزو الأغريق ثم الرومان .. ثم الاحتكاك

الاسلامي الأوروبي عبر الحروب الصليبية .. وفي مراحل ازدهار المدن التجارية الايطالية .. وقبل ذلك الوجود الاسلامي العتيد في الأندلس وجنوب فرنسا والبلقان لقرون عديدة .. كل هذا يدفعنا الى التساؤل عن مدى تأثير التراث الشفاهي للحكايات العربية في التراث الاوروبي.

ان العالم كله يعرف حكاية «الاخوان» المصرية .. هذه الحكاية نسوقها للتدليل على مدى تأثر اوروبا والامريكتين بالتراث العربي والاسلامي .. فقد اكتشفت الحكاية المصرية سنة ١٨٥٢م على ورقة بردى يرجع تاريخها الى عام ١٢٥٠ق.م في عهد الملك المصري سيتي الثاني .. والحكاية بكل موتيفاتها تنتشر في كل مجموعات الحكايات الشعبية الشفهية التي جمعت في اوروبا في العصر الحديث.

تقول الحكاية المصرية انه كان هناك شقيقان الاكبر أنوب .. متزوج .. والأصغر باتو .. ويعيش مع شقيقه وزوجة الشقيق في نفس البيت .. وحدث ان اشتهت الزوجة الشقيق الاصغر وحاولت ان تغويه .. لكن الأخ الاصغر رفض ان يخون شقيقه الاكبر ونهر الزوجة اللعوب .. وخشيت الزوجة ان يكشفها باتو امام زوجها فادعت له ان باتو حاول الاعتداء عليها .. وصدقها انوب وحمل سكينا واختفى في حظيرة الماشية ليقتل شقيقه باتو .. ولكن البقرة حذرته فهرب .. وطارد انوب شقيقه باتو وكاد يلحق به..فدعا الله كي ينقذه.. فاستجاب لدعوته فكان بينه وبين مطارده نهر به تماسيح هائلة .. وعند غروب الشمس حكى باتو لشقيقه عن الحقيقة وكشف له خيانة زوجته .. ورغم نداءات انوب الا ان باتو صمم على الرحيل الى وادي السدر .. واخبر شقيقه بانه لن يعود .. ولكن لو وجد شرابه يفور في الوعاء فليعرف ان شقيقه في خطر .. وليحضر لانقاذه .. وذهب باتو الى وادي السدر حيث يخفي قلبه في زهرة .. وهناك تزوج من فتاة جميلة .. وحدث ان كانت زوجته تستحم في النهر وداعبها النيل فخافت منه .. وحمل النيل خصلة من شعرها الذكي الرائحة الى قصر الملك .. فعجب الملك بالمرأة صاحبة خصلة الشعر الذكي الرائحة دون ان يراها فطلب من الوزير احضارها .. وتتوالى الاحداث .. وتخونه زوجته وتكشف سره فتقطع الزهرة ويموت باتو .. ويفور الشراب في وعاء شقيقه انوب فيأتي الى وادي السدر ويبحث عن قلبه ويسقيه له فيعود للحياة ويذهب باتو لينتقم من المرأة الخائنة.

هذه الحكاية العديدة الموتيفات انتشرت في انحاء كثيرة من العالم .. وشاع ذكرها في التراث الاوروبي .. والطراز قد يختلف من مكان لآخر ولكنه يحوي الموتيفات الاساسية للحكاية المصرية القديمة .. ويقرر فون سيدوف في تحليله للحكاية الاوروبية الشبيهة بالحكاية المصرية انها من بقايا الاساطير الهندوأوروبية .. ولم يشر بأية حال الى النص المدون وهي مغالطة علمية واضحة اساسها عدم وجود تجميعات للحكايات الشعبية الشفهية المصرية الى الآن ..

وبتحليل بسيط للحكاية المصرية والموتيفات التي تحويها والتي استخدمها الرواة بكثرة في تراث الحكايات الاوروبية يوضح لنا تأثير طراز واحد من الحكايات التي عاشت في ارضنا العربية منذ آلاف السنين فالزوجة الخائنة K.211C نصيحة من بقرة تتكلم BZ.11 حاجز طبيعي يحمي الهارب من المطاردة (B.672) الحب عن طريق خصلة الشعر الذكية الرائحة لامرأة مجهولة (T.11-4 1) وكم هو مثير للباحثين ان يكتشفوا انهم يعملون في نص كان يروى في منطقتنا العربية منذ اكثر من ثلاثة وثلاثين قرنا من الزمان .

وكم هو مثير ايضا ان ندرك ان تراث منطقتنا العربية الاسلامية القديم جدا قد تغلغل في تراث الشعوب الاخرى ويقرر ستيث تومبسيون حقيقة حين يقول (ان الاسلام قد ربط كل المسلمين في آسيا وافريقيا .. ليس فقط بتعاليمه الدينية .. ولكن اللغة ايضا هي التي فرضت على الشعوب ان يتوحد تراثها الشفاهي فالى جانب القصص الديني ازدهرت كافة انواع الرواية الاخرى للحكايات وتراثنا الشفاهي الذي بدأنا نهتم به اخيرا يحوي آلاف الحكايات التي نجد لها شبيها في تراث اوروبا .. بل اننا نجد احيانا طرزا كاملة في الحكايات الاوروبية ..



الحكايات الشعبية والتي تصدر في المانيا الغربية .. كذلك عرفت بعض نصوصنا الطريق الى الباحثين الاوروبيين عن طريق بعض الباحثين الغربيين المتحمسين من امثال الدكتورة سامية الازهرية وهي دانمركية شغفت بالحكايات الاسلامية الشعبية واعلنت اسلامها واصدرت كتابا قيما باللغة الالمانية عن الحكاية الشعبية في الشرق الاوسط.

ان امامنا واجباً يجب الاسراع في تنفيذه .. والامل معقود على جامعة الدول العربية ومؤسساتها الثقافية .. وكذلك على المؤسسات الفولكلورية في الاقطار الاسلامية والعربية وهو تجنيد مجموعات من الجامعيين الفولكلوريين الملمين بمناهج علمية يسرعون في جمع التراث الاسلامي والعربي .. واخيرا فان وسائل الاعلام الحديثة .. وظروف الحياة العصرية المعقدة تحدث تغييرات جذرية في افق الرواية الشعبية وكلنا امل في استدراك ما فاتنا في هذا المضمار وان نسرع بانشاء ارشيفات محلية للحكاية الشعبية الشفهية في كل قطر تكون اداة للباحثين المهتمين بهذا الجانب البسيط من جوانب التراث الاسلامي العربي.

الهوامش والمصادر

STITH THOMPSON
ORAL FOLK TALE

– مجلة الفنون الشعبية القاهرة – العدد السابع مقال الدكتور حسن الشامي بعنوان «طرز الحكايات الشعبية».

– نفس المرجع.

– د. نبيلة ابراهيم «اشكال التعبير في الأدب الشعبي» ص ٦٥

– علم الفولكلور تأليف كراب وترجمة احمد رشدي صالح.

– ول ديورانت «قصة الحضارة» من مقال الدكتور عبد الحميد يونس

– جوستاف لوبون «حضارة العرب» ص ٣١٦

– ارشيف مركز الفنون الشعبية «تجميعات الكاتب للحكاية الشعبية» القاهرة.

– مقال الكاتب بجريدة المساء القاهرة ١٦ مايو ١٩٦٥

– ريتشارد دورسون «محاضرة عن الفولكلور» بالجامعة الامريكية بالقاهرة نوفمبر ١٩٧٠

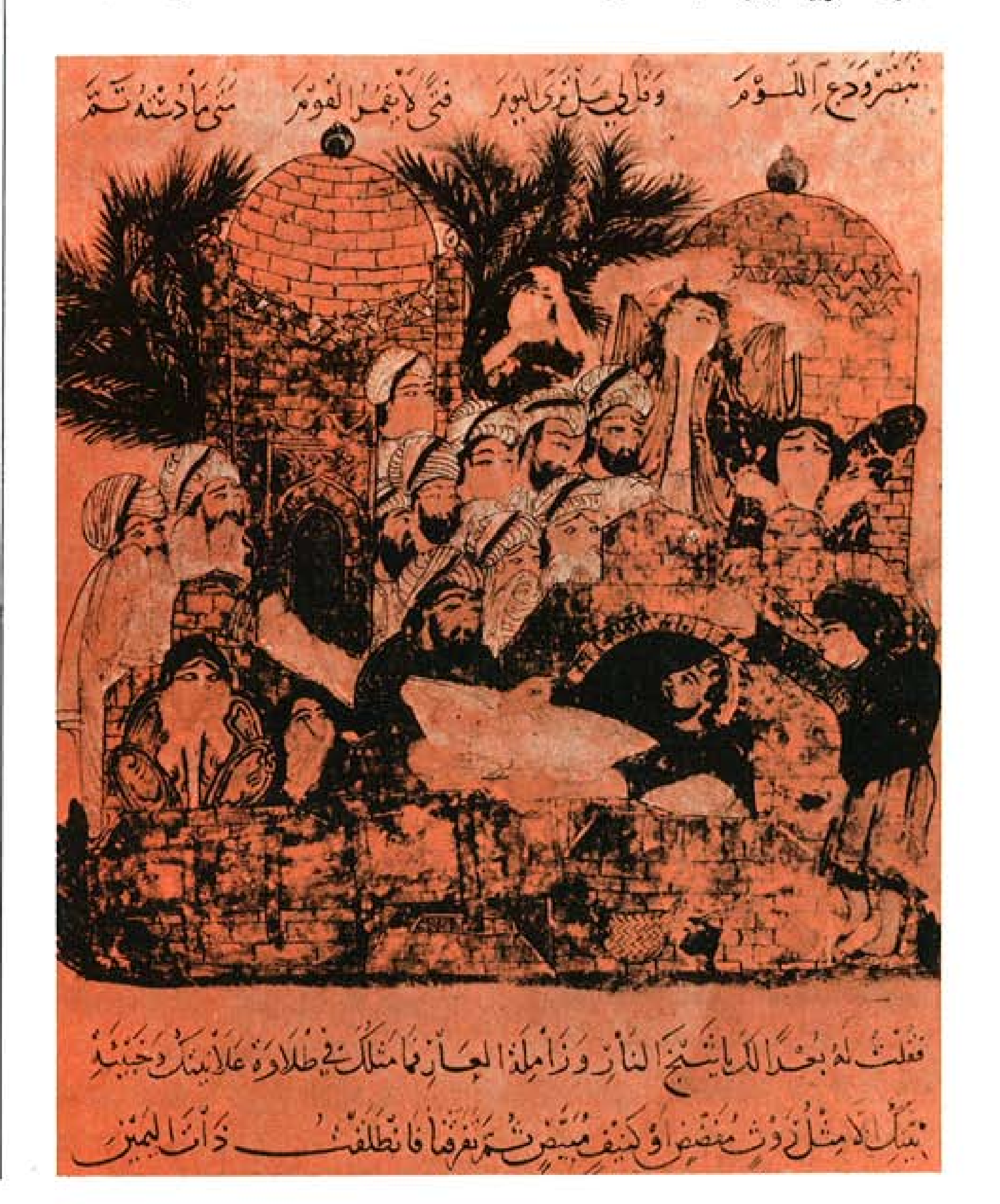
– مجلة فابولا FABULA العدد ١٨٣، ١٨٦، ٢١٠.

– اشكال التعبير في الادب الشعبي – د. نبيلة ابراهيم

– علم الفولكلور ترجمة احمد رشدي صالح

– مجلة الفنون الشعبية – القاهرة – الاعداد من ١ الى ٩

– ما هو الفولكلور تأليف فوزي العنتيل.



رحلة في كتاب

THE GENIUS OF ARAB CIVILIZATION



* «نجح كتاب عبقرية الحضارة العربية في تعريف القارئ العام بتراث العرب، فهو مجموعة من المقالات القيمة، تبحث في نشأة العالم الإسلامي بعد الفتوحات العربية في القرن السابع الميلادي، وتقيم إسهام العرب في الثقافة الإسلامية».

(الإكونوميست)

وعديد من فصوله كتبت كتابة علمية دقيقة، نخص بالذكر الفصول عن العلم والأدب والفن».

(نيويورك تايمز – بوك ريفيو)

عبقرية
خط
اليوناني
الثقافة
العصر
وسوعة
ا من
الرائعة
عمال فنية

—لندن)

* «يتبع كتاب
الحضارة العربية
استمرار العلم
القديم من خلال
العربية الى اوروبا في
الوسيط، وهو م
زاخرة تحوي عدد
البحوث القصيرة
عن شخصيات واع
شهيرة».

(التيمز

* عبقرية الحضارة العربية، كتاب موجه الى كل من يظن مخطئا ان العرب قوم لا حضارة لهم ولا ثقافة. ولذا فهو يركز على الماضي لا على العرب المعاصرين.

الضخ الثقافي والضخ الحضاري

وهذا جانب من جوانب الجدة في هذا الكتاب. ان تقوم شركة بترولية بإنتاجه. وكأنما تعترف بان ارض العرب. ليست ارضا لضخ النفط فقط. وانما كانت ولا تزال ارضا لضخ الثقافة وضخ الحضارة. إنها الأرض التي حنت عليها السماء بأسمى الرسالات. فعادت لتجود على الإنسان بالنفع والخير.

ولقد اتخذت شركة موبيل قرار انتاج هذا الكتاب منذ سنوات. بعد ان درست المادة المتوفرة باللغة الانجليزية. ودلت الدراسة على ان المكتبة العامة تخلو من الكتب التي تفيد القارئ المثقف غير التخصص. عن إسهام العرب في ميادين الثقافة

والعلوم من القرن السابع حتى القرن السادس عشر مما ا
به حضارات اخرى. وكشفت الدراسة عن كتب علم
تتناول جوانب مختلفة من الموضوع. ولكنها جميع
للمتخصصين ولم يقصد بها جذب جمهور واسع من

وتحتوي كتاب عبقرية الحضارة العربية على مجم
الفصول. لطائفة من المتخصصين في الموضوعات الر
حققه العرب. مثل (**منح خوري**) استاذ الادب العربي
كاليفورنيا. و (**مجيد فخري**) استاذ الفلسفة والتاريخ
الامريكية ببيروت. و(**اوليج جرابر**) استاذ الفن والعمار
هارفارد. و (**عبدالحميد صبرة**) استاذ تاريخ العلوم
الجامعة. و (**رونالد ر. هيل**) استاذ التكنولوجيا الآلية

ستفادت
سية كثيرة
ا كتبت
القراء.
وعة من
ئيسية مما
بجامعة
بالجامعة
ة بجامعة
بنفس
بجامعة

لوحة للفنان الايطالي روفائيل تمثل فلاسفة العرب . ويظهر في الوسط ابن رشد

لندن. و (**رجاني ودوروثيا الملاح**) من جامعة كولورادو في علوم التجارة. هذا فضلاً عن الاستاذ (**جون س. بارو**) الاستاذ بجامعة كولومبيا الذي قدم الكتاب بفصل عن دور العرب في الثقافة الإسلامية. والدكتور (**ابراهيم مدكور**) رئيس المجمع اللغوي بالقاهرة. الذي كتب الفصل الختامي. عن الصلة بين إسهام العرب في الماضي والعصر الحديث.

وبعد هذا كله تجيء اللفتة الرائعة. التي تجلت في إهداء الكتاب الى ذكرى الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله. لما له من علامات بارزة على جبين الجزيرة العربية. نبع تلك النهضة. ومهد تلك الحضارة.

منبع النهضة

وكما يتضح من الجزء الثاني من العنوان (**منبع النهضة**) يصف الكتاب الدور الحيوي الذي قامت به الحضارة العربية كهمزة وصل بين حضارة اليونان القديمة وبين اوروبا في العصور الوسطى. في العصر الذهبي للإسلام. حافظ العرب على تراث العالم القديم وأثروه بما اضافوا اليه ثم نقلوه الى الغرب. حيث بدأ تدوين الأدب العربي. ووضعت مجموعات النظم الاسلامية. وترجم الكثير من عيون الكتب القديمة في الفلسفة والطب. والرياضيات والفلك. والجغرافيا والكيمياء. وغيرها من العلوم التي اضاف اليها العرب ما بعث فيها الحياة.



أجل، لقد تقدمت علوم الحياة على أيدي العلماء والأطباء العرب، تقدما كبيرا امكن على اساسه تقدم علم الطب الحديث، ونشطت التجارة والتبادل التجاري، حتى وصل التجار الى الصين شرقا والى ما وراء جبل طارق غربا، وعمل المهندسون في مجتمع الرخاء، فقدموا مخترعات آلية جديدة عادت بالنفع والخير على الإنسان.

وعلى هذا يصح كما يقول **عباس محمود العقاد**، ان نعتبر ان سلالة العرب الناشئين في جزيرتهم الأولى، قد سكنت اواسط العالم المعمور منذ خمسة آلاف سنة على أقل تقدير، وان كل ما استفاده الاوربيون من هذه البقاع في هذه العصور، هو تراث عربي او تراث انتشر في العالم بعد امتزاج العرب بابناء تلك البلاد.

وما هو بالتراث القليل حقا كما يقول العقاد، لانه يشتمل على كل اصل عريق عند الأوربيين في شئون العقل والروح، واسباب العمارة والحضارة، فهم قد مزجوا معيشتهم اليومية وحياتهم العاطفية بالعقائد الدينية التي تلقوها عن السلالة العربية، ولم تزل بقاع اليامة الى ما بعد الاسلام مشهورة بالمراعي الواسعة، والعيون الثرارة والامطار الغزيرة والمروج الخضر التي تخلفت مما هو اخصب منها واعمر بالانسان والحيوان في اقدم الازمان.

جو ثقافي وطقس حضاري

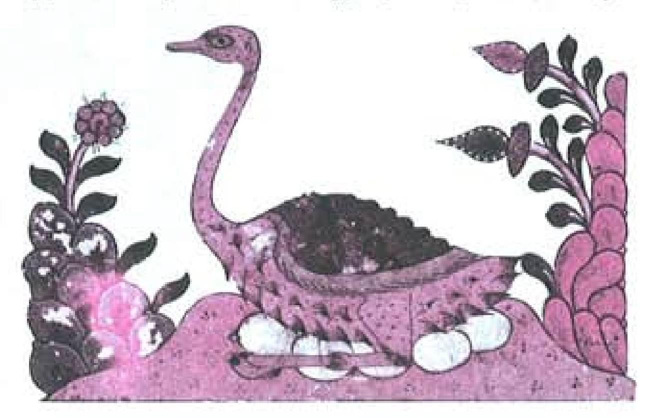
والحقيقة العامة والهامة التي يؤكدها هذا الكتاب، هي ان الحضارة العربية الإسلامية قد أفادت واستفادت في آن، فثمة سببية متبادلة بين هذه الحضارة وما قبلها وما بعدها من حضارات، على نحو ما يذكر **الدكتور ابراهيم مدكور** في تعليقه الختامي بعنوان **(العرب .. ماضيا وحاضرا ومستقبلا)** فاذا كان العرب قد نقلوا الثقافة اليونانية وترجموا آثار الاغريق، فذلك وحده جانب من جوانب العبقرية، لان العبقرية كما تقاس بالقدرة على الابتكار والابداع، تقاس كذلك بالقد[illegible] واستيعاب ما يبتكره الآخرون، ولا يمكن لأمة من استطاعت ان تفهم وتدون مبتكرات الفكر والأدب والفن [illegible] امة اخرى، وتكون عاطلة عن الموهبة، عاجزة عن الإبداع، فالنقل في ذاته قوة ايجا[illegible] لا تقل في اهميتها عن قوة الابتكار والانجاب، وقد استطاعت الامة العربية بما نقلته من تراث اليونان، ان توجد لنفسها جوا ثقافيا وطقسا حضاريا استطاع ان يفجر ينابيع الثقافة والحضارة في امم اخرى، ما كانت لتستطيع ان تجود على الحضارة الإنسانية بكل هذا العطاء.

فالفرس على سبيل المثال لم يكونوا من السلالة العربية، ولكنهم لم ينجبوا من الفلاسفة من انجبوا، ولا من العلماء والشعراء، قبل ان يستظلوا بمظلة الاسلام، وقبل ان تكتنفهم الدعوة الاسلامية التي انبثقت من قلب الجزيرة العربية، فالجو الثقافي الجديد الذي تهيأ لهم بظهور الاسلام، والطقس الحضاري الذي احاط بهم بعد قيام الدولة الإسلامية، كل هذا وكثير غيره، كان له اكبر الأثر في تفجير ممكنات الفرس، واطلاق قدراتهم في الابتكار والإبداع، والا اين كان الفرس قبل ظهور الاسلام؟

وما يقال عن الفرس، يقال مثله عن الكلدان والسريان الذين كانوا يحملون على اكتافهم ثقافة اليونان، ويعيشون بها في ظل الدولة الرومانية الشرقية، فلا أمتزجوا بهذه الثقافة، ولا أبدعوا شيئا يستحق الذكر، حتى اكتنفتهم الحضارة الاسلامية فانفعلوا بها وتفاعلوا معها، وعاشوا روادا للترجمة، ومعالم للطريق في البحوث العلمية والطبية فكانت لهم نهضة في الفكر، وفي العلم، وفي الطب، ما كان يمكن ان تتيسر لهم قبل فتوحات العرب، وانتشار الإسلام.

على ان هذين الجانبين من جوانب العبقرية العربية، يمكن ان يضاف اليهما جانب ثالث هو ما ابتكرته هذه العبقرية نفسها في العلم والأدب والفن، وفي التدوين والتربية والتعليم، وفي الصناعة والتجارة وآداب الحياة، فضلا عن فنون الحرب وفنون الحكم مما يعد إضافة حضارية أصيلة الى تراث الانسان.

وهذا ما عبر عنه الأستاذ **جون بادو** في تقديمه للكتاب بقوله عن «**دور العرب في الثقافة الإسلامية**» انه اذا كان اليونان هم عباقرة الغرب لما حققوه من اعظم المآثر في العصور القديمة، فإن المسلمين هم عباقرة الشرق لما حققوه من اعظم المآثر في القرون الوسطى، ومن الطبيعي الا ننسى ان عددا من العلماء قد اكبوا على دراسة الفكر العربي وبخاصة الفكر الاسلامي، لكن الواقع ان اكثر الباحثين والمؤرخين الذين تناولوا فكر العصور الوسطى، إنما كانوا يتناولون الفكر الغربي وبخاصة ما كتب منه باللاتينية



والصحيح، ان عددا من الاعمال الهامة قد كتب باللاتينية، ولكن اعمالا اخرى كثيرة وهامة كتبت باليونانية او السريانية او الفارسية او السنسكريتية، اما اعظم هذه الأعمال قيمة، وأكثر أصالة، وأغزرها مادة، فهي تلك التي كتبت باللغة العربية، فقد كانت اللغة العربية من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر، «**لغة العلم الارتقائية للجنس البشري**».

لغة العلم الارتقائية للجنس البشري

هكذا كانت هي اللغة الارتقائية في الأدب بوجه عام، فنحن نعلم ان العربي كان يقرض الشعر بسليقته، ويسيطر على خياله حس الجمال، وان اوربا كانت تتلقى آثار الأدب العربي .. شعرا ونثرا في العصور الوسطى، سواء عن طريق القوافل التي كانت تروح وتغدو بين آسيا واوربا الشرقية والشمالية عن طريق القسطنطينية، او عن طريق البلاد التي احتلها الصليبيون واقاموا فيها زمناً طويلاً بين مصر وسوريا وسائر البلاد الإسلامية، او عن



طريق الأندلس وصقلية وسائر بلدان اسبانيا العربية حيث قامت دولة المسلمين، ومن خلال هذه الروافد جميعا افاد الكثيرون من كبار شعراء اوربا خلال القرن الرابع عشر وما بعده، من الشعر العربي فائدة لا تقبل الشك ولا تحتمل الانكار، منهم «بوكاشيو» و «دانتي» و «بترارك» من الايطاليين، و «شوسر» الانجليزي، و «سرفانتيس» الاسباني، وشعراء «التروبادور» بوجه عام.

فحكايات «**الصباحات العشرة**» التي كتبها بوكاشيو تأثر فيها بالليالي العربية او بحكايات الف ليلة وليلة، وقصص كانتربري التي كتبها شوسر حذا فيها حذو بوكا شيو في قصص (الكاميرون). اما دانتي في كتابه الشهير (الكوميديا الالهية) فقد اقتفى اثر ابي العلاء المعري في رسالته الأكثر شهرة .. «**رسالة الغفران**» وأما سرفانتيس فقد الف قصته الشهيرة «**دون كيشوت**» متأثرا تأثرا واضحا بما اطلع عليه من الامثال العربية التي كانت شائعة بين العرب، والفكاهة الاندلسية التي استمدها من تاريخ الاسبان.

ونستطيع ان نذكر آخرين من امثال لافونتين الفرنسي في تأثره بكتاب «**كليلة ودمنة**» وسويفت الانجليزي صاحب «**رحلات جيلفر**» التي تأثر فيها بحكايات الف ليلة وليلة، وزميله (دى فو) الانجليزي صاحب رحلة «**روبنسون كروزو**» التي تأثر فيها برسالة «**حي بن يقظان**» التي الفها **ابن طفيل**، غير ان الذي يعترف به الجميع كما يقول **الاستاذ منح خوري** هو ان شعر التروبادور انما استمد مباشرة من النماذج العربية، وان ثمة ارتباطا وثيقا بين الشعر البروفانسي من ناحية، وبين الشعر العربي من ناحية اخرى، والحق ان العرب اقاموا في جنوبي فرنسا وبخاصة في مقاطعة بروفانس ابتداء من منتصف القرن الثامن، واستمرت إقامة عدد كبير منهم الى ما بعد ذلك، مما يرجح القول بان هذه الجماعة من العرب قد قامت بدور فعال في نشأة شعر التروبادور الذي نشأ في مقاطعة بروفانس بالذات.

ولعل هذا هو ما أكده البروفسور جب في كتابه، **تراث الاسلام**، من ان اوربا باسرها انما تدين لبلاد العرب بنزعتها المجازية الرومانسية، وانما كان يقصد هذا النوع من الشعر بالذات، الذي نهج نهجا جديدا، تميزه صفات نفسية واجتماعية جديدة وتصوير فني خيالي جديد، لم تكن له سابقة في الأدب الفرنسي من قبل، وكان كثير الشبه بنوع من الشعر المعاصر في اسبانيا العربية.

ويعرض باحثنا في هذا الكتاب لسر نجاح الف ليلة وليلة كل هذا النجاح، وكيف ان الأدب الانجليزي والأدب الفرنسي كليهما كانا يمران بأزمة في التعبير الجديد الذي يلائم الذوق الأكثر شعبية بعيدا عن الروايات الطويلة .. المملة والثقيلة .. التي ظهرت في القرن السابع عشر، والتي لم توافق مزاج الجماهير الباحثة عن روح المغامرة في الأدب الشعبي، وربما لم تكن حكايات الف ليلة وليلة هي الرفيعة المستوى من الناحية الأدبية، ولكنها كانت نموذجا فريدا لما يبحث عنه الأدباء مما يلائم اذواق القراء.

أصالة الفكر العربي الإسلامي

وبمقدار ما كانت العربية هي اللغة الارتقائية للجنس البشري في الادب بوجه عام كانت كذلك في الفكر بوجه خاص، هكذا كان **يعقوب الكندي** فيلسوفا عربيا اصيلا، وكذلك فلاسفة الاندلس كانوا من العرب ولم يكونوا من الفرس ولا من غير الفرس، ولاشك في ان فلاسفة الاندلس

كان لهم اكبر الفضل في توجيه الاوربيين الى البحوث الفلسفية والدراسات المنطقية، بل وفي تعريف العقل الاوربي بفلسفة **الفارابي .. المعلم الثاني**، وفلسفة **ابن سينا .. الشيخ الرئيس**. ومها اختلفت الآراء حول الفيلسوف الاندلسي الكبير **ابن رشد**، الملقب **بالشارح الأكبر** لعكوفه على شرح مؤلفات **المعلم الأول .. أرسطو**، حتى لقد وضعه الفنان الشهير **رفائيل** في مصاف فلاسفة الاغريق العظام، في لوحته عن «**مدرسة أثينا**» او **مدرسة الحكمة**، تقديرا لفضله في شرح تعاليم ارسطو من ناحية، ونقلها الى العالم الأوروبي من ناحية اخرى، مهما اختلفت الآراء حول هذا العقل الكبير .. **ابن رشد**، فقد اتفقت جميعا حول قبول الفلسفة الإشراقية التي صاغها **ابن باجة وابن طفيل** لأنها تؤمن بالإشراق، وبالمعرفة التي تستلهم لا عن طريق الحواس، ولا عن طريق العقل، ولكن عن طريق الحدس، ومن هنا كان تأثيرهما القوي في آراء كل من (**توما الأكويني**) و (**البرت الأكبر**) جناحي الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى.

على **ابن رشد** كان الحجة العظمى في الفلسفة في جامعات اوروبا منذ اوائل القرن الثالث عشر، ولما أخذ **لويس الحادي عشر** على عاتقه مسئولية تنظيم التعليم، امر بتدريس مذهب فيلسوفنا العربي، جنبا الى جنب مع ارسطو فيلسوف الاغريق.

وكان الرهبان الفرنسيسكان الفرنسيون شديدي التأثر بالتعاليم الرشدية، حتى ظهر الفرنسيسكاني الشهير (**دنس سكوت**) فعارض ابن رشد والرشدية واختط لفلسفته طريقا مغايرا في المنحي وفي الاتجاه، ومها يكن من اختلاف القديس توما الأكويني مع آراء ابن رشد فيما بعد الطبيعية وخلود النفس، فقد كان ينظر اليه على انه الشارح الاكبر للمنطق الأرسطي، ولمؤلفات ارسطو بوجه عام، على ان القلعة الحقيقية للفلسفة الرشدية كانت هي شمال شرقي ايطاليا، حيث تربع ابن رشد على كرسي الفلسفة في جامعتي بولونيا وبادوا، ومنهما انطلق الإشعاع الرشدي حتى نهاية القرن السابع عشر، ومن هنا كان اهتمام **الاستاذ مجيد فخري** في بحثه عن الفكر الفلسفي لدى العرب، بابن رشد والرشدية معا.

واذا كان الشاعر الايطالي الشهير دانتي اليجيري قد وصف القديس توما الأكويني بصفة تمنحه الرفعة والسمو، فقد سمى المسلمون الغزالي «**حجة الاسلام**» واذا كانا قد قاما بنفس الدور الفلسفي من حيث مناقشة تعاليم كل من ارسطو وأفلاطون، وتغليب العقيدة الدينية على منطق أرسطو القياسي، ونظرية افلاطون في المثل، فقد كان الغزالي أسبق في الزمن والتاريخ، واقوى في الحجة والبرهان. بل اننا لا نغالي في القول، ولا نجاوز الحقيقة إذا رددنا مع صاحب هذا البحث قوله بان اغلب ما كتبه توما الأكويني عن خلود الله، وبقاء الروح، وخلق الإنسان، كان قد تناوله من قبل **ابن سينا** بوجه عام **والغزالي** بوجه خاص وابن رشد بوجه أخص.

بل ان تأثير هؤلاء الفلاسفة الثلاثة بالذات، لا يقف عند توما الاكويني والبرت الكبير وغيرهما من فلاسفة الأوروبيين في العصر الوسيط، وانما هو يتجاوز ذلك الى التأثير في فلاسفة الغرب في العصر الحديث، وليس أدل على ذلك من تأثر (**ديكارت**) الفرنسي بالإمام الغزالي في اصطناعه الشك منهجا للمعرفة والوصول الى اليقين، وتأثر (**ديفيد هيوم**) الانجليزي بابن رشد في نظريته عن العلية والسببية او الأسباب والمسببات، كما تأثر **سبينوزا** الالماني بفلسفة ابن سيناء في إيضاح العلاقة بين المادة والروح، وكيف يؤثر العقل في الجسد، وتؤثر الروح في المادة، انطلاقا من القول بوحدة العلة والمعلول.

فإذا تركنا هؤلاء الفرسان الثلاثة من فرسان الفكر العربي الإسلامي، والتقينا بفارس رابع لا يقل تأثيرا وأثرا، وكان ذلك الفارس هو **العلامة ابن خلدون**، لوجدنا ان ريادته لعلمي التاريخ والاجتماع تفوق كل ريادة، وان أمثال فيكو الايطالي ومونتسكيو الفرنسي، فضلا عن الفيلسوف الوضعي اوجست كومت لم يفعلوا أكثر من اقتفاء اثر ذلك الرائد الكبير.

الريادة العربية لعلوم الحياة

على انه اذا كانت العربية هي اللغة الارتقائية للجنس البشري كما أوضحنا في الأدب بوجه عام وفي الفكر بوجه خاص، فإنها لكذلك ايضا في العلم بوجه أخص، وهذا ما يوضحه كل من الاستاذين **عبد الحميد صبرة** في بحثه عن العلوم الوضعية والرياضية عند العرب، كما يوضحه الأستاذ **سامي حمارنة** في بحثه عن الريادة العربية لعلوم الحياة.

ونظرة ولو عابرة الى بحوث القرن السابع عشر في طبيعة الضوء، وبخاصة بحوث الفيلسوف الفرنسي **ديكارت**، وقانون الأجسام الساقطة وبخاصة عند العالم الايطالي **جاليليو**، **ثم نظرة مقارنة بين هذا كله وبين رسالة الحسن بن الهيثم في الضوء**، نخرج منها بحقيقة على جانب كبير من الخطورة والخطر، هي ان ابن الهيثم كان بحق فاتحة الطريق الى البحث العلمي في البصريات.

فقد ظهرت في القرن السابع عشر نظريتان في الضوء، أو

بالأحرى في طبيعة الضوء، إحداهما نظرية **«دينا ميكية»** والأخرى نظرية **«هندسية»** اما النظرية الديناميكية فهي تلك التي تنسب الى العالم الانجليزي الشهير نيوتن، ولكن هذه النظرية يمكن النظر اليها على أنها تأويل فيزيقي للبرهان الرياضي الذي جاء به ديكارت على **«قانون الانكسار»** وهو من ناحية البرهان الذي نشره ديكارت في كتابه عن **«انكسار الضوء»** عام ١٦٣٧، وهو من ناحية أخرى البرهان الذي جعل مؤرخ العلوم الشهير **بول تانرى**، ينظر الى ديكارت على انه اول من اعطى مثالاً صارخاً لما ينبغي ان يكون عليه علم الطبيعة النظري، اذ بين في كتابه هذا عن انكسار الضوء، كيف يمكن ان تستخدم الرياضيات في علم الطبيعة، في الوقت الذي اقتصرت فيه نماذج القدماء في بحوثهم بوجه عام، على الاستاتيكا ونظرية مركز الثقل **ومبدأ ارخميدس**.

ويذهب الدكتور عبد الحميد صبرة في بحثه هذا، الى أننا إذا نظرنا الى هذا البرهان لوجدناه بدوره ينطوي على طريقة في الاستدلال الرياضي، كان ابن الهيثم اول من طبقها على الظواهر الضوئية، ذلك في كتابه القيم **«المناظر»**، وهو الكتاب الأسبق تاريخيا من كتاب ديكارت، فضلا عن انه الكتاب الذي لا يمكن من الناحية التاريخية، فهم كتاب ديكارت إلا في ضوئه ومن خلاله، وبذلك يكون ابن الهيثم هو الذي مهد الطريق لبحوث ديكارت، وهو الذي رصف الطريق طويلا وعريضا أمام استخدام الرياضيات في علم الطبيعة.

ولا غرابة في تأثر ديكارت بابن الهيثم، بطريق مباشر أو غير مباشر، فقد ترجم كتاب **«المناظر»** لابن الهيثم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، وسرعان ما شاع وانتشر بين علماء اوروبا، وليس أدل على ذلك من علماء جامعة اوكسفورد الذين كانوا يرون في ذلك الكتاب مثلا أعلى لطريقة البحث في علم الطبيعة، وهي الطريقة التي عارضوا بها طريقة ارسطو الكلاسيكية والذي اجتذبهم في طريقة ابن الهيثم هو بالذات أسلوبه في تطبيق الرياضيات على المسائل الطبيعية.

وثمة تشابها آخر ان يستوقفنا طويلا وعميقا، وهو ذلك التشابه الصارخ بين كل من ابن الهيثم واسحق نيوتن في موقفهما من طبيعة الضوء، فإننا نلاحظ ان العالم العربي الإسلامي، لا يجيبنا اجابة صريحة على السؤال عن طبيعة الضوء، وإنما هو يكتفي بعرض آراء السابقين عليه والمعاصرين له من أصحاب التعاليم والفلاسفة الطبيعيين، دون ان يهتم بترجيح رأي على رأي، ودون ان يزيد على القول بأنه إذا كان الضوء له وجود بذاته، فما علينا الا ان نكشف عن خصائصه كما تشهد بها التجارب، فليس المهم هو طبيعة الضوء، وإنما الأهم هو ما خصائص هذا الضوء؟

وعند الدكتور عبد الحميد صبرة، ان هذا الموقف شديد الشبه بموقف العالم البريطاني الشهير من المعارضين لنظريته في الضوء، فقد امتنع نيوتن عن إعلان اعتناقه لرأي بعينه في طبيعة الضوء قائلاً إن بحثه قاصر على بيان **«الخصائص التجريبية»** و **«المبادئ الرياضية»** دون النظر في **«العلل الطبيعية»**.

وقف نيوتن هذا الموقف حتى ينأى بنفسه عن الخلافات القائمة في عصره بين الفلاسفة الطبيعيين، وحتى يضمن لنظرياته قبولا لديهم بصرف النظر عما يكون لهم من ميول نظرية او فلسفية، وكأن ابن الهيثم هو الآخر، او بالأصح هو الأول، قد أراد بموقفه أن يبتعد عن النزاع القائم بين المتكلمين والفلاسفة المشائين، حتى يخطو خطوة جديدة، يحرر بها علم الضوء من المنازعات الفلسفية والكلامية، ويقيمه على أساس تجريبي خالص، ومن ثم كان بحق الرائد الأول للعلم التجريبي الحديث.

بصمات على جبين الفكر

فاذا انتقلنا من علوم المادة الى علوم الحياة، كالطب والكيمياء، بل وكل ما له علاقة بالصحة العامة، لشاهدنا بصمات العرب والمسلمين أوضح على جسد الحياة، كما شاهدناها واضحة على جبين الفكر، ولا نكاد نكتفي بالمشاهدة وحدها، ولكن بالشهادة ايضا بأثرهم الطبي ومآثرهم الكيماوية في اوربا ابتداء من القرن الحادي عشر وحتى القرن التاسع عشر، فطوال هذه المساحة الزمنية الفسيحة، تربعت كتبهم على عرش الطب في اوروبا، واعتمدت مناهج الدراسة الأكاديمية على مصنفاتهم الكيماوية، **فكان الرازي وابن سينا هما فرسا** الرهان في جامعة لوفان، في الوقت الذي توارت فيه مؤلفات الاغريق الطبية خجلا امام مؤلفاتهما، فلم يبق من **أبقراط** سوى حكمه المأثورة ولا من **جالينوس** سوى أقواله في أوليات الطب.

وها هي كلية الطب في جامعة باريس تعلق على جدرانها صورة **ابي بكر محمد الرازي**، الذي كان كما يقول **ول ديورانت** في كتابه عن **«قصة الحضارة»** اعظم طبيب في العالم العربي الإسلامي، وواحداً من أعظم الأطباء على مر العصور. وربما كان كتابه الكبير والشهير المسمى **«الحاوي»** والذي صنفه في عشرين جزءا، هو أضخم مؤلف ألفه طبيب في تاريخ الطب العالمي، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية في القرن الثالث

والى جوار صورة الرازي المعلقة على جدران كلية الطب

بجامعة باريس، تستطيع كذلك ان تشاهد صورة **أبو علي الحسين بن سينا**. الذي كان يرى أن الطب هو الفن الذي يعمل على إزالة كل ما يعوق الطبيعة البشرية عن القيام بوظائفها، وعلى هذا الأساس وضع كتابه الضخم المسمى «**القانون في الطب**» الذي تناول فيه بالبحث علم الصحة والصيدلة، وعلم التطبيب ووظائف الأعضاء وكان لهذا الكتاب ما كان من أثر بالغ وتأثير بليغ في الحياة الطبية في العالم. فقد طبع في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الخامس عشر ستة عشر طبعة. وطبع خلال القرن السادس عشر أكثر من عشرين طبعة، وكان قد ترجمه **جيرار اوف كريمونيا** في القرن الثاني عشر الى اللاتينية، وألف في شرحه الكثير في اللغات اللاتينية، والعبرية. واستمر في طبعه وتدريسه حتى نهاية القرن السابع عشر وربما لم يدرس كتاب في الطب على مر العصور كما درس هذا الكتاب مما حدا بالمستشرق المعروف **مايرهوف** الى ان يقول في كتابه عن «**تراث الإسلام**» ما نصه (**ولقد بلغ الطب الإسلامي عن طريق ابن سينا عميد الأطباء وأميرهم أوج عظمته وازدهاره**).

فنون العمارة والجمال

ونتنقل من علوم المادة والحياة، الى فنون العمارة والجمال، لتطالعنا الحضارة العربية الإسلامية، بصورة من الروعة والبراعة معا، وعلامات من الدقة والرقة في آن، إنها لا تدل فحسب على مجالي هذه الحضارة، ولكنها تدل كذلك على مدى أصالة الوجدان البشري، وقدرته على الابتكار والإبداع، فمن **قصر الحمرا** في اسبانيا الى **تاج محل** في الهند، مرورا **بجامع السلطان حسن** بالقاهرة، **والجامع الاموي** بدمشق، **وجامع الكتبية** بمراكش، فضلا عن **جامع قرطبة**، **وجامع القيروان**، **والجامع**

والحق أن الأمة العربية، عندما تهيأت لها أسباب النهضة، باندماج تلك الشعوب جميعا تحت راية واحدة هي راية الاسلام، استطاعت بحق وعلى حد تعبير **أوليج جرابر**، أن تبهر العالم الغربي الأوروبي، وأن تشيد لنفسها تلك المدرسة العربية الإسلامية في الفن، التي تخرج فيها الفنانون الأوروبيون جيلاً وراء جيل، أو عصراً بعد عصر.

ويكفي ان يجيء الاعتراف بتأثير فن العمارة العربي على فنون العمارة الغربية من المستشرقين أنفسهم، فها هو **جوستاف لوبون** في كتابه «**حضارة العرب**» يشيد بهذا التأثير، حتى ذهب الى ان الاوروبيين في العصور الوسطى كانوا يستقدمون فنانين ومهندسين من العرب، كما فعل **شارلمان** على سبيل المثال، وكما حدث في بناء الكثير من الأبراج والقصور.



ولا يقف الإبداع العربي الإسلامي عند فنون العمارة وحدها، وإنما يتجاوزها الى فنون الزخرفة أو ما تسميه اليوم بالفنون الجميلة، كما يقول **أوليج جرابر**، فالفسيفساء، والمنمنمات، والخزف والطنافس والأواني والصواني، فضلاً عن الحلى والمنسوجات، كل هذا وكثير غيره، تناولته أيدي الفنانين العرب فأحالته تحفا من الفن الزخرفي الرفيع، كانت تستهدف في تصميمها وحدة نظمية بعينها، تبتدئ من المركز متجهة الى الأطراف، او من البداية حتى النهاية، فتلوح وكأنما هي نغم موسيقي، أو قصيدة من الشعر.

ولم تكن لتستعصى على الفنان العربي الإسلامي اية مادة، حتى «**تتزخرف**» وتستحيل في يديه تحفة فنية تجمع بين الروعة والبراعة جميعا، فأصبح الخشب والمعدن، والآجر والحجر، والزجاج والفخار، والقرميد والقاشاني، أصبحت هذه المواد جميعا أدوات لصياغة نماذج فنية كأنما هي قصائد من الشعر.

ولا نكاد نذكر هذا كله دون ان نذكر الكتب بوجه عام، وعلى رأسها **المصحف الشريف**، الذي تفنن الفنان العربي الإسلامي في تجليده مستخدما الزخرفة التي تجمع بين الجلال والجمال، والكتابة المذهبة التي تشي بخشوع الفنان المؤمن أمام كتاب الله الكريم. لقد بلغ الفنانون المسلمون في هذا الفن أوج الكمال، مما جعل اوربا تنظر الى الفن العربي الإسلامي أكثر من ألف عام، **وكأنه أعجوبة من أعاجيب الزمان**.

وما هي بأعجوبة من الأعاجيب، ولكنها كما يقول عنوان هذا الكتاب «عبقرية الحضارة العربية كمنبع للنهضة» أو هي بعبارة اخرى شمس العرب وقد سطعت على الغرب، واذا كان قد انتابها نوع من الكسوف، فما هو إلا كسوف جزئي، عادت الشمس بعده لتشرق من جديد.

الصحراء

رحلة تاريخ طويل في حياة الإنسان

الصحراء .. تداعيات الإنسان العربي بكل همومه .. ومحارة شوقه وأحلامه التي لا تنضب !!



الطوارق (وجه من الصحراء)

الصحراء .. ملحمة حرب .. وحب ! !

الصحراء .. شوق يتوسّل مع كل «شيلة هجيني» و «صوت سامري» .. و «دقة دوسري» ! !

«تتشجّر» بالشيح والخزامى .. والعرعر .. والعرار والوزّاب ..

الصحراء .. حداء مثقل بأحاسيس الندى .. وندى الذكرى ! !

وتتصقّر بالقنص .. وأيام «المقناص».

هذه هي صحراء عربي الأمس .. عربي الخيل .. والجمل .. والخيمة ..

أما صحراء عربي اليوم .. فهي آبار البترول .. وآليات المدنية الحديثة .. والشموخ الدولي ! ! والحديث عن الصحراء ممتد بلا حدود .. وشيق بلا ملل .. وحافل بالحيوية .. والحركة عنفاً كرياح «الخماسين» .. و «الريح الشمالية» وهادئا ناعما كنسم الأماسي «النجدية» ولحديث الصحراء رائحة خاصة ذكية كرائحتها بعد نزول المطر .. وانسياب الماء الى اعماقها مطفئا ظمأ القيظ .. ولهب الشمس.



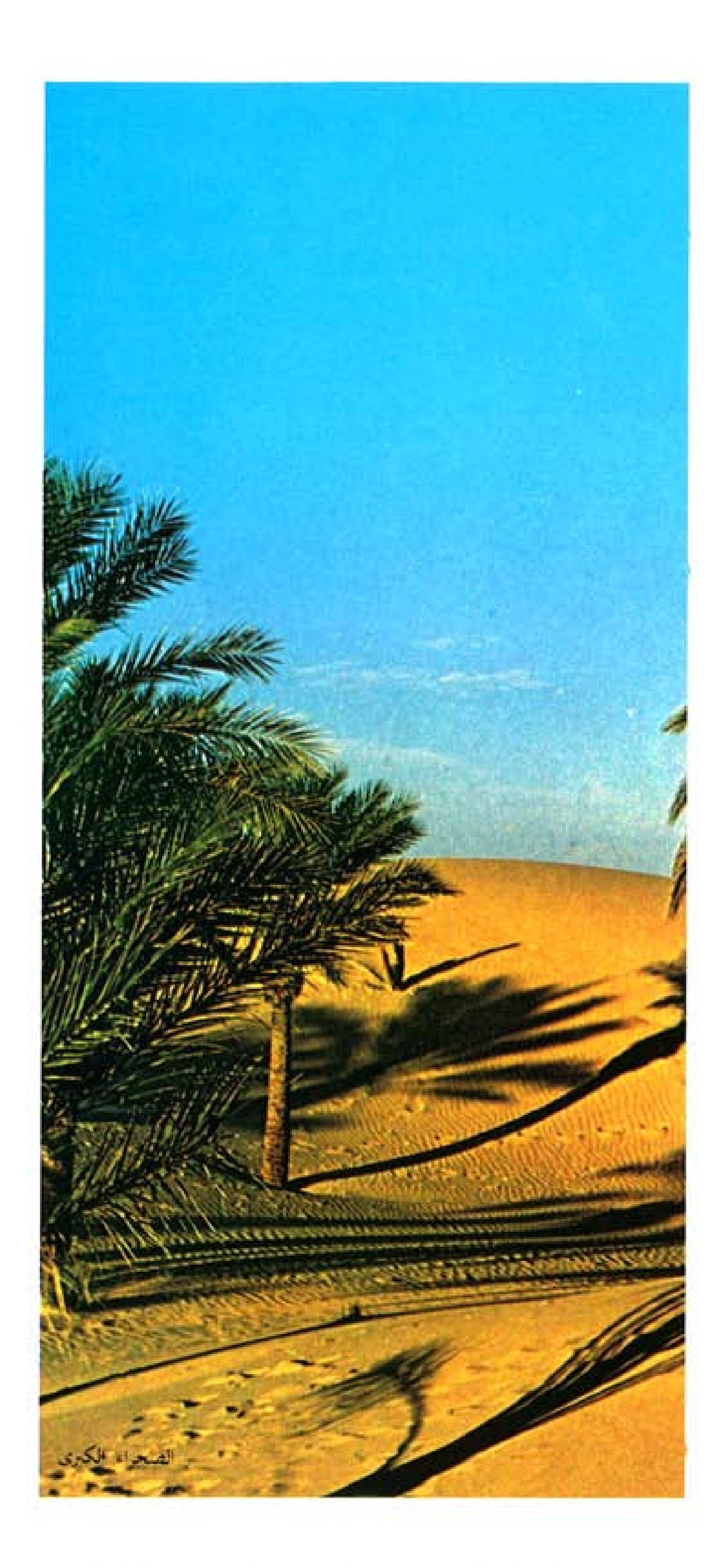
ما هي الصحراء؟

الصحراء .. عند الانسان الفنان لوحة متكاملة بألوانها الصارخة .. والهادئة .. وظلالها العبقرية .. وملحمة شعر في حالات السلم .. وفترات الحرب .. وقلبية عشق رائدة تختصر كل قصص الحب والفروسية.

مجلة الفيصل – ص ٩٢

وهي عند العلماء .. وفي القواميس .. واللغة شيء غير هذا!!

* ورد في القاموس المحيط ان الصحراء هي «الارض المستوية في لين وغلظ دون القفّ او الفضاء الواسع لا نبات به. وانما لم يصرف للزوم حرف التأنيث .. وجمعه صحارَى وصحارِي وصحراوات»



الصحراء الكبرى

* وفي دائرة المعارف البريطانية هي «مناطق قاحلة تختفي فيها الخضرة .. وتنخفض بها كثافة السكان الى حد كبير».

* وفي دائرة معارف العلوم «لفظ الصحراء – أساسا – إصطلاح مناخي يفسر ظروفا مناخية معينة تسود منطقة بعينها .. أما لفظ المناطق القاحلة .. أو الجفاف .. فهما الاصطلاح الفني عن الصحراء .. ومن ثم تطلق كلمة «صحراء» على الاراضي الخالية التي لا يحتمل الانسان الحياة فيها»

* أما في الموسوعة الميسرة فهي «منطقة جرداء تغطي الرمال الجانب الاكبر منها .. وتقوم بها حياة نباتية .. وحيوانية جد قليلة .. ومكتفية».

* الصحراء في اللغة «الأرض الميتة .. الفلاة .. البادية ... الخ»

ومن خصائص الصحراء انها:

** نادرة السكان

** قليلة المحاصيل المزروعة.

** لتربتها .. ونباتاتها النامية بها خصائص معينة .. بيد ان الخيط الذي يربط جميع انواع الصحاري هو «الجفاف».

الصحراء في سطور

* تقع أكثر المناطق الصحراوية اتساعا في **آسيا** .. **وافريقيا** .. **واستراليا** .. **وامريكا الشمالية وامريكا الجنوبية** .. وهذا يعني ان اكثر بلدان العالم فيها مناطق صحراوية باستثناء أوروبا التي تعتبر القارة الوحيدة الخالية من الصحاري الا بعض الاقاليم شبه الصحراوية حول البحر الاسود وبحر قزوين وفي أوكرانيا وشمال القوقاز.

* بعض العلماء يعتبر بعض الكواكب المجاورة للأرض كالقمر والمريخ نوعا آخر من الصحراء .. ويطلقون عليها «صحراء الكرة الأرضية» اذا صح التعبير.

* من ثروات الصحراء المعدنية البترول .. والغاز الطبيعي .. والذهب والماس .. والفوسفات والفترات .. والحديد الخام.

* انتشرت الحضارات القديمة على جانبي الانهار التي تمر في مناطق صحراوية مثل نهر النيل .. والفرات .. ونهر الهندوس .. وعرفت صحراء المغرب العربي كما ذكر الدكتور عباس الجراري في العدد السادس من مجلة «المناهل» المغربية رجب ١٣٩٦هـ/يوليو ١٩٧٦م – السنة الثالثة في المراحل الاولى للتاريخ .. وما قبل التاريخ في الفترة البدائية حضارات حجرية .. وبرونزية .. وحديدية.

* تبلغ المساحة الكلية للصحراء في شبه الجزيرة العربية اكثر من مليون كيلومتر مربع .. مقسمة الى ثلاث صحراوات تقع اثنتان منها بالمملكة العربية السعودية .. وهما (**النفوذ .. والربع الخالي**) .. أما الثالثة فهي الصحراء السورية.

كل عام وأنتم بخير

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك

مؤسسة الحربي التجارية

يسرها أن تقدم لكم تلفزيون إمرسون الملون



يعمل على الثلاثة أنظمة:

- بال
- سيكام

و... إن تي اس سي الأمريكي

كفالة لمدة ثلاث سنوات

قطع الغيار والصيانة متوفرة

مقاسات مختلفة ١٨/٢٢/٢٦ بوصة

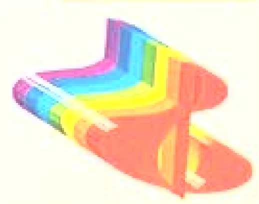
إمرسون الملون

EMERSON Colour

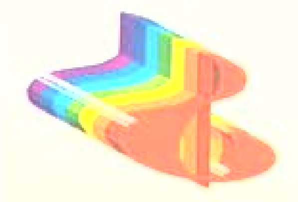


مزود بـ "ريموت كونترول" لضبط الصورة والصوت مع الألوان.. من بُعد..

الوكيل العام



مؤسسة الحربي التجارية



الرياض - ت ٣٤٢٥٨ - ص.ب ١٩٣٩

* يرتبط حجم حيوانات الصحراء ضخامة أو ضآلة بوفرة الماء .. أو ندرته .. وأشهر حيوانات الصحراء الغزلان، السحليات، العقارب وغيرها من القوارض .. والثعالب .. والجرذان .. والعناكب .. والارانب .. واليرابيع .. والجمال .. والقنافذ .. وقطط الرمل .. والخفافيش .. والسلاحف .. والخنفساء .. والحية ذات الاجراس.

* تتراوح درجة الحرارة بالصحاري الاستوائية بين ٨٥° ف — ٩٠° ف .. وتبلغ ١٠٠° ف نهارا في الصيف، بينما تنخفض الى ٥٠—٦٠° ف في نهار الشتاء .. وليلا تنخفض الى ٤٠° ف .. كما يسقط الصقيع في بعض الاماكن.

* أكدت الابحاث خصوبة تربة الصحراء الى حد كبير .. فهي لا تحتاج لغير الماء كي تزهر الورد

* تغطي الصحاري ⅕ خمس مساحة اليابسة .. وتقع اكبر الاقاليم الصحراوية بين خطي عرض، ٢٠، ٣٠° شمال وجنوب خط الاستواء حيث تصد الجبال الرياح التجارية الممطرة أو بسبب الضغط الجوي المرتفع تيارات هوائية هابطة .. ومن عوامل تكوين الصحاري حرارة الشمس المرتفعة .. ونسبة البخر العالية .. ونسبة المطر السنوي الضئيلة.

* تعتبر **الصحراء الكبرى** في افريقيا اكبر صحاري العالم .. وتأتي من بعدها الاقاليم الصحراوية بوسط استراليا وجنوبها.

* ومن اشهر نباتات الصحراء واشجارها «البلوط» **(شجيرة الليلق)** .. والفوكيير .. والعصا الخضراء .. والصبار .. والتين الشوكي .. والنخيل .. كما يوجد المشمش .. والخوخ .. والرمان .. والبرتقال .. الى جانب بعض المحاصيل البقولية كالقمح والذرة والشعير .. والبرسيم.

وفي أطرافها الغربية المسماة صحراء «تكلمكن» مياه تكفي لسد حاجة حياة النباتات والجزء الشرقي منها مجدبا اللهم بعض الآبار والاماكن المشهورة بالمستنقعات .. وجزء من الحدود الجنوبية لهذه الصحراء هو سور الصين الذي انشأه الصينيون قبل عشرين قرنا.

الصحراء العربية

تشمل هذه الصحراء معظم شبه الجزيرة العربية .. وتمتد الى **الأردن** .. **والعراق** .. **وسوريا** وقد قدرت المساحة الكلية لهذه الصحراء بأكثر من مليون كيلومتر مربع وتنقسم الى ثلاث صحاري هي: **الربع الخالي** .. **الصحراء السورية** .. **صحراء النفوذ**.

وأكبر هذه الاقسام هي صحراء الربع الخالي .. أو صحراء الدهناء .. أو الصحراء الرملية العظيمة .. وتقع في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة العربية بالمملكة العربية السعودية .. وتبلغ مساحتها اكثر من ربع مليون ميل مربع (الطول ٧٥٠ ميل .. والعرض ٤٠٠ ميل) .. وهي تنقسم الى اربعة أقسام:

* **(الأحقاف)** .. ويقع شمالي شرقي حضرموت.

* **(صَيهَد)** .. ويقع في الجزء الواقع بين شمالي مأرب والجوف باليمن .. وبين شمالي حضرموت.

* **(وبار)** .. أو الدهناء ويقع في الشمال وقد سمي بالدهناء لحمرة رماله.

* **(أم العميم)** .. أو **(البحر الساقي)** كما يسميه بعض البدو .. ويقع في الجنوب والغرب وهذا القسم صعب الاجتياز لوجود الكثبان والغرود الرملية التي يغوص فيها الانسان اذا سار عليها.

ويعتبر الربع الخالي أوسع منطقة رملية متصلة في العالم .. وهي منطقة ليس بها عيون ماء .. أو وديان أو انهار جارية .. وانما تعشب بعض مناطقها في موسم سقوط الامطار حيث يذهب بعض البدو مع ابلهم ومواشيهم يرعونها لمدة ثلاثة اشهر.

وظل القسم الرابع دون استكشاف حتى عهد قريب .. وكان أول من ارتاده (برترام توماس) ١٩٣١م .. و (عبدالله فلبي) ١٩٣٢م.

صحاري افريقيا

في قارة افريقيا صحراوان:

** **الاولى في الشمال** .. وهي **(الصحراء الكبرى)** وتعتبر اكبر صحراء في العالم .. وهي تصل غربا الى المحيط الاطلسي .. وشرقا الى وادي النيل .. وتبلغ مساحتها عشرة ملايين كيلومتر مربع .. أي انها أكثر من ربع مساحة قارة افريقيا كلها .. ويبلغ طولها حوالي (**٥٠٠٠**) خمسة آلآف كيلومتر.

ويعتقد بعض العلماء ان الحشائش الخضراء والغابات كانت تغطي التلال التي تفصل بين الصحراء والبحر المتوسط في الماضي .. وقد وجدوا الوفا من الرسوم القديمة على الصخور مما يؤكد وجود اناس عاشوا في هذه البقعة .. أما اليوم فهذه الصحراء خاوية، واهلها يسكنون قرب حوافها .. وفي واحاتها .. وفي المناطق الجبلية وعددهم يقدر بمليون نسمة تقريبا.

وتوجد في هذه الصحراء جبال .. واشهرها وعورة الجبال المسماة **(تسيليناجر)** ويبلغ ارتفاع قممها الى ٦٠٠م .. وبها عدد من البحيرات الصغيرة هذه البحيرات المكتظة بالبط البري والخراف ومياهها يقال انها غنية بالاسماك.

واكبر جبال هذه الصحراء تقع في المنطقة التي يطلق عليها **(الهجار)** .. وقممها بركانية يبلغ ارتفاعها ما يقرب من عشرة الآف قدم .. وهذه المنطقة لم تكتشف بعد باستثناء بعض الرواد الذين حلقوا فوقها بالطائرات .. ويسكن فيها قبائل **(الطوارق)** الذي اشتهر رجالهم باللثام .. في الوقت الذي لا تستعمله النساء .. كما يسكنها قبائل **(المور الزرق)**.

** **الثانية** .. **في الجنوب الغربي** .. وهي **صحراء كلهاري** .. ومساحتها على اختلاف فمنهم من يقول انها اكثر قليلا من نصف مليون كيلومتر مربع .. ومنهم من يقول انها ضعف هذا الرقم.

(وتقع هذه الصحراء على هضبة مرتفعة تخترقها مجاري نهر جاف .. وتبرقشها تلال منخفضة وفيها عدد من المنخفضات الضحلة يطلق عليها (القدور) .. ومنها اشتق اسم كلهاري .. أي قدور الملح باللغة المحلية ذلك لان قليلا من الماء يتجمع في هذه القدور عندما تنزل أمطار الصحراء الشحيحة في فصل الصيف.

وفي هذه الصحراء يعيش حوالي ثلاثة ملايين نسمة منهم الزراع .. ومنهم الرحل ومنهم الذين يعيشون على الصيد وجماعة

منهم تسمى «**البشمن**».

صحاري استراليا.

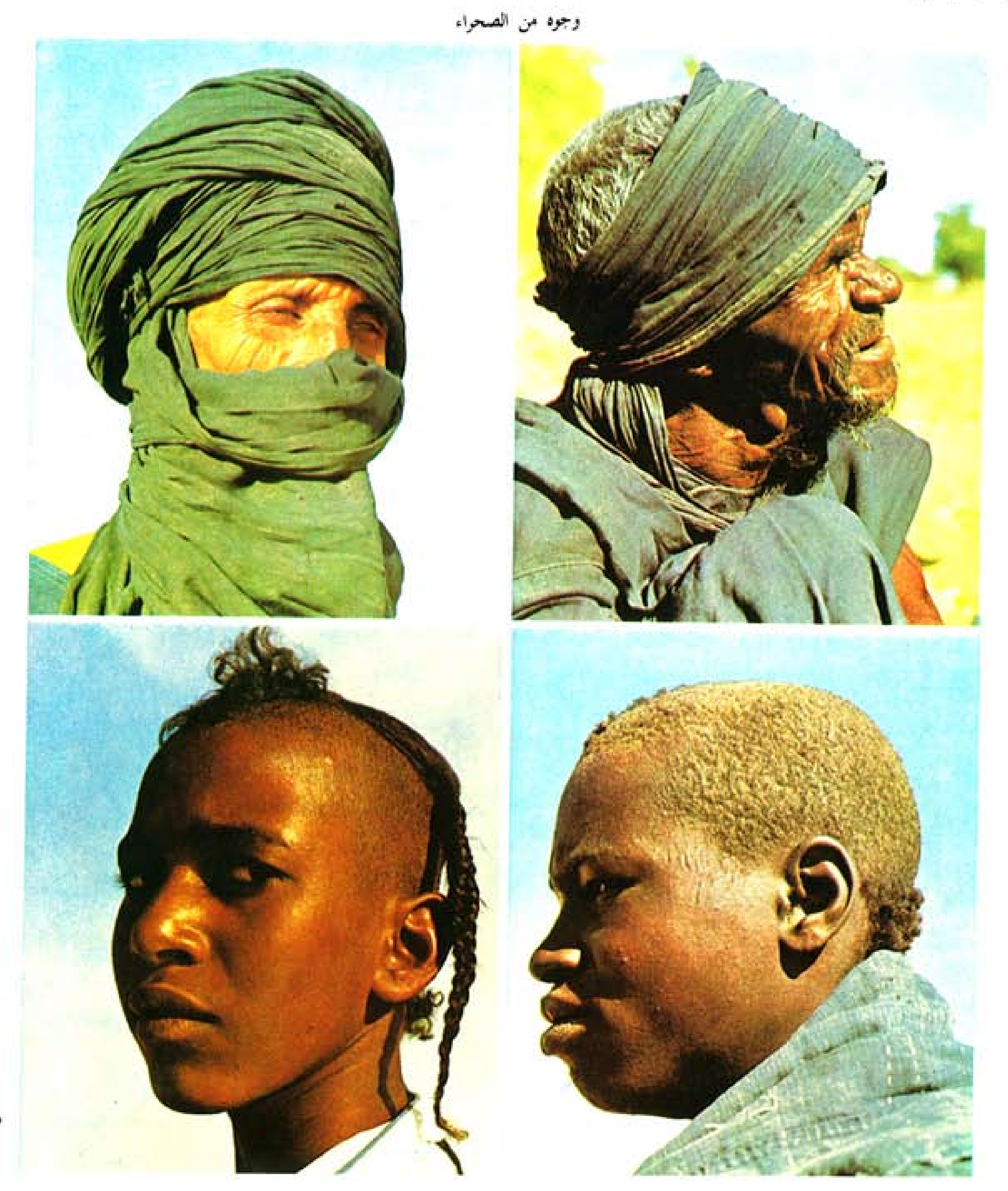
أغلب قلب القارة الاسترالية صحراوي جاف وحار تحيط به الجبال الخضر .. جزء من هذه الصحراء رملي والآخر صخري .. وتنقسم هذه الصحاري الى عدة اقسام:

* **الصحراء الفكتورية .. في الجنوب الغربي**
* **الصحراء الرملية الكبرى .. في الشمال الغربي**
* **صحراء (جبسن)**
* **صحراء (أرنتَا)**
* **صحراء (سمبسن)**

وفي موسم الامطار (**من ابريل الى اكتوبر**) تفيض الأنهار الى بعض هذه الصحاري حيث تكون بحيرات ضحلة مالحة لا تعدو عن كونها مستنقعات .. وتشتهر باشجار (**اليوكالبتوس**) اشجار الصمغ وتكثر فيها الثعابين .. والجراذين .. والقنغر .. وحيوانات اخرى. والصحاري المركزية في استراليا عبارة عن مناطق خاوية وحولها تنتشر طرق السكك الحديدية .. والطرق الزراعية .. وطرق الطيران .. ولا يسكن فيها سوى أهل استراليا الأصليين ذوي البشرة الداكنة.

وتجري التنقيبات حاليا في الصحاري الاسترالية على أمل وجود ثروات منها تحت ارض الصحراء المركزية كالنفط .. والذهب .. والفضة .. والنحاس .. والقصدير .. والرصاص .. والحديد .. والتنجستن .. واليورانيوم .. وهذا ما ظهرت بوادره

وجوه من الصحراء



على حوافيها.

صحاري امريكا الشمالية

تقع هذه الصحاري في **الولايات المتحدة الامريكية** .. **والمكسيك** .. ومن اشهرها:

** صحراء (**كولورادو**) في كاليفورنيا .. واريزونا
** صحراء (**تشيهواهوا**) في المكسيك .. وتكساس .. والمكسيك الجديدة في الشمال.
** صحراء (**موجاڤي**) في كاليفورنيا .. ونيفادا .. واريزونا
** صحراء (**سونورا**) في اريزونا .. والمكسيك
** صحراء **الحوض الكبير** (**جريت بيسن**) في يوتاه .. ونيفادا

وهناك صحراوات صغيرة مثل (**فزكاينو**) بكاليفورنيا السفلى .. والصحراء العليا باورجن وصحراء (**بينتد دزرت**) باريزونا.

صحاري امريكا الجنوبية

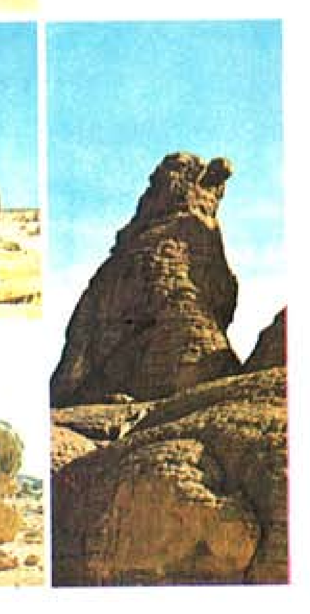
(**اتاكاما**) هي الصحراء الوحيدة في امريكا الجنوبية على طوال الشاطئ لجمهورية شيلي.

وتشتهر هذه الصحراء بانها اكثر صحاري العالم ان لم تكن اماكن العالم كله جفافا .. والطريف ان رجلا عاش ١٤ عاما في مدينة (**ايكيكة**) على حافة هذه المنطقة لم ينزل خلالها المطر على الاطلاق وقد كتب لاحد اصدقائه **(اذا عزمت على زيارتي فلا تبالي الا تحضر مظلاتك .. فلقد عشت هنا اربع عشرة سنة .. وفي تلك المدة لم تمطر مرة واحدة على الاطلاق)!!**

عرض هذه الصحراء أقل من ١٦٠ كلم .. وطولها يزيد عن ١١٢٠ كلم وهي تبدأ عند الطرف الشمالي من شيلي وتستمر جنوبا الى مدينة «كوبياكو» وتوجد منطقة شبه صحراوية تسمى «بوناوي اتاكاما» أي ارض اتاكاما الباردة تقع شرقي الصحراء، وبين القمم البركانية لجبال الانديز.

وقد عثر على الحديد .. والفضة .. والنحاس في هذه الصحراء .. وأهم منتجاتها النترات (**الازوتات**) .. وأهم مدينة فيها هي (**انتوفاغستا**) على الشاطئ وعدد سكانها حوالي خمسين الف نسمة.

نماذج من فن
النحت بفعل
عوامل التعرية





حضارات .. سادت في الصحراء

ان الباحث في تاريخ الصحراء يصادف آثاراً تدل على ان الانسان الاول كان يقتنص الحيوانات من المناطق التي كانت تنمو بها غابات البلوط والأرز، كمنطقة تبستي بالصحاري المركزية – وهي مناطق مأهولة بالسكان هذه الايام – وكذلك صحراء كالاهاري والصحراء الايرانية، وغرب الولايات المتحدة الامريكية، حيث توجد اشارة الى اثر مائي يتراوح عمقه بين ١٨٠–٢١٠ أمتار بوادي الموت.

كذلك تدل الآثار النباتية والآثار الحيوانية (خصوصا الاسماك وبعض التماسيح بالواحات) على وجود آثار سابقة لظروف مائية من مختلف صحاري العالم في الماضي القريب نسبيا. وتنطبق نفس القاعدة على آثار وجود الرومان بشمال افريقيا الذي يوضح مسرح (**ليبتس ماجنا**) في ليبيا، الذي صمم ليسع آلاف النظارة، والذي اصبح موقعه الآن ظلا باقيا لمدينة طواها النسيان.

ومع بداية التاريخ الانساني المسجل نشاهد آثار حياة ماضية ببعض المناطق القاحلة حاليا منها:

- آثار زراعة البقول، ونظم متعددة للري، بالمناطق المتاخمة لفلسطين وجبل الشيخ بسوريا، يرجع تاريخها الى ست آلاف سنة قبل الميلاد.

- آثار ازدهار بعض الحضارات بالهلال الخصيب الذي يكوّنه نهر دجلة والفرات يرجع تاريخها الى خمسة آلاف سنة او يزيد.

- آثار استيطان ببعض الصحاري الاسيوية وفي ايران.

ولئن كانت المناطق الصخراوية الحالية قد شهدت مثل هذه الحضارات في ماضيها التليد فان الثابت ان موارد المياه التي قامت عليها الحياة بها هي الآبار والمياه الجوفية.

والجدير بالذكر ان التحليلات المعاصرة قد اثبتت ان المياه الجوفية (**ومنها مياه الآبار والينابيع والعيون المائية**) تختص بعدة ميزات تفضلها عن المياه السطحية (**مياه الانهار**) منها

* خلوها من الميكروبات، وعدم الحاجة الى تنقيتها من اجل الاستعمال المنزلي او الصناعي.
* ثبات درجة حرارتها
* خلوها من التعكر (**الشوائب**)، وعدم تلوّنها
* تركيبها الكيماوي الثابت
* لا تتأثر بمياه الصرف
* ليست عرضة للتلوث الكيماوي والبيولوجي
* انها متوفرة في معظم المناطق التي تندر بها المياه السطحية **(أو تلك حكمة الله في أرضه)**

وقد يثار سؤال: اذا كان للمياه الجوفية هذه الميزات على مياه الانهار والبحار، فلماذا لم تنتشر مشاريع التنقيب عنها بشكل ظاهر في المناطق الصحراوية من العالم؟

والسبب في ذلك يعود الى الطبيعة الصخرية للارض .. مما لا يسمح بتدفق مياه كافية الى جانب ان تكاليف التنقيب عنها باهظة عن شق الترع والقنوات.

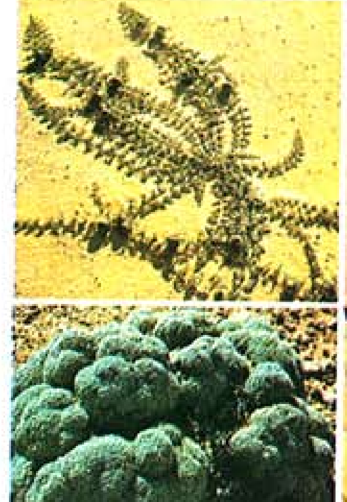
انسان الصحراء

مشكلة انسان الصحراء الاساسية هي الماء .. وامام هذه المشكلة استطاع ان يكيّف نفسه .. ويبتكر ضروبا من الحيل للاستفادة من القليل النادر من الماء فترة طويلة. وقد عرف سكان الصحراء جيداً كيف يقتصدون في استعمال المياه فهم لا يسرفون في استعماله في حياتهم اليومية كما يفعل الناس في انحاء اخرى من العالم. فمثلا كثيرا ما ينظف سكان الصحاري «اطباقهم» بالرمل بدلا من الماء، وأحيانا يستعملون الرمل في دلك اجسامهم بدل اغتسالهم بالماء.

وعرفوا ايضا كل ضروب الحيل للمحافظة على رطوبة الجسم، اي المحافظة على الماء الذي هو جزء مهم من كل خلية من جسم الانسان. وفي مركز تجارب (**يوما**)، التابع لجيش الولايات المتحدة الامريكية، والموجود في الصحراء الامريكية، وجد الاطباء ان الانسان يعرق حوالي ٣ر٣ لترات (**أو ٣ كوارتات**) من الماء اذا سار لمدة ساعتين في حر الصحراء. ويحاول معظم لذين يعيشون في الصحراء ان يستريحوا في الظل في اثناء الجزء الاكبر من كل يوم، لعلهم يتجنبون فقدان الماء بسرعة.

«ويحمي معظم سكان الصحاري اجسامهم ناشفة من اشعة الشمس المباشرة، فتجد الرجال الذين يسوقون الجمال في الصحراء الكبرى، مثلا قد داوموا على تغطية انفسهم بشملات طويلة وكوفيات. ويطلي افراد قبيلة البوشمن في صحاري







نباتات صحراوية



انواع من زواحف الصحراء

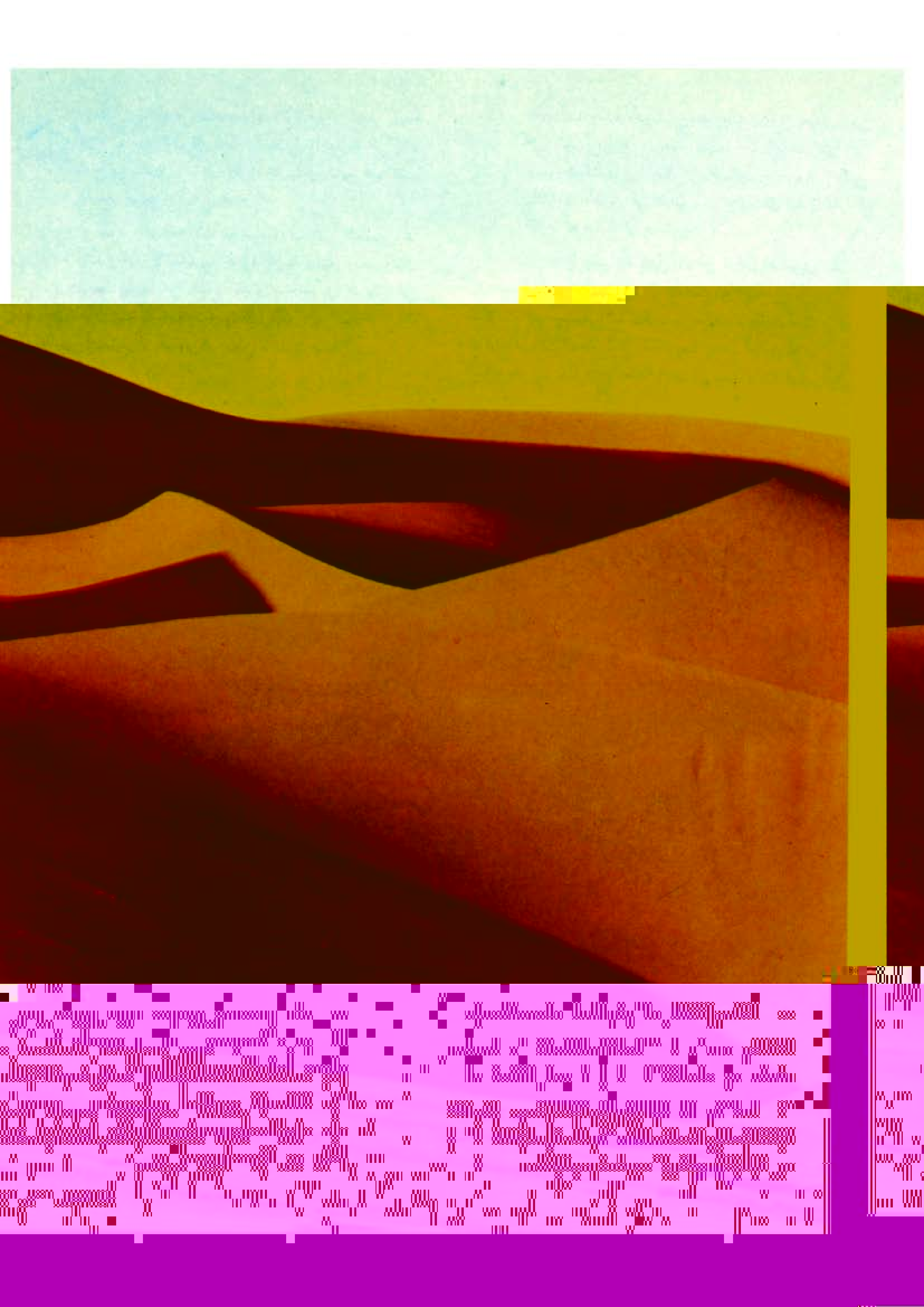
كالاهاري أنفسهم بالزيت ويدعونه يمتزج بالتراب فينتج عن ذلك غطاء يحميهم»

ولئن كان هذا السلوك من انسان الصحراء في المحافظة على الماء والاقتصاد في استعماله يعتبر من قبيل (**الحكمة**) الفطرية اذا جاز التعبير، فانه يمارس انماطا أخرى من الحياة يعتبر كرد فعل «انساني» لقسوة الصحاري وجفافها. وفي نفس الوقت فقد

مجلة الفيصل – ص ١٠٠

وهبهم الله تعالى جوانب تعويضية اخرى جعلت الحياة محتملة وقابلة للاستمرار .. من ذلك:

* اقامة بدو الصحراء في خيام من جلد الحيوان .. يسهل حملها عند ارتحالهم وراء منابع الماء أو الكلاء .. ثم هي تعتبر عازلة عن حرارة الشمس وبرد الشتاء.



أ) الشجاعة والاقدام والكرم والاعتداد بالنفس ووفاء العهد .. الخ تلك الصفات الاخلاقية والجسمانية التي كان يتمتع بها سكان البادية في الجزيرة العربية وما تشهد عليه كتب التاريخ ومراجع الادب والشعر.

ب) مرجع ذلك الى ما سبق ان أشرنا اليه، من ان حضارة مهد الانسان في الجزيرة العربية والشام ومصر وشمال افريقيا وغيرها من البقاع كانت موجودة في المناطق التي اصبحت الآن صحراوية قاحلة. وذلك يفسر ان انسان الصحاري المعاصرة انما هو وريث حقيقي لأغلب حضارات الانسان القديمة.

الحضارة الرومانية وغيرها من حضارات اوروبا المعروفة) وهي التي اثبتت مراجع تاريخية عديدة انها اخذت كثيرا عن حضارات الشرق في المناطق التي اصبحت صحراوية .. ودليل ذلك ان الاغريق هي اقرب دول اوروبا الى الشرق ومن ثم اكثرها تعرضا للتأثر بحضاراته.

هذا، ولقد كان فضل الله على سكان الصحاري عظيما .. فبالاضافة الى ما سبق ان اشرنا اليه مما تتمتع به الصحاري من امكانات الحياة وما وهبه الله لسكانها من مواهب وملكات فاننا نذكر دائما ذلك الدعاء الذي رفعه سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وهو يهم بترك هاجر ووليدهما اسماعيل عليه السلام بمكة


صحراء الدهناء

ولعل أكثر أدلة التاريخ تأييدا لهذا الرأي .. ان اوروبا .. وهي القارة الوحيدة التي تكاد تخلو من الصحاري - لم تشهد قيام أية حضارات تذكر، باستثناء الحضارة الاغريقية (مصدر

مشغولا بما يثقل كاهل أي رب اسرة يدعها في صحراء لا ماء فيها ولا نبات .. فيجعل من دعائه اقران النعمة وسهولة العيش بحمد الله وعبادته.


صحراء نيفادا

«ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون».

كذلك، فان كانت الحضر ببساتينها وزراعتها وأوديتها الجارية ومناخها المعتدل وحياتها الرغدة الناعمة، تبدو وكأنها مناطق جذب لسكان الصحاري بما يمارسون من قسوة الحياة وخشونتها .. فان النعم التي حبى بها الله الصحاري قد قلبت الآية كما يقولون وجعلتها في العصر الحاضر هي مناطق الجذب الفعلية لبني الحضر .. بل ولذوي العقول والافكار والبحث والعلم منهم. اذ أصبحت الصحاري بعد الاكتشافات العلمية الحديثة — هي كنز البشرية الذي لا ينضب من الثروات المعدنية الهائلة.

ذلك ان نسبة كبيرة من احتياجات العالم من النفط والغاز الطبيعي تكمن في المملكة العربية السعودية والجزائر وليبيا والكويت والخليج ومصر والعراق وايران.

اما الذهب والماس في جنوب افريقيا، والفوسفات في الصحاري الاسبانية، والنترات في شيلي والحديد الخام باستراليا .. الخ وكلها كامنة في مناطق صحراوية!!

ومن نعم الله على الصحاري ايضا ان اثبتت التحاليل الحديثة ان تربتها خصبة جداً وانه بتوفير المياه والسماد اللازم يمكن تحويل المناطق القاحلة الى أراض خصبة.

صحراء الغد

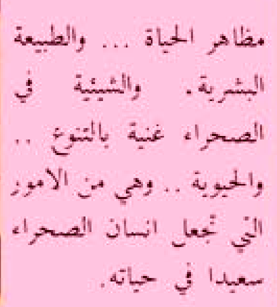
شهدت البشرية، في الثلاثين سنة الماضية، وبالتحديد منذ وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها اهتماما علميا يضع نصب عينيه مشاكل الانسان وايجاد الطرق الكفيلة بحلها. وتتصدر قائمة هذه المشاكل (**مشكلة الغذاء**) وما يتفرع عنها من اهتمام بالارض وبالزراعة والري والصرف والميكنة والتدريب .. الخ.

وفي هذا المجال، تتردد كثير من الاصطلاحات: منها الاصلاح الزراعي، واستصلاح الاراضي وتعمير الصحاري.

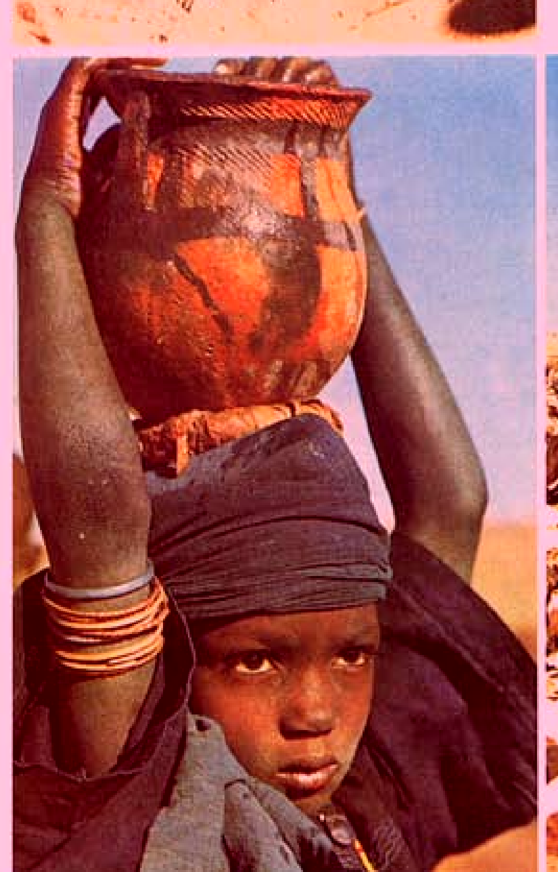
ذلك ان العلم لا يستطيع — في مواجهة الزيادة الفلكية في سكان العالم — الا ان يمد بصره صوب الصحاري .. تلك المساحات الشاسعة .. يغترف حفنات من رمالها، فيدخلها مختبراته، ويجري عليها تحليلاته، هادفاً الى ايجاد انسب السبل وراء اللون الاصفر عنها وكسوتها باللون الاخضر، ومن ثم تكون







مظاهر الحياة ... والطبيعة البشرية. والشيئية في الصحراء غنية بالتنوع .. والحيوية .. وهي من الامور التي تجعل انسان الصحراء سعيدا في حياته.









مناطق جذب لاقامة الانسان وتعمير الأرض .. ناهيك عما تدره من محاصيل زراعية هائلة تسهم – الى جانب الابحاث الجارية في اعماق المحيطات والبحار في مجال الثروة السمكية – في حل مشكلة غذاء الانسان.

وهكذا انشئت بهيئة الامم المتحدة، منظمة الاغذية والزراعة، وانشأت معظم الدول وزارات للزراعة واخرى للاصلاح الزراعي وتعمير الصحاري .. وداخل هذه المنظمات والوزارات والهيئات هناك جهات معنية بالصحاري .. قائمة عليها .. دراسة وتحليلا وتجربة وهدفا.

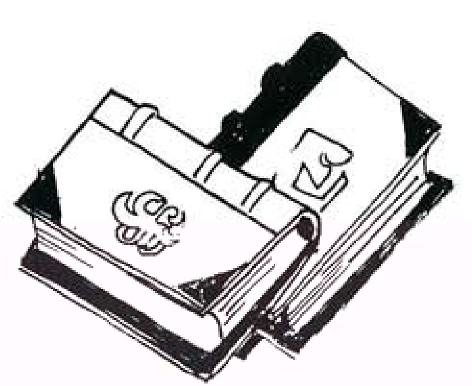
ومن ثم كانت رؤية علماء الزراعة والجيولوجيا محددة لمشكلة غذاء الانسان في إطارين:

أ) **التوسع الرأسي**: ويشمل زيادة غلة الارض الزراعية عن طريق، استنباط تقاوي عالية الانتاج ومكافحة الآفات، وتطبيق الدورة الزراعية.

ب) **التوسع الأفقي**: ويشمل مشاريع للري وللصرف، وتوفير المياه العذبة، وزيادة الرقعة الزراعية باصلاح الاراضي وتعمير الصحاري.

من خلال هذا يتطلع الجنس البشري بعلومه .. وبحوثه الجادة الى حل اكبر مشكلة يعانيها .. وهي (مشكلة الغذاء) امام التزايد المخيف في عدد سكان الأرض .. وهو في تطلعه يرى في الصحراء ابرز الحلول العلمية للمشكلة .. ومن خلال هذا الحل يرى صحراء الغد شيئا غير ما هي عليه اليوم.

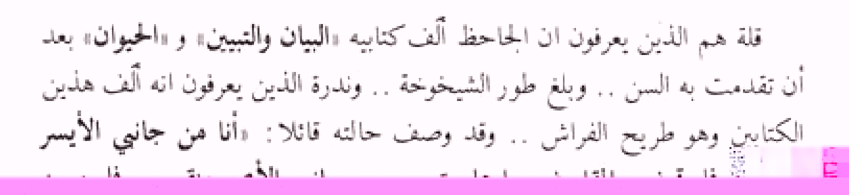






الجاحظ .. يكتب على سرير المرض





قلة هم الذين يعرفون ان الجاحظ ألف كتابيه «**البيان والتبيين**» و «**الحيوان**» بعد أن تقدمت به السن .. وبلغ طور الشيخوخة .. وندرة الذين يعرفون انه ألف هذين الكتابين وهو طريح الفراش .. وقد وصف حالته قائلا: «**أنا من جانبي الأيسر**

أخبارهم



صاند .. وبلزاك

المعروف عن الكاتبة الفرنسية **(جورج صاند)** شكواها الدائمة من الإفلاس .. وخاصة الى ناشر كتبها (بولوز) .. وكانت تكتب الى هذا الناشر عبارات رقيقة.

مرة كتبت اليه «**ها أنذا مرة أخرى .. ومنقاري مغمور في الماء ولكنه جاف**». والمعروف عن هذه الكاتبة انها كانت غزيرة الإنتاج .. وكان **(بلزاك)** وهو أحد الذين عرفوا بغزارة انتاجهم يعجب لنشاط صاند الذي كان يرى أنه مساو لنشاطه مع فارق واحد .. وهو أنه .. أي بلزاك كان يستيقظ في منتصف الليل .. ويأوي الى فراشه في السادسة من مساء اليوم التالي .. بينما كانت صاند تنام في السادسة صباحا .. وتستيقظ عند الظهر.

يقتل نفسه من أجل السمك

كان (فاتيل) طاهي الامير كوندي القائد الفرنسي المعروف بل واشهر طهاة عصره عام ١٦٧١م قد انهمك في اعداد وليمة رائعة طلبها سيده من اجل دعوة وجهها الى الملك لويس السابع عشر، فقام فاتيل بإعداد لائحة الأطعمة بحسب ما يعلم من التأثير في الذوق، ثم انه عين للسمك مكانا في هذه اللائحة (القائمة) لكن حدث ان الصيادين لم يحضروه في وقته، فشق على فاتيل ان تخلو الوليمة من السمك فينقص قدر نوعي الطعام اللذين يسبقان السمك ويعقبانه في الترتيب عند الآكلين.

ولهذا قرر في حينه ان يتخلص من حياته، وأقدم على ذلك فعلا!!



السباحة .. في حياة الكتاب

يبدو ان الانتعاش نتيجة السباحة أو الإستحمام من العوامل المهيئة للانتاج الفني والأدبي. يقول **(تور جنيف)** في مذكراته «كنت استحم في البحر وأنا في جزيرة **(وايت)** عام ١٨٦٠م عندما خطرت لي فكرة رواية **(الآباء والبنون)**» وجادت قريحة **(ألفريد تنيسون)** بأجمل قصائده الشعرية وهو يسبح في أحد الأنهار، وكتبت **(فرجينا ولف)** في صفحة من مذكراتها تقول: «**في هذه اللحظة وأنا استحم خطرت لي فكرة كتاب جديد وكانت ثمرة هذه الفكرة رواية الغرفة الخاصة**».



الأديب .. والمبتكرات الحديثة

«**جول فرن**» الكاتب الفرنسي الذي أطلقت الحكومة الأمريكية اسم (نوتيلوس) على أول غواصة ذرية صنعتها، وهذا الاسم نفسه هو الذي أطلقه جول فرن على غواصة تخيلها ووضع عنها كتابا ضمنه وصفا دقيقا لها في وقت لم تكن فيه الغواصة العادية قد خرجت الى الوجود.

ظل جول فرن ٤٢ سنة يواصل التأليف، وقد أنتج خلال هذه المدة ١٠٤ من المؤلفات وكانت طريقته في الكتابة مبتكرة مثل تفكيره، فهو يتم تأليف الكتاب بالقلم الرصاص ثم يعيد النظر فيه مراجعا مصححا بالحبر ما أراده فوق الكتابة بالرصاص، وكان يكتب وأمامه خريطة كبيرة الحجم تمثل العالم كله، وكان يضع فوقها علامات تشير الى الأماكن التي سافر اليها ووصفها بالخيال (طبعا).

وقد قال جول فرن: «**انا لا اعتقد ان في العالم كله بقعة من الارض لا يمكن للانسان ان يكتشفها او يستغلها**» وجول فرن هذا .. كان قد تخيل في كتاباته جميع المخترعات المعروفة اليوم وفي مقدمتها الطائرة والغواصة والمدفع الذري — والسينما الصامتة — والناطقة والتلفزيون، والقذائف التي توجه من بعيد!!

الادباء وعشق الطاعنات



من خلال مطالعة الإنسان لبعض صفحات الأدب العربي يلاحظ كيف كان بعض الشعراء .. والحكماء يعشقون النساء الطاعنات في السن .. ولهم في ذلك شعر .. وقول منثور طريف.

قال أبو الأسود الدؤلي:

أبى القلب الا (أمّ عمرو) وحبّها عجوزا ومن يعشق عجوزا يفنّدِ
كبُردِ اليَماني قد تَقَادَمَ عَهده ورقعته ما شئتَ في العينِ واليدِ

وقال شاعر آخر:

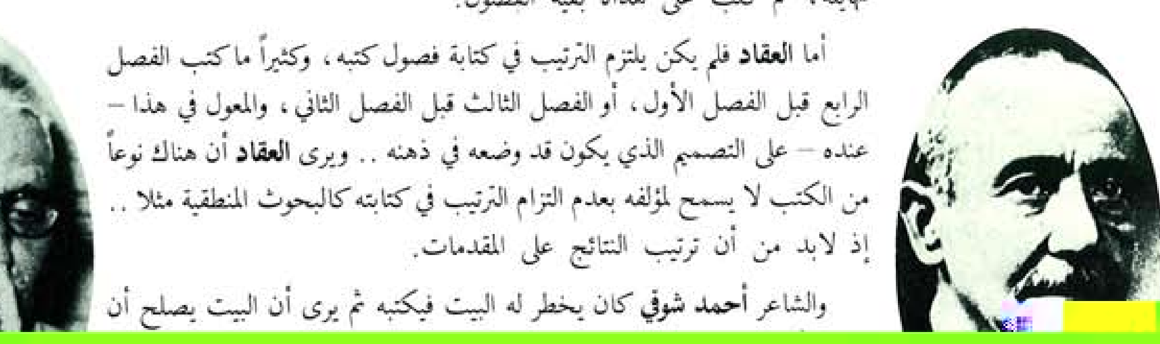
يقول العِدَا لا بارك الله في العدا وقد اقصَر عن (ليلى) ورثّت وسائله
ولو اصبحت (ليلى) تدّب على العصا لكان هوى (ليلى) جديداً أوائله

وتحدث حكيم من العرب عن مزايا المراة الطاعنة في السن فقال:

«انها اقنع باليسير .. واصبر على تقلب الدهور .. واقل مشاغبة ومحاذبة .. تؤثر التذلل .. وتتجنب التدلل .. تصبر على الاقلال .. وتؤمن ولادتها زيادة العيال .. ان اتسع بعلها صانت ماله .. وان ضاق سترت حاله .. لا تسبق اليها الظنون .. ولا تنبت معها القرون .. ألوف عروف .. غير عزوف ولا عيوف.» —



كيف يبدأون مؤلفاتهم؟



الكاتب الفرنسي «**ألفونس دوديه**» كان إذا أراد أن يؤلف كتاباً، بدأه من نهايته، ثم كتب على هداه بقية الفصول.

أما **العقاد** فلم يكن يلتزم الترتيب في كتابة فصول كتبه، وكثيراً ما كتب الفصل الرابع قبل الفصل الأول، أو الفصل الثالث قبل الفصل الثاني، والمعول في هذا – عنده – على التصميم الذي يكون قد وضعه في ذهنه .. ويرى **العقاد** أن هناك نوعاً من الكتب لا يسمح لمؤلفه بعدم التزام الترتيب في كتابته كالبحوث المنطقية مثلا .. إذ لابد من أن ترتيب النتائج على المقدمات.



والشاعر **أحمد شوقي** كان يخطر له البيت فيكتبه ثم يرى أن البيت يصلح أن



يقيمون حفلا من أجل الاسنان

في تونس يجري احتفال بمناسبة ظهور اسنان لدى الطفل .. وعلى الأصح ظهور أول سن له، ويقدم في هذا الاحتفال مجموعة من اصناف الطعام والحلوى .. ولعل ابرز ما يصنعونه بهذه المناسبة (**الكركوش**) وهو (**طبق**) مكون من بعض الفواكه اليابسة كالجوز واللوز والكستناء و (ابو فروة) والفستق والملبسات حيث يقدم للضيوف.

اما الطفل الذي يقام له هذا الحفل فيعطى قطعة من (**العلك**) لتقوية اللثة لتساعده على بروز اسنانه الأخرى بعد ذلك.

البشري .. وحانوت الموتى

يروي الأديب العربي الساخر **عبد العزيز البشري** أنه كان على طريقه الى داره في القاهرة «**حانوت**» (يعني بتجهيز الموتى تمهيدا لدفنهم) قد نضدت فيه الأكفان .. وخشب الموتى تنضيدا بديعا بحيث لم يعد ينقص هذا الحانوت إلا أن تقام على بابه (فترينة) تزين بأسباب الموت وحوائجه .. ويجلس على بابه كل يوم من الصباح الباكر عماله من غسالين وحمالين وهم يتوسمون وجه كل غاد ورائح .. لعل القدر يسعدهم بمرزوء في احد بنيه .. او في أمه .. أو أبيه.

ويذكر البشري انه مر بهم صباح يوم .. وعيناه تنضحان بالدمع من أثر رمد فاتلعوا اليه أعناقهم .. ورأى البشر يشيع في وجوههم .. وسرعان ما تحركوا جذلين وللقائه مواسين .. فصاح فيهم «**استريحوا .. فما بي والله بكاء .. ولكن الرمد .. وكلنا والحمد لله بخير وعافية .. وقطع الله أرزاقكم .. ولا أدخل النعمة عليكم**».

الفول .. والناس



للفول في شهر رمضان – صيت ذائع لدى بعض الناس .. ذلك انه ربما من وجهة نظرهم على الأقل هو الطعام السائغ في الفطور وفي السحور على السواء .. يتصدر موائدهم، والبعض يتأنق في إعداده ويتفنن في تجويده ليكون طيب المذاق .. وقد كان الفول معروفا منذ نحو ألف سنة باسم (الباقلاء) أو (الباقلي).

في كتاب (**دمية القصر**) للباخرزي بيتان **لأبي العباس الخوارزمي** من شعراء القرن الرابع الهجري يودع فيها رمضان فيقول:

اقول لشهر الصوم لما قضيته عليك سلام الله بوركت راحلا
وقد كنت من (سحبان) افصح لهجة فصير طبعي باقلاؤك (باقلا)

«**وباقل**» هو شخص معروف بالفكاهة .. بينما «**سحبان**» مشهور بالفصاحة. والطريف أن هذه التهمة التي يلحقها الشاعر بالفول ما برحت تحيا بين الناس حتى عصرنا هذا .. فالشائع ان الفول يكسر حدة الفهم ويطفئ جذور الذكاء.

وروى صاحب كتاب (**عيون الأخبار**) في القرن الثاني الهجري .. ان رجلا من قدماء الأطباء قال: «**إن الفول اذا أدمن أضعف البصر، وأحال الأحلام أضغاثا**» وكذلك ينقل صاحب (**العقد الفريد**) في القرن الثالث الهجري – أن (**الفول من الأطعمة الغليظة لأن اليبس في طبيعته**).

ويوضح الحكيم **ابن رشد** في القرن السادس الهجري أثر الفول في الأذهان بقوله في كتاب (**الكليات**) – «**وزعموا ان خاصته الاضرار بالفكر**».

مشكلات النوم !.

بقلم : رونالد . أ . ليرد

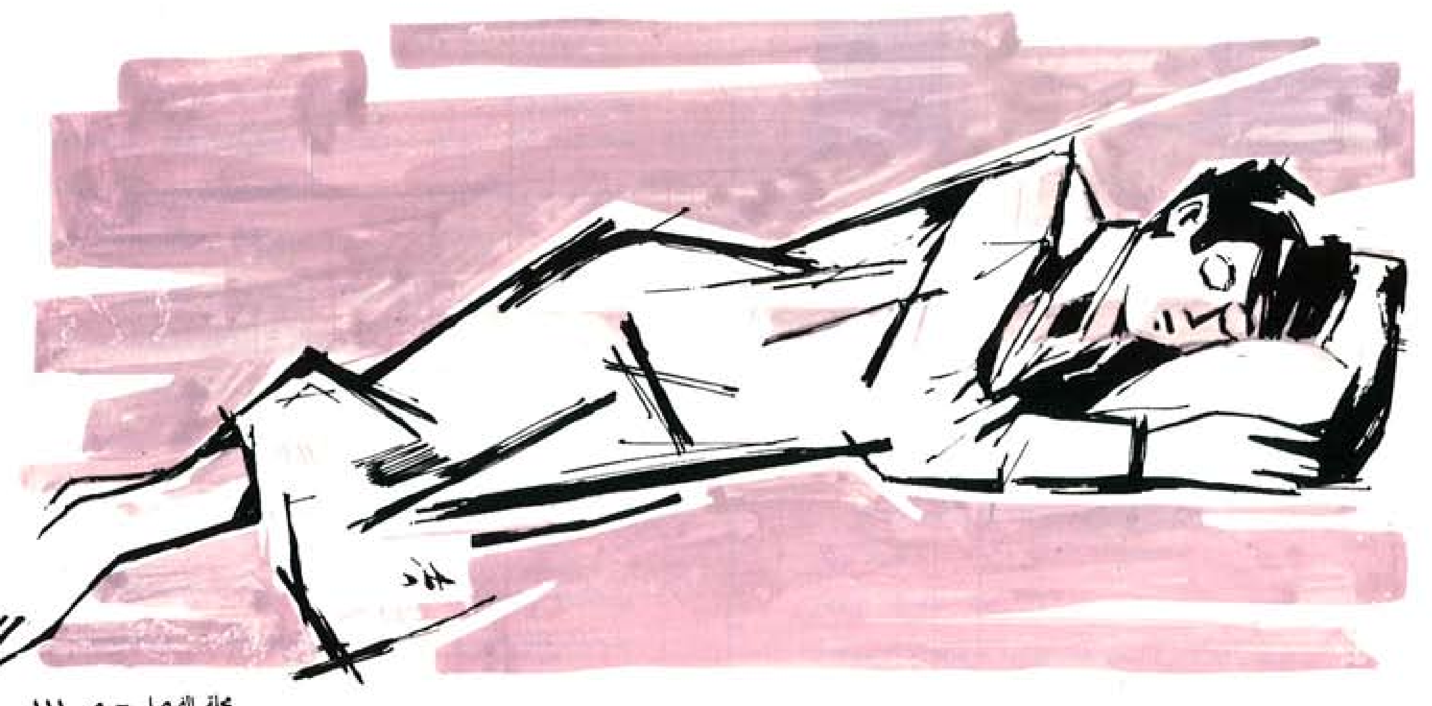
في مسرحية **مكبث** لشكسبير، اشارة للنوم، لا تخلو من دلالة .. يقول :

«النوم .. مفرج تراكمات السقم..
منتهى حياة اليوم .. ومغتسل الهموم..
اول الغذاء في وليمة الحياة»

في هذه السطور الموحية تعريف دقيق للنوم. ولقد اجرى كثير من العلماء ابحاثهم، في هذا المجال وانتهوا الى نتائج غاية في التباين. بيد انهم اتفقوا جميعا حول نقطة واحدة هي : **ان النوم هو المجدد الفعلي العظم للطبيعة.**

انّ نواح معينة من النوم مثل : غياب الحركة الارادية، وفقدان الوعي، واحيانا صدور اصوات خشنة تسميها **«الشخير»** ..تتفاوت وضوحا وغموضا. ولا يقتصر الامر على ذلك، اذ تحدث تغيرات في التمثيل الغذائي، وفي معدل النبض، وضغط الدم، ودرجة حرارة الجسم، والوظائف العضلية، .. وفي طبيعة الانعكاسات الجسدية...

هذه التغييرات المصاحبة للنوم .. تتم عادة وفق دورة محددة .. وهي بالفعل احدى خصائص مملكة الحيوان التي تشمل الاجناس البشرية التي ننتمي اليها. مجمل القصة ان



عددا معينا من ساعات النشاط يليه عدد معين آخر من ساعات السكون: دورة يومية **اي تستغرق اليوم كله** .. ومرتبطة بالنور والظلام.

الى جانب ذلك يتأثر النوم، الى حد ما، بفصول السنة - كما سنرى فيما بعد - .. ايضا يختص النبات بصور مشابهة للنشاط والسكون تحدث - هي الاخرى - في دورات يومية واخرى موسمية.

ومن ثم يعتبر النوم، او الحالة المشابهة له، احدى خصائص الحياة النباتية والحيوانية .. لكننا سنقصر بحثنا في الصفحات التالية على مناقشة مشاكل النوم عند البشر.

كيف نخلد الى النوم ؟

هذا السؤال .. تصدرت عدة نظريات، في بداية هذا القرن، لاجابته.

قالت احداها: ان خلايا الاعصاب تتقلص خلال ساعات اليقظة، الى حد يصعب معه اتصالها ببعضها البعض .. ومن ثم ينام الناس.

وقالت نظرية اخرى: ان نوعا من السميات (السموم) تتراكم خلال ساعات اليقظة .. وبمرور الوقت تؤثر هذه السميات على الجهاز العصبي فتجعله يسترخي.

الا ان النظرية المسماة «**انيميا المخ**» تعد اكثر التفسيرات قبولا اذ تقول: ان النوم يحدث نتيجة لتناقص الدم الوارد الى المخ.

ولقد اتضح، بعد توفر الحقائق العلمية، **عدم ثبات اي واحدة من هذه النظريات** .. فالمعروف الآن، مثلا، ان الدم المتدفق الى المخ يتزايد فعلا اثناء النوم .. وهو عكس ما توصلت اليه نظرية «**انيميا المخ**».

كذلك اصبح في حكم المؤكد ان دورة النوم -اليقظة- النوم .. بالنسبة للانسان والحيوانات الراقية الاخرى .. ترتبط بشبكات عصبية خاصة في الجزء الاسفل من المخ. وفي عشرينات هذا القرن اكتشف البارون **قسطنطين فون ايكونومو**، الاستاذ بجامعة فيينا .. ان المراكز المنظمة لدورة النوم موجودة في منطقة بالمخ تسمى **الهايبوثلاموسي**..

اما في وسط الاربعينيات، فقد قرر الفسيولوجي الهولندي **و.ج.هـ ناتوه** الاستاذ بجامعة اوترخت .. ان مركز دفع الدم له تأثيره على مركز اليقظة اما منشطا او مثبطا..

واكتشف **هـ.و. ماجون**، الاستاذ بجامعة كاليفورنيا، في اواخر الخمسينيات، ان جزءا من الشبكة العصبية ينظم عملية التحول من النوم الى اليقظة .. واوضح ان الخلايا العصبية في المخ تنشط (**على امتداد الحبل الشوكي**) حاملة نبضها الى اعلى في اتجاه المخ كي تلعب دورا اساسيا في اثارة مركز النشاط المناسب في المخ .. وتوصف هذه الشبكة الصاعدة بانها «**جهاز منشط**».

ان مركزي التحكم في الجهازين الهايبوثلاموسي والمنشط في المخ يتضافران .. فينتج عنهما تأرجحنا اليومي بين النوم واليقظة. اما الشبكات المتخصصة فتكون مسئولة عن التغييرات الجسدية، التي يمكن ملاحظتها والتي تحدث في دورة النوم.

وبين مرورنا من اليقظة الى النوم، ومن النوم الى اليقظة، تحدث تغيرات معينة في موجات المخ .. هي تلك الشحنات المتوفرة دائما، للطاقة الكهربائية، الناتجة من الطبقة الداخلية للمخ او المادة الرمادية به .. ذلك ان التيار الكهربائي والعمليات المتعاقبة لموجات المخ، تتغير الى حد كبير عندما نروح في النوم. وهي تختلف حسب مدى عمق النوم.



المراحل التمهيدية للنوم

ان النوم لا يطبق على الناس فجأة .. تلك حقيقة لا مراء فيها .. بدلا من ذلك .. فهم يمرون بحالات (**انتقالية**) معينة بين اليقظة الكاملة والنوم العميق.

هذه المراحل الانتقالية هي التي يستطيع الانسان ملاحظتها على نفسه.

وتتميز المرحلة التمهيدية هذه: بالنعاس والتثاؤب والتمدد بالجسم، ثم صعوبة التركيز خصوصا في الاعمال الذهنية. الا ان

النعاس لا يغمر كل اجزاء الجسم في وقت واحد .. لكنه يؤثر في مختلف الاجزاء وبالتدريج .. في البداية تصبح العضلات «نائمة»، ثم تتشوش حاستي السمع والبصر .. اما الجلد فيبدو وكأنه آخر ما يتأثر بمراحل النوم.

واول العضلات التي يتسرب اليها النعاس هي **عضلات القدمين. ولذلك يقال ان الناس ينامون من اقدامهم اولا. ثم يمتد استرخاء العضلات الى اعلى كي يؤثر بدوره في عضلات «البدن»**[1] **ثم الذراعين، فالرقبة واخيرا الفك والوجه.** وهذا التتابع يفسر لماذا نحس، ونحن في السرير بأن ذراعينا قد اصبحتا ناعستين تماما لدرجة ان احداهما لا تستطيع ان تبطش بحشرة مزعجة، رغم ان الرأس يتحرك من جانب الى آخر ليزيح عنه تلك الحشرة.

وعندما نستيقظ يحدث العكس .. فنحن نصحو من رؤسنا اولا، ونستطيع ان نلتفت برأسنا باحثين عن المنبه لاسكات رنينه .. وبسرعة .. وبعد ان نكون قادرين على تحريك الذراعين، تصحو القدمين لكننا اذا انطلقنا من السرير مسرعين، قبل ان تصحو القدمين بقدر كاف، فان قدمينا قد تتشابكان اذا نحاول المسير.

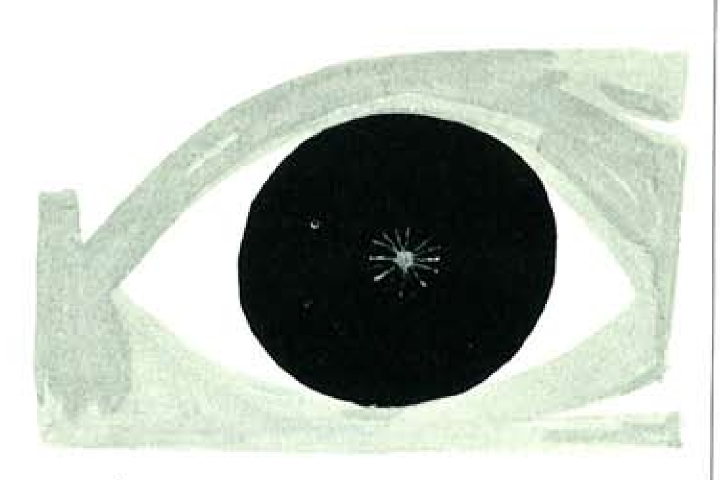
ان ارتخاء العضلات يلعب دورا هاما في بدء النوم. وعندما يبدو الاطفال، وهم لا يريدون النوم نشطين جدا .. رغم اقتراب موعد نومهم .. فانهم يبدون وكأنهم يناضلون لئلا يستسلموا لارتخاء الاعصاب هذا.

ان سائقي الشاحنات المسافرين لمسافات طويلة .. والطيارين. وحراس الميدان، ينبه عليهم — اذا شعروا باقتراب النعاس — ان يشدوا على ارجلهم وعضلات ايديهم بطريقة معينة .. لان التوتر الناتج عن ربط العضلات يقلل من احتمال استسلامهم للنوم اثناء العمل.

واذا كان التوتر العضلي يؤدي الى تأخر بدء النوم، فان الارتخاء الواعي للعضلات يجب ان يؤدي الى بدء النوم. لذلك يجب التأكيد على عضلات الرقبة والفكين والوجه التي تعتبر آخر العضلات ارتخاء في المجرى الطبيعي للامور.

وهناك عوامل اخرى تساعد على حضور النوم، **كاظلام غرفة النوم**، والسكون الى حد مناسب .. اما اعصاب الجلد، فنظرا لانها تعتبر اخر ما يمتد اليه النعاس، فمن الواجب تجنب اثارتها .. كما يجب ان يكون السرير خاليا من النتوءات وان تكون الوسائد مريحة والاغطية غير مكرمشة.

على ان هناك عوامل معينة تؤدي الى تأخر النوم، منها التهيج



الناتج عن عرض تليفزيوني مثير شوهد في وقت متأخر، او مباراة حامية الوطيس في الشطرنج، او مناقشة تتسم بدرجة من الحيوية مع اصدقاء نكن لهم المودة، كما ان بعض العقاقير مثل مادة الكافيين الموجودة في القهوة او المشروبات المرطبة التي تحتوي على مادة الكولا .. كلها مواد كفيلة باثارة النشاط.

مرحلة النعاس

نظرا لان النعاس المبدئي يكون اكثر عمقا، فاننا ندخل مرحلة النعاس الى النوم الخفيف واذا فسرنا المسألة في ارقام جافة نقول اننا نكون ثلثي نائمين وثلثا واحدا متيقظين. فنحن الان غير قادرين على توجيه تفكيرنا بشكل واع، ونشعر بآراء معينة بشكل غامض، كما نرى بعض الاحلام المشوشة.

واحيانا تبدو طاقات الاحلام في المرحلة النعاسية كما لو كانت حقيقية لدرجة اننا نخطئ تقييمها وكأنها حقائق فعلية. **وهذا يؤدي الى الهلوسة**. فيكون الشخص متأكدا انه يرى اشياء غير موجودة في عالم الواقع. مثال ذلك ان سائق السيارة اذا كان ناعسا ينتفض فجأة ويحاول ان يلف بها متفاديا عقبة كأنما يراها امامه .. لكنها في الواقع ليست موجودة .. وقد تكون بعض الاحلام واشباح الماضي (**والحاضر ايضا**) راجعة الى هلوسة مرحلة النعاس. وفي مرحلة الاحلام هذه يكون الشخص — في طريقه الى النوم — على احساس غامض بأنه يحلم. وتعتقد بعض الجهات ان اكثر الاحلام التي تعلق بذاكرتنا تحدث خلال مرحلة النعاس هذه.

وقد تمثل هذه الاحلام طاقة عبقرية خلاقة عند الانسان. ويقول الموسيقار الايطالي **جويسيب تارتيني** الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، ان سوناتا الكمان التي اسماها «**رجفة العفريت**» قد بناها على ترانيم سمعها في احد الاحلام.

ان مرحلة النعاس لا تستغرق، مع معظم الناس غير دقائق قليلة قبل الغوص في درجة اعمق من النوم والتي نكون خلالها نائمين «**ككتلة الخشب**».

على اننا في هذه المرحلة – نكون غير واعين بالاحلام حتى ولو حلمنا بها.

النوم العميق

امكن قياس درجة عمق النوم، التالي لمرحلة النعاس وذلك بكمية الضوضاء اللازمة لايقاظ النائم. واتضح اننا بحاجة

الى اعلى ضجة ممكنة لايقاظ اولئك الذين لم يتجاوزوا الساعة نياما. ونحتاج كذلك لضجة كبرى لايقاظ شخص بعد نصف ساعة فقط من نومه.

هذا يفسر اننا نغط في النوم العميق بسرعة متى تجاوزنا مرحلة النعاس. وبعد ساعتين من هذا النوم العميق، تكفينا ضجة بسيطة لايقاظنا.

وحتى في النوم العميق تصدر عن الجسم حركات عشوائية. ورغم ان الكثيرين يتصورون انهم لا يتحركون اثناء النوم فقد اثبتت التجارب ان جميع النائمين يغيرون اوضاعهم عدة مرات اثناء الليل. وقد يكون التحرك شاملا، كالتقلب من جنب الى اخر بدون يقظة، وقد يكون مجرد تحرك ذراع او ساق. والمفروض ان كل هذه الحركات تتم استجابة لراحة الجسم.

وخلال النصف الاخير من فترة النوم تكون اشارات المعدة المعبرة عن آلام الجوع مصاحبة لحركة الجسم. ولقد امكن تسجيل هذه الحركات بواسطة جهاز بسيط يوصل بأعلى الفراش، وتتحرك ابرة الاسطوانة لترسم خطا على شريط ورقي متحرك، ويكون الخط مستقيما مادام النائم ساكنا، ويتذبذب عندما يتحرك وكلما ازدادت الحركة نشاطا كلما تكررت الذبذبات. وهكذا ثبت حدوث تغييرات بسيطة في وضع الجسم خلال الساعة او الساعتين الاوليين من النوم العميق وبعد هذه الفترة يرتفع عدد التحركات كل ساعة بمعدل ثابت ويسمى «جهاز حركات النوم التصاعدية». ويبدو ان هناك اختلافات موسمية في عمق النوم كما يتضح من تحركات الجسم اثناء النوم. ولقد اتضح ان اقل عدد من الحركات يحدث في فصل الربيع بينما يكون اكثرها في فصل الخريف. هذا، ولم يعرف للآن سبب هذه الاختلافات الموسمية.

كذلك لوحظت حركات تشنجية معينة للعينين اثناء النوم، وامكن تسجيلها طوال الليل، وتحدث هذه الحركات في بداية الامر بعد بداية النوم بحوالي ساعتين ثم تتكرر على فترات تتزايد او تتناقص حسب الظروف .. وتكون في احيان كثيرة مصحوبة بالاحلام.

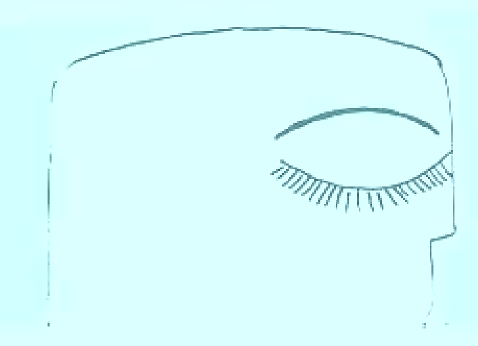
وتبلغ نسبة الذين ينامون ساكنين بمعدل نائم واحد من كل ثمانية يغطون اثناء نومهم. وينتج الشخير عن توتر الانسجة الرقيقة بالفم والتجويفات الانفية (**خصوصا انسجة اعلى باطن الفم**) وعموما فالشخص يغط اثناء النوم عندما يكون فمه مفتوحا وراقدا على ظهره لكنه لا يكون دائما على هذه الحال. كذلك تؤدي استجابة الجسم لبعض العقاقير الى ظهور الشخير بصورة موسمية. اما العقاقير ذات الرائحة النفاذة، فتؤدي الى ظهور تورمات في باطن الانف والحلق.

التغييرات الجسدية الداخلية اثناء النوم

ان كثيرا من الانشطة الفسيولوجية للجسم تحدث عندما يكون المرأ مستلقيا .. بعض هذه التغييرات تتعلق بالاسترخاء العضلي واخرى تتم لان اندفاع الدم لا يتأثر كثيرا بقوة الجاذبية اذ يكون الجسم في وضع افقي.

كذلك ينخفض التمثيل الغذائي الاجمالي للجسم .. كما يتضح من كمية السعرات الحرارية التي يستهلكها الجسم عندما يسترخي في وضع افقي دون ان يكون نائما. وبناء على هذا الوضع فان المعدل ينخفض بنسبة ١٠٪.

اما معدل التنفس .. فينخفض عندما نستلقي ونظل ساكنين بل لا يزال منخفضا .. ثم يزداد بعد مجرد خلودنا الى النوم ولقد اتضح ان حدوث ضوضاء في غرفة النوم يؤدي الى سرعة دقات القلب مؤقتا .. كذلك فهي ترتفع عندما يغير النائم اوضاعه كما ينخفض ضغط الدم بشكل واضح اثناء الساعات الاولى من النوم ثم يبدأ بالارتفاع التدريجي بعد ذلك .. لكنه نادرا



ما يصل الى مستواه اثناء التيقظ .. ولكل قاعدة استثناء .. فقد تؤدي الاحلام المرتبطة بنشاط عضلي الى زيادة ضغط الدم الى مستوى اعلى من مستواه في اليقظة.

اما اليقظة المفاجئة نتيجة رنين المنبه، فقد وجد انها تؤدي الى ارتفاع مفاجئ في ضغط الدم. واذا اضطر متوسطو العمر والمسنون الى القفز من اسرتهم بغتة فان الزيادة المفاجئة في



ضغط الدم الناتجة عن ذلك قد تؤثر على القلب.

ايضا يتغير توزيع الدم في الجسم الى حد كبير اثناء النوم. ذلك ان الاوعية الدموية المتاخمة لسطح الجسم تتمدد بنسبة ضئيلة كي تسمح بوصول كمية كبيرة من الدم الى الجلد. وهذا يؤدي الى احمرار مفاجئ في البشرة .. يمكن ملاحظته حتى اذا خلد احدهم الى النوم وهو جالس على كرسي. وفي نفس الوقت الذي يتزايد فيه تدفق الدم قرب سطح الجسم فانه ينخفض في جميع الاعضاء الداخلية.

وحيث ان كمية كبيرة من الدم تتحول الى اسطح الجسم اثناء النوم فاننا نصبح اكثر حساسية للبرد وما لم نحكم تغطية اجسامنا جيدا لادى ذلك الى فقدان كبير لحرارة الجسم. وهذا هو السبب الذي من اجله نحتاج الى اغطية مدفئة للجسم اثناء نومنا اكثر منه اثناء يقظتنا. وفي المناطق التي يكون الشتاء فيها قارس البرودة، تكون هناك رغبة في وضع ملاءة تحت الغطاء الاسفل. الحكمة منها تقليل فقد الحرارة في الجزء الداخلي من السرير.

كذلك تنخفض درجة الحرارة الداخلية للجسم لدرجة طفيفة اثناء النوم .. كما تحدث تغييرات في عملية التنفس، فالنيام لا يتنفسون بعمق كما يفعلون وهم يقظون .. ويستعمل هذا كدليل لتحديد ما اذا كان الشخص نائما فعلا او متظاهر بذلك.

اما العرق .. فيزداد بدرجة كبيرة اثناء النوم، ربما بسبب تزايد اندفاع الدم قرب سطح الجسم. وقد ترتفع هذه الزيادة في العرق، فتصل الى المستوى الذي يعرق فيه الانسان اذا ادى تمرينا مضنيا ولذلك يلاحظ ان غرفة النوم تنتشر بها رائحة غير طيبة ما لم تهوى اثناء النهار. ولذلك تحرص سيدات المنازل الماهرات على تهوية اغطية السرير وغرفة النوم ذاتها بشكل كامل اثناء الصباح، للتخلص من هذه الرائحة. وقد يكون الحمام الساخن قبل النوم شيئا طيبا، لانه يهيئ الفرد للفترة التمهيدية للنعاس، اما من ناحية النظافة فالافضل ان يؤخذ الحمام بعد اليقظة.

كل هذه التغييرات الواسعة في العمليات الجسمية .. قد تكون متضافرة مع المراكز العصبية في منطقة **الهايبوثلاموسي** بالمخ. ان المدى الذي تحدث عنده الوظائف العصبية اثناء النوم تتضح في التغييرات العميقة في الافعال المنعكسة (**اللاارادية**) مثل: رجفة عظمة الركبة او ارتعاش الركبة وذلك انه عندما يكون الشخص الطبيعي متيقظا فان قدمه ترتجف الى امام اذا نقرنا رضفة ركبته نقرا خفيفا .. وهو ما لا يحدث اثناء النوم. والواقع ان معظم الانعكاسات الجسدية يصعب الاحساس بها اثناء النوم، ويبدو انها تختفي تماما، بعكس الانعكاسات التي تنظم توزيع الدم، حيث يزداد نشاطها عن المعتاد..

الوظائف المنشطة للنوم

يقول الفرد احيانا، انه سينام لكي «**يشحن بطارياته**» او «**لتجديد طاقة نشاطه**» ويبدو ان النوم عامل مجدد فعلا. الا ان الباحثين لم يستطيعوا تبين العمليات التي تتم خلاله. ذلك ان شحن البطاريات» و«تجديد طاقة نشاطه» ما هما الا تعبيرين لغويين يعبران عن الحالة الراهنة لمعرفتنا. فنحن نعرف. فعلا ان معظم الناس يستيقظون – بعد ان يقضوا ليلة كاملة من نوم عميق شاعرين بالانتعاش والنشاط. كما نعرف انه اذا جاء النوم احدهم فانه يحس بآثار معينة غير محمودة في اليوم التالي. واذ فقدنا فترة مناسبة من النوم فلا نلاحظ اي تأثيرات لها دلالتها على بعض الوظائف الفسيولوجية كالتمثيل الغذائي مثلا. كذلك ينتج عن السهر رد فعل عاطفي، فيبدو الناس اكثر توترا وربما ضحكوا او بكوا بدون سبب واضح ان هم امعنوا في السهر. فاذا جفاهم النوم كثيرا بدأ شعورهم بالهلوسة فيحسون وكأنهم



«يرون اشياء» و«يسمعون اخرى».

وتعتمد فترة النوم اللازمة على حالة كل فرد على حدة. ويقدر معدل الفترة اللازمة كالآتي:

الاطفال الرضع ١٨–٢٠ ساعة يوميا.
الاطفال عند دخول المدرسة ١٢–١٤ ساعة يوميا.
البالغين ٧ – ٩ ساعة يوميا.

لذلك ينبغي علينا ان ننال قسطا وافرا من النوم كي نستيقظ في الصباح دون الحاجة الى من يهتف بنا. وان نصحوا من نومنا وكلنا احساس بالنشاط، وفي حالة تمكننا من اداء العمليات الذهنية المعقدة.

ولقد درجت الصحف على نشر اخبار اناس يدعون انهم استطاعوا قضاء عدة اعوام بدون نوم وعند بحث هذه الحالات اتضح ان هذه الادعاءات لا تقوم على اساس. اذ ان الذي يدعي انه يستطيع الاستمرار بدون نوم ينسى او يتجاهل الاشارة الى الغفوات العديدة التي مارسها، ربما وهو جالس، اثناء النهار.

الأرق

يبدو ان علاج الارق سهل وسريع. ولقد اتضح من احدى التجارب ان اولئك الذين فقدوا النوم لمدة ١٦ ساعة لانهم سهروا ليلتين متتاليتين، قد جاءهم النوم فور تهيئهم له في الليلة الثالثة. فقاموا نشطين بعد نوم احدى عشر ساعة.

ويتبادر الى الذهن تلك التجربة التي مارسها الطيار الامريكي المشهور **تشارلز أ. ليندبرج** بعد طيرانه الضروري من نيويورك الى باريس في عام ١٩٢٧ م. وعندما هبط في باريس بعد ثلاثة ايام وليال قضاها بدون نوم – كانت كل حاجته من النوم عشر ساعات فقط «**لتعويض ما فقده**».

حالات عديدة تشبه النوم

يختلف البيات الشتوي لبعض الحيوانات عن دورة نومها اليومية ففيه يستنشق الحيوان انفاسا بطيئة وضحلة مدة من الوقت، يصبح التنفس بعدها اسرع واعمق، ثم يعود – اخيرا – بطيئا وضحلا.

والحيوان لا يختزن الطاقة اثناء بياته الشتوي .. بل يستهلك الدهون المتراكمة في جسمه، فتتحول الى كربوهيدرات ثم تحترق لتساعد على اداء العمليات الحيوية التي تتم بمعدل منخفض.

اما الاشخاص الذين يخضعون للتنويم المغناطيسي، فيبدون وكأنهم نيام دون ان تكون هذه حالهم. ذلك ان ارتعاش الركبة والانعكاسات التي تختفي اثناء النوم الحقيقي لاتزال واضحة في التنويم المغناطيسي كذلك تغيب معظم التغييرات الداخلية الاخرى التي تحدث اثناء النوم الطبيعي.

ايضا النشوة الروحانية .. فهي اكثر قربا من التنويم المغناطيسي عنها الى النوم الحقيقي. بل ان بعض الجهات تفسر هذه النشوة على انها نوع من التنويم المغناطيسي الذاتي.

اما الصرع .. فيحدث فيه نوع من فقدان الوعي .. بالضبط كما يحدث في النوم وهي حالات غير شائعة، لكن حالات الصرع الشديدة تتميز بالتوتر العصبي والتقلصات التي تحدث والضحية فاقدا وعيه.



الخدار وحالات النوم

يعتبر الخدار (**مرض النوم**) وثيق الصلة بالنوم لان المصاب

به يستغرق في النوم بعد فترة النعاس مباشرة .. فهو قد يستغرق فجأة في حالة تشبه النوم اثناء لعب الورق او انتظار الاوتوبيس او العمل بجد، وقد يحدث ذلك حتى قبل ان يغير وضع جسمه على الفراش وهو متيقظ لايزال.

وقد يستمر هذا النوم لفترة تتراوح بين عدة ثوان وعشرين دقيقة وقد لا يحس الشخص عند يقظته انه كان نائما كما يبدو عاجزا عن تذكر الاحلام.

ولقد اكتشف اطباء الجيوش ان بعض الحراس الذين يقدمون للمحاكمة بتهمة النوم اثناء الدوام كانوا فعلا ضحايا هذا المرض. كما يحتمل ان يكون من ضحاياه **نابليون بونابرت** الذي كان ينام وهو يمتطي صهوة حصانه كما ان بعض حوادث السيارات القاتلة تعزي الى هذا المرض ايضا. وهناك شك انه ينتج عن اضطراب في المركز الهايبوتلاموسي بالمخ.

ان كثيرا من العقاقير والمخدرات التي تستعمل لافقاد الوعي لا تسبب نوما حقيقيا، رغم ان الشخص قد ينام قبل عودته لوعيه. وتنطبق نفس القاعدة على المسكنات المتوسطة وحبوب النوم التي تتناول لعلاج الارق. بيد ان هذه المركبات تؤدي الى آثار التنويم المغناطيسي الخفيف، وبعضها يؤدي الى ارتخاء العضلات الارادية.

الكلام اثناء النوم

تعتبر بعض اضطرابات النوم .. **كالكلام اثناء النوم** .. مرضا شائعا. ولقد اتضح ان ٤٠٪ من طلاب الجامعة تقريبا يتكلمون اثناء نومهم، وهم طبعا لا يذكرون انهم فعلوا ذلك.

ويعتبر الكلام اثناء النوم دليلا على النوم المضطرب ونشاط الاحلام. اما المشي اثناء النوم فليس شائعا كالكلام اثناءه، وهو ما يحدث عادة نتيجة اضطرابات عاطفية، وقد يكون راجعا الى انفصام جزئي للشخصية اثناء النوم.

اما **الفزع الليلي**، فهو عبارة عن هجمات للقلق تصاحب الاحلام المزعجة. والمصاب بها يتقلب عادة في السرير ثم يبكي وينوح دون ان يصحو. ويكثر هذا الاضطراب بين الاطفال اكثر منه بين البالغين.

كذلك تؤدي التشنجات العضلية الى اضطراب النوم **(وهي بالتأكيد قد تحدث اثناء اليقظة)** وقد تكون بعض هذه التشنجات مؤلمة. ومن حسن الحظ انها لا تستمر اكثر من بضع دقائق. وهي تحدث عادة بعد اجهاد كبير للعضلات المتأثرة بها.

وقد يوجه اللوم للمدخنين احيانا لان التدخين يؤدي الى تقلص الاوعية الدموية في الذراعين والساقين. ويبدو ان احسن علاج لها هو مد العضلات المصابة مع ربط العضلات المقابلة جيدا. اما في حالة تشنج عضلات القدم فان مشي عدة خطوات في الغرفة قد يساعد على ارتخاء العضلات المتشنجة.

ويعتبر القلق واحدا من اهم الاشياء التي يسأل فيها المرضى اطباءهم فقد يكون مؤقتا ويرجع الى اضطرابات عاطفية. وعلى سبيل المثال فقد لا يستطيع الطالب ان ينام في الليلة السابقة على اختبار المادة التي يخشاها، كما ان بعض الامراض الجسدية تكون مصحوبة بالارق. ويبدو ان اهم الاسباب جميعا هو نظرة الانسان بعصبية وقلق الى الحياة والى نفسه.

وعلى ان الشكل النمطي لهذه الحالة **(ضحية الارق)** يكون متوترا جدا عاطفيا لدرجة انه لا يستطيع الاسترخاء للنوم. وعموما يمكن معاملته بالعلاج الفسيولوجي كما ان بعض الشخصيات المعروفة تتعرض ايضا للاصابة بالارق.

مرض النوم

ويعتبر مرضا شديد الازمان وتستمر الاصابة به مدة طويلة، وغالبا ما تؤدي الى الموت.

ولقد سبقت دراسة هذا المرض علميا في الكونغو الافريقية، حيث كان منتشرا في بداية هذا القرن. ويصاب مرضاه عادة بحالة من السبات، يتبعها نوم متقطع ثم الوفاة..

ولقد استطاع عالم البكتيريا البريطاني، سير دافيد بروس، بمساعدة زوجته، الجزم بأن سبب هذا المرض هو كائنات طفيلية ميكروسكوبية تدخل الى الدم، ثم الى النخاع الشوكي بواسطة ذبابة تسي تسي. ولقد ادى العلاج المنظم الى امكان مواجهة الاصابة بهذا المرض.

ويحدث مرض النوم هذا بعد الاصابة بفيروس كفيروس الانفلونزا والحصبة. كما ان هناك احتمالا، لكنه بعيد، ان تؤدي الاصابة بالانفلونزا والحصبة الى الاصابة بمرض النوم بعدهما.

على اي حال .. فان الاطباء الحذقين يفتشون دائما عن بعض الاعراض المشبوه فيها، والتي قد تكون اعراض الاصابة بهذا المرض من بينها.

ترجمة: محمد شكري الاسود

شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن

الأمة الإسلامية على امتداد خريطة العالم وبقاعه، تعيش في انتظار رمضان شهورا عدة حتى يدور الزمن دورته، ويجيئها من جديد، وحسبها في ذلك انه شهر الصوم، شهر الفضائل والنعم، والحسنة بعشر امثالها، والصوم لله الواحد القهار، وهو يجزي به، فنعم الجزاء.

ومع جو السكينة والروحانية تغشى المسلمين على امتداد ايام رمضان ولياليه تجيْ ليلة هي خير من الف شهر .. ليلة القدر .. ويجد المجدون، ويسهر المصلون، وتحلو التوبة والرجوع الى الله، والاستغفار والتوسل اليه تعالى طمعا في الرضا .. والفوز بالجنة ..

وتبلغ السعادة أقصى درجاتها، بعد الصوم لرؤية الهلال، وبعد انتهاء رمضان لرؤية هلال شوال، فرحا بالغنم، والدخول المتجدد في طاعة الله بالامتثال لأوامره.



وهو شهر القرآن، **والقرآن كلام الله تعالى والمعجزة التي حملها سيد البشر محمد بن عبدالله هاديا ومبشرا ونذيرا ورحمة للعالمين.**

ماهية الصوم وبدايته

لعله من الصعب القطع ببداية الصوم لدى المجتمعات الإنسانية وذلك لأن المصادر التي يعتمد عليها في هذا المجال تكاد لا تعطي الاجابة المطلوبة القاطعة، ولكن مما لاشك فيه ان الصوم عبادة قديمة بل يكاد يكون من أقدم العبادات، وانه قد اتخذ صورا متعددة الأشكال والأنواع، فمنه ما يكون بالكف عن الأكل أو الشرب أو كلاهما أو المجافاة والامتناع عن الكلام، وغير ذلك، والحقيقة الثابتة ان الصوم هو حرمان الجسم والنفس عن بعض حاجاتها او رغباتها أو مطالبها.

والصوم كعبادة قديمة أكدتها الآية الكريمة (**ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) وقيل في معنى الآية (**ان الصوم عبادة أصيلة قديمة، لم تفرض عليكم وحدكم، بل شارككم فيها كل الأمم**).

فلقد صام **المصريون القدامى** منذ أزمان سحيقة وكانوا يصومون من طلوع الشمس الى غروبها، كما عرفه الهنود منذ ما قبل الميلاد كجزء من عباداتهم التي تقوم على تطهير النفس بالرياضات الشاقة.

وايضا صام **المجوس واليونان والرومان والصابئون**. وهذا بلاشك يوحي الى حد بعيد بأن الصوم شريعة فطرية تنزع اليها النفس البشرية، حتى ولو كانت هذه الجماعات تعيش عيشتها البدائية الساذجة.

ولقد جاءت الديانات السماوية جميعها حاملة معها الأمر بوجوب الصوم .. فلقد **فرض الصوم على اليهود في التوراة** (ويؤكد جمهرة المؤرخين بان اليهود كانوا يصومون شهر رمضان، ولكنهم نكثوا كعادتهم، وجعلوه صيام يوم واحد هو اليوم الذي نجا الله فيه **النبي موسى - عليه السلام** - من الغرق وهو **يوم عاشوراء (اليوم العاشر من شهر محرم)**.

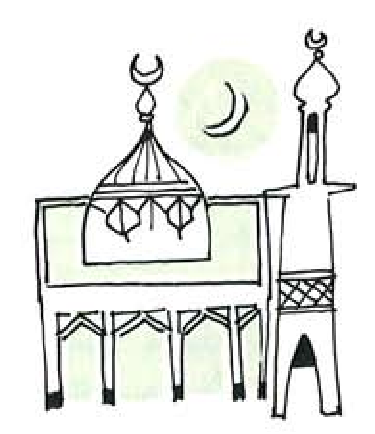
والمسيحيون يصومون (**صوم الميلاد**) وعدته ثلاثة واربعون يوما، وصوم يونس، وصوم العذراء، وصوم يونان، وصوم النذر والكفارة والتوبة، والصوم الكبير وهو الذي صامه المسيح عليه السلام ومدته خمسة وخمسون يوما وفيه يمسكون عن تناول المواد الغذائية والحيوانية.

الصوم في الإسلام

فرض الصيام على المسلمين في شهر شعبان من السنة الثانية لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة المنورة بعد نزول الآية القرآنية الكريمة (**ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له، وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون**).

ولهذا وجب صيام رمضان امتثالا لأمره تعالى في كتابه الحكيم (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**)، والصوم بذلك فريضة على المسلم العاقل البالغ فلا يجب صيامه على غير المسلم ولا على المجنون ولا على الصبي، وهو ركن من أركان الاسلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والحديث الشريف (**بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، واقام الصلاة، وإيتاء**





الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا).

وقد وعد الله الصائمين بالجزاء الأوفى، والثواب العظيم. فالصوم امتثال لأمر الله وإطاعة لأوامره تعالى وانصراف عن نواهيه. فالصائم في ضيافة الرحمن. **(فما يتحرك بحركة، ولا يتكلم بكلمة خير الا كان في عبادة فليحسن الصائم نيته وليستكثر من الخير، وليكثر من الذكر والاستغفار)** طمعا في الأجر من الله تعالى كما ورد في الحديث القدسي: **(كل عمل بن آدم له الا الصوم، فانه لي وأنا أجزى به)**، **(للصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه)** ثم **(ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)**.

وكان أول شهر رمضان عام فرض صومه: يوم الأحد الموافق أول برمهات من الشهور القبطية. الموافق اليوم السادس والعشرين من شهر فبراير. وكان في تلك السنة كامل العدد. وقد صام الرسول عليه الصلاة والسلام تسع رمضانات أكثرها غير تام. قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى.

في كتاب **(الصيام عبر التاريخ)** ورد: (ويحدد بعض المؤرخين تاريخ فرض صيام شهر رمضان بيوم الاثنين الموافق ١ شعبان من السنة الثانية للهجرة. وبأن أول شهر صامه المسلمون كان في فصل الشتاء وكان

رمضان في اللغة

ورد في تسمية شهر **(رمضان)** وجوه كثيرة، ولكن يبدو انها كلها تنصب على ان هذا الشهر كان يقع في ايام الحر الشديد، او ان فرضية صيامه وافقت ايام الصيف والحر.

فالرمض: شدة الحرارة، فقولنا: رمض يومنا، يرمض رمضا، اي اشتد حره، والأرض رمضاء.

والرمض ايضا: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره، وحر الحجارة من شدة الشمس، ولذا يقال: **أرض رمضة الحجارة**.

ويذكر **بن دريد** ان القدامى عندما نقلوا اسماء الشهور العربية، كانوا يسمونها بالأزمنة والأوقات التي كانت تأتي فيها هذه الشهور، ووافق رمضان **(شهر الصوم)** ايام رمض — شديدة الحرارة — ولذا سمي كذلك.

والرمضاء: شدة الحر، والأرض الشديدة الحرارة، ومن ذلك قول الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

واختلفوا في اشتقاق **(رمضان)** فقال **الزمخشري**: رمضان مصدر رمض: اذا احترق من الرمضاء وقال **الخليل بن احمد**: هو مأخوذ من الرميض: وهو السحاب والمطر. ما كان آخر القيظ وأول الخريف وقيل من الرمض: وهو مطر يأتي قبل الخريف يطهر وجه الارض من الغبار. وقيل اشتقاقه من رمضت النصل أرمضه —



بكسر الميم وضمها — رمضا: اذا جعلته بين حجرين املسين ورققته ليرق، سمي بذلك لانهم كانوا يرمضون فيه اسلحتهم. ليقضوا منها اوطارهم في شوال، قبل دخول الاشهر الحرم، أو لانه شهر مشقة ليذكر صائموه ما يقاسي اهل النار فيها.

وقيل مشتق من: رمضت في المكان، يعني احتبست، لأن الصائم يحتبس عما نهى الله عنه، وقيل: يرمض الذنوب، أي يحرقها بالاعمال الصالحة.

وقيل: لأن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة، والتفكر في أمر الآخرة، كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس.

والمعروف ان اول من عمل على تسمية الشهور العربية هو كبير قريش: **كلاب بن مرة** (الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم).

اما رمضان فكان يسمى في الجاهلية **(ناتقا)** ووافق رمضان وقت تسميته ايام الحر والرمض .. فعرف كذلك، وقيل سمي في الجاهلية بالناتق: لأنه كان ينتقهم: اي يزعجهم بشدته عليهم، او لكثرة الأموال التي كانت العرب تجبيها فيه من قولهم: نتقت المرأة: أي كثرت عيالها.

وصفوة القول: **(ان رمضان كان الأصل من شهور الشتاء. بدلالة الاسم ناتق أو ناطل. ثم لما نقلوا اسماء الشهور من اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها. فوافق هذا الشهر أيام الحر فسمي رمضان)**.

الصوم في اللغة

ورد في الصحاح للجوهري قول **الخليل بن احمد**: الصوم: قيام بلا عمل. والصوم: الامساك عن الطعم. وصام الفرس

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجام وصام النهار صوما: اذ قام قائم الظهيرة، واعتدل، والصوم: ركود الريح.

ويقول **بن فارس** في **(مقاييس اللغة)** «الصاد والواو والميم أصل يدل على امساك ما منعه، ويكون الامساك عن الكلام صوما، كما في قوله تعالى (اني نذرت للرحمن صوما)، والصوم ركود الريح، والصوم استواء الشمس عند انتصاف النهار».

وفي **«لسان العرب» لابن منظور**: «الصوم في اللغة الامساك عن الشيء، والترك له، وقيل للصائم صائم لامساكه عن الطعام – وقيل للفرس لامساكه عن العلف مع قيامه، وقال **ابو عبيدة**: كل ممسك عن طعام او سير .. فهو صائم.

تعريف الصوم وحكمه

الصوم هو الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع نية الصوم في نهار لا يحرم صومه. وحكمه انه فرض عين على كل مكلف.

انواع الصيام

واذا كان الله تعالى قد فرض صيام شهر رمضان ليكون هو **(الصيام الفرض)** وهو أحد انواع الصيام فان هناك انواعا اخرى من الصيام مثل: صيام القضاء وهو الصيام الذي يجب قضاؤه بسبب الافطار في رمضان بعذر كالسفر أو المرض. وصيام النذر وهو الذي يفرضه المسلم على نفسه تقربا لله. وصيام الكفارة وهو الذي يؤديه المسلم نتيجة ارتكابه بعض المحظورات. وصيام التطوع، وهو الذي يؤدى تقربا لله مثل صوم ستة من شوال.



هلال رمضان

الحكم في تحري هلال شهر رمضان انه من اركان الصيام في هذا الشهر الكريم وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابتداء الصوم قبل رؤية الهلال: **(صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فان غم عليكم – بالضباب او السحاب –، فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما)**.

وكثيرا ما تكون هناك الاحتفالات التي تقام في العواصم الاسلامية بمناسبة تحري رؤية هلال رمضان، وذلك في ليلة الثلاثين من شعبان او ليلة الثلاثين من رمضان، فإن رأوا هلال رمضان صاموا، وان لم يروه أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما، وان تمت لهم رؤية هلال شوال فقد حان إفطارهم، وإن لم يروه فليكملوا رمضان ثلاثين يوما.

واذا ثبتت رؤية الهلال في احد الأقطار الاسلامية، فواجب المسلمين في البلدان الأخرى ان يتقيدوا بذلك، ويصوموا هم كذلك، فيقول **الشعركاني** – رحمه الله – في الحديث **(لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين)** هذا لا يختص بأهل ناحية على جهة الانفراد، بل هو خطاب لكل من يصلح له من المسلمين، فالاستدلال به على لزوم اهل بلد لغيرهم، من اهل البلاد اظهر من الاستدلال به على عدم اللزوم، لانه اذا رآه أهل بلد فقد رآه المسلمون فيلزم غيرهم ما يلزمهم.

ليلة القدر

(ان هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها الا محروم).

هي ليلة خير من الف شهر .. تتنزل الملائكة .. وقدرها عظيم .. وفضلها جليل ومنزلتها سامية .. جاء في القرآن الكريم **(إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من الف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر)** صدق الله العظيم.

واذا كان العلماء قد تناولوا هذه الليلة العظيمة الشأن والقدر والمنزلة بالحديث وأفاضوا فيه بيانا لمكانة تلك الليلة فإنهم لم يتركوا الحديث عن سبب تسميتها، يقول **الدكتور مصطفى ابو زيد** انهم ذهبوا في ذلك الى امور عدة أهمها:

أولا: ان القدر بمعنى المنزلة العالية والشرف فهي ليلة القدر بمعنى ليلة الفضل والشرف العظيم.

ثانيا: ان القدر بمعنى التقدير في هذه الليلة يعلم الله ملائكته بمقاديره في السنة التي تبدأ بها، وقد يؤيد هذا قوله تعالى (فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا)وقوله تعالى ايضا **(تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر)**.

ثالثا: بمعنى الضيق، لكنه ضيق الارض بما ينزل من الملائكة اليها في تلك الليلة. والثابت كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن تقع ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان، لما روى عنه صلى الله عليه وسلم قوله: **(تحروا ليلة القدر في الوتر**

من العشر الأواخر من رمضان) والوتر: هي الليالي المفردة من واحد وعشرين الى تسع وعشرين.

التراويح

إن رمضان في حياة المسلمين كالواحة الخضراء .. يتعجل للقائه كل راغب في النهل من خيراته وكل طالب للرحمة، وكل متعلق بالأجر الموعود من الله تعالى .. ولكن مما لاشك فيه ان رمضان مناسبة تفوق كل المناسبات .. فالبهجة لدى الجميع والكل يستقبله والكل يتهيأ من أجله، يغسلون قلوبهم بالتوبة، ويتقربون الى الله اكثر في موسم الخيرات واحد الوجوه الرائعة هي **(صلاة التراويح)** .. فقيام رمضان وليالي رمضان هي نبع الرحمة والغفران قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(ان الله عز وجل فرض صيام رمضان، وسننت قيامه، فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)**.

والتراويح من صلاة التطوع في شهر رمضان وهي سنة مؤكدة للرجال والنساء، وأما عدد ركعاتها فقد (ورد فيه كثير، ومنه ان **الإمام مالك** يقول بأنها ست وثلاثون ركعة - كما سبق أن صلاها أهل المدينة المنورة، بينما يرى الائمة الثلاثة: **ابو حنيفة والشافعي وابن حنبل** انها عشرون ركعة). ووقت التراويح بعد صلاة العشاء وينتهي وقتها بطلوع الفجر فإن فات وقتها لا تقضي سواء فاتت وحدها او مع العشاء ولقد سميت صلاة التراويح هكذا حيث يجلس المصلي بعد كل أربع ركعات للاستراحة، ومن ثم سميت التراويح وبمعنى آخر فيها يكون بين كل تسليمتين جلسة يستريح المصلي يذكر الله تعالى، وكل ركعتين من التراويح صلاة مستقلة، فينوي المصلي في أولها كما يدعو بدعاء الافتتاح بعد تكبيرة الاحرام.

وبين صيام ايام رمضان .. وقيام لياليه تمر ليالي هذا الشهر عطرة، ينعم بها المسلمون بالرضا وقد شغلوا أنفسهم ليلا ونهارا بالعبادة وعطروا السنتهم بذكر الله.

السحور .. والمسحراتي

السحور بركة .. لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **(تسحروا فإن في السحور بركة)** والسحور بذلك هو تخفيف على العباد .. فليس المراد من الصوم تعذيب النفس ولا تحطيم الجسم، ولكن الصوم طريق للصفاء، والتهذيب والتمحيص، ولهذا قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم **(تسحروا ولو بجرعة ماء)**.

والسحور - بفتح السين - اسم لما يؤكل وقت السحر او ما يتسحر به من طعام وشراب والسحور بضم السين - فعل الصائم نفسه اي تناوله السحور **(بالفتح)** وسمي سحورا لانه مشتق من السحر والسحر: ما بين الفجر الصادق والكاذب لان له وجها الى النهار ووجها الى الليل، فلا يسمى سحورا الا ما كان في ذلك الوقت.

وتبرز في الحديث عن السحور - **شخصية المسحراتي** - ذلك الرجل الذي يتولى إيقاظ المسلمين لتناول طعام السحور .. وان اختلفت صور هذه الشخصية الآن من بلد لآخر فإن الجذور الأولى لذلك تعود الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث (كانوا





يعرفون جواز الاكل والشرب بآذان بلال، ويعرفون المنع بآذان ابن ام مكتوم، وفي الحديث **(ان بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن ام مكتوم)**.

وفي العصر العباسي شاع تغني الناس بشعر (القوما) وقيل انه سمي كذلك بسبب قول البعض **(نياما .. قوما قوما للسحور)** أو **(قوما لنسحر قوما)** وكان قد اخترع هذا النوع من الشعر **(الرمضاني)** رجل بغدادي يدعى **(ابو نقطة)**، وكان قد اعجب به الخليفة الناصر لدين الله العباسي فكافأه على ذلك بوظيفة سنوية هي **(المسحراتي)** ومن طريف ما يحكى ما أورده **الاستاذ علي الجندي** في هذا الصدد: ثم مات ابو نقطة واعقب ولدا صغيرا حاذقا لهذا النظم، فأراد ان يعلم الخليفة بموت أبيه ليأخذ وظيفته، فلم يتيسر له ذلك، فانتظر حتى جاء رمضان، ووقف في أول ليلة منه مع اتباع والده تحت الطيارة، وغنى (القوما)، بصوت رقيق رخيم، فاهتز له الخليفة وانتشى، وطار كل مطار، وحين هم بالانصراف انطلق ابن نقطة ينشد:

يـــاسيـــد السادات لك في الكرم عادات
أنا ابن أبي نقطة تعيش!! أبي قد مات

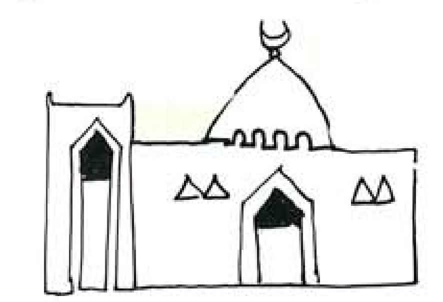
فأعجب الخليفة بسلامة ذوقه، ولطف اشارته، وحسن بيانه مع إيجازه فأحضره وخلع عليه، ورتب له ضعف ما كان لوالده.

صوموا تصحوا

إذا كان الصوم عبادة دينية، بالذكر والاستغفار والتوبة عن المعاصي والصوم عن الفاحش من القول والعمل، فإنه أيضا عبادة لإصلاح البدن ذلك أن الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء فالواجب ان يعطى الجسم فرصة الراحة، بعد ان يظل طوال شهور العام كله وايامها يعمل جميع اجهزته واعضائه باستمرار، وفي حركة دائبة، ولذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا نطق بقوله **(صوموا تصحوا)** فما ينطق عن الهوى!!

ومن النصح الالهي: **(كلوا واشربوا ولا تسرفوا)**، فالصوم تنظيم وتعليم وكبح لجماح النفس البشرية عن ممارسة الشهوات التي تكون قد اعتادتها على طول أيام ما قبل رمضان .. وهذا أيضا تأديب وتهذيب .. وهو من اجل ذلك طريق الى صحة المسلم وسلامة بدنه .. ومن وصايا **الخليفة عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قوله **(اياكم والبطنة في الطعام والشراب فانها مفسدة للجسد، وأبعد عن الشرف وان الله ليبغض الحبر السمين، وان الرجل لم يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه)**.

وها نحن في القرن الرابع عشر من هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يطالعنا العلماء والباحثون، وقد توصلوا اخيرا الى فهم الحكمة البالغة التي تكمن وراء الصوم وجاءت ابحاثهم ودراساتهم مطابقة لما جاء في التشريع القويم، لتنطلق صيحاتهم، ولترتفع



معلنة بعد بحث وتمحيص ودراسة مستوفية جادة، بأن الصوم علاج ناجع لكثير من أمراض الإنسانية، وطريق لخلاصها من الكثير من السموم والمفاسد.

على مائدة رمضان

غنية هي موائد رمضان، وزاخرة بكل لذيذ من الطعام، حيث يتفنن الناس في تقديم أشهى الأطباق وأطيب الطعام، وتختلف الأذواق، وتتنوع المشارب والمآكل، وتبقى هناك بعض الأطباق والأطعمة مرتبطة برمضان دوما .. فهناك **(الكنافة)** التي يذكر **بن فضل الله العمري**: ان اول من اتخذها من العرب **معاوية بن ابي سفيان** زمن ولايته الشام، وكان يأكلها في السحور، وقيل إنها اول ما صنعت كانت **لسليمان بن عبد الملك**.

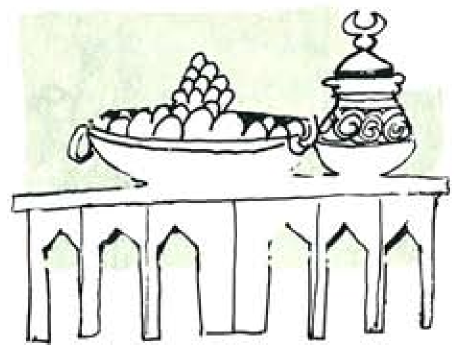
وما دامت الكنافة قديمة هكذا، فلا غرو اذا تناولتها السنة الشعراء والأدباء، وقالوا ابياتا سجلتها كتب الأدب لتنقل الينا احتفاءهم بها .. والرغبة في تناولها فهذا **شهاب الدين الهائم** يقول:

اليك اشتياقي يانافة زائد
ومالي غناء عنك كلا ولا صبر
فلازلت اكلي كل يوم وليلة
ولازلت منهلا بجرعائك القطر

ويقول **ابو الحسين الجزار** الشاعر الشعبي المصري وهو من الذين أكثروا في وصف الكنافة:

سقى الله اكناف الكنافة بالقطر
وجاد عليها سكرا دائم الدر
وتبا لأوقات (المخلل) انها
تمر بلا نفع وتحسب من عمري

والقطائف هي طعام يسوى من الدقيق



المرق بالماء، شبهت بخمل القطيفة التي تفترش، وذلك كما جاء في قاموس **(لسان العرب)**. والقطائف من أطباق رمضان المرغوبة كذلك، وهي عبارة عن عجين الدقيق بالسمن وتحشى بأنواع من المكسرات كالفستق واللوز وغيرها ويتم تشريبها في ماء السكر المذاب ولقد مدحها الأدباء والشعراء .. واجادوا وصفها، وتعديد محاسنها ومباهجها للآكلين فيقول احدهم:

رعى الله نعماك التي أقلها
(قطائف) من قطر النبات لها قطر
أمد لها كفي فاهتز فرحة
«كما انتفض العصفور بلله القطر»

ولغيره:

و (قطائف مثل البدو رأت لنا من غير وعد
قد أسقيت قطر النبات وطيب (بالماء ورد)
فحسبتها لما بدت في صحنها أقراص شهد

ولسنا في معرض الحصر للأطباق الرمضانية المعروفة جميعا، حيث يطول الحديث وتتشعب أطرافه ويكفي ما أوردناه لضيق المقام، ولكن مما لاشك فيه أن هناك الكثير من ألوان الطعام التي تحفل بها موائد رمضان، وخاصة اذا اخذنا في الحسبان امتداد رقعة العالم الإسلامي .. وتباين مآكله واختلاف رغباته في الاطعمة .. ومن بينها (السمبوسك).

رمضان في التاريخ

رمضان موسم للبركة والخير .. وان من يستعرض كتب التاريخ الإسلامي سوف يجد ان شهر رمضان على تعاقب الأعوام كان موعدا ووعدا للمسلمين حيث شهدوا فيه انتصارات رائعة .. ومواقف جليلة، واحداث عظيمة.

ففي الاثنين السابع عشر (او الرابع عشر) من شهر رمضان من السنة الثالثة عشرة قبل الهجرة، بدأ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ورد في السيرة النبوية **لابن كثير**.

وجاء في الذكر الحكيم (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**).

وفي رمضان من السنة العاشرة للبعثة توفي **أبو طالب** عم الرسول صلى الله عليه وسلم، فحزن عليه كثيرا.

وفي ١٠ رمضان بعد عشر سنين من البعثة النبوية توفيت **خديجة أم المؤمنين** وفي السنة الثانية بعد الهجرة وفي السابع عشر من شهر رمضان كانت أروع غزوات الاسلام (**غزوة بدر الكبرى**) اول انتصارات قوى الحق على شراذم الباطل.

وفي رمضان من السنة الرابعة للهجرة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بام المؤمنين السيدة **زينب بنت خزيمة بن الحارث** التي لقبت (**بأم المساكين**).

وفي يوم ٢٠ رمضان من السنة الثامنة للهجرة اعز الله الاسلام والمسلمين بفتح مكة وفي رمضان من السنة الحادية عشرة توفيت **فاطمة الزهراء** بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوج **علي بن ابي طالب** كرم الله وجهه، وأم سبطي الرسول **الحسن والحسين** رضي الله عنهما.

وفي السنة التاسعة للهجرة، في شهر رمضان قدم الرسول صلى الله عليه وسلم من **غزوة تبوك** بعد ان أيده الله تعالى فيها تأييدا كبيرا.

وفي رمضان من السنة التاسعة للهجرة ايضا جاء وفد ثقيف الى الرسول صلى الله عليه وسلم واعلنوا دخولهم في الاسلام.

ومات **علي بن ابي طالب** كرم الله وجهه في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المعظم من السنة الأربعين للهجرة.

وفي رمضان عام ٥٣هـ **فتح العرب جزيرة رودس**.

وفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان عام ٥٨هـ توفيت **السيدة عائشة** زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، **وابنة ابي بكر الصديق** رضي الله عنهما ودفنت بالبقيع.

وكان **فتح الاندلس** في شهر رمضان من عام ٩١هـ.

وفي منتصف شهر رمضان عام ٣٥٨هـ دخل **جوهر الصقلي** مصر، وهو قائد **المعز لدين الله** وصعد يوم الجمعة وخطب الناس.

وفي شهر رمضان تم **بناء الجامع الازهر بالقاهرة** للعبادة والعلم وكان ذلك عام ٣٦١هـ.

وفي عام ٥٨٤هـ بشهر رمضان كانت قوى الايمان بقيادة **صلاح الدين الايوبي** تجاهد قوى الصليبيين، وتحققت الانتصارات العديدة وتم الاستيلاء على قلعة (**صفد**) الحصينة في منتصف رمضان واثر البطل صلاح الدين الايوبي استئناف جهادة في رمضان قائلا (**ان العمر قصير، والأجل غير مأمون**)، وذلك حين اشار عليه رجاله بأن يرتاح في شهر الصوم.

وفي ٢٥ رمضان عام ٦٥٨هـ كانت معركة (**عين جالوت**) التي انتصر فيها المسلمون انتصارا باهرا على التتار المدمرين.

وكانت اروع ملاحم انتصار المسلمين يوم توحدت كلمتهم وجاء تأييد الله لهم مؤزرا في العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) وانتصر العرب على قوى الصهيونية المعتدية، وارتفعت كلمة الحق، ونشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله.

شكري العناني



المراجع

١) احكام الصيام وفلسفته من ضوء القرآن الكريم — لمصطفى السباعي

٢) حدث في رمضان — د. احمد الشرباصي

٣) رسالة الصيام والزكاة — مجلة الوعي الاسلامي

٤) الصيام في القرآن — محمد الدسوقي

٥) غرائب النظم والعادات والتقاليد — د. علي عبد الواحد وافي

٦) القاموس الاسلامي (٣ جـ) — أحمد عطية الله

٧) قرة العين في رمضان والعيدين (٢ جـ) — علي الجندي

٨) الصيام عبر التاريخ — عبد السلام هاشم حافظ

الشاعر في مدينة الأحياء

شعر: بدر توفيق



وجهه صحراءٌ ونهرٌ وحَقْلٌ مواسمهُ مخصَبةْ
وَدَعَتُهُ الطيورُ الأليفةُ والحكمةُ الخَالبةْ
وجهه صفحات كتاب مشيئته ثَاقبةْ
يُسْهِجُ القلبَ في مَتْنِهِ سَهْفُ أحلامه اللاجبة
يَتضور بحثاً حميماً عن الآهةِ الغاربة
مُستجيراً من القبر بالشعر والصحوة اللاهبة
كان كُرُ الليالي يحاصره فوق رأس الجبل
وهو نار ونور يقاتله بالظلام الوَجِل
كان نهرا يُجففُ أرضا يُجوِّعُ قلبا يُشلّ
مُغْرِقاً في حوافي المنى. وسجون الهوى المشتعل
فالقصيدُ حروفٌ نضجن على الوهج المنفعل
والعيون دروع التحدي. سيوف النزال الأولْ
انه يكشف الحال في وجد قلب مريدٍ شمل
والعطاء ضرام العَبَاب وخوف يَباب الأجَل
يتبيغ بين السماء وبين تُراب القُبَلْ
دَعه للسكوت الكلامْ. وللبطلان العَمَلْ
فامتلاء الشوارع لَغْو. وهذي الدُنَى تَضْمَحِل
والذي في مدى العين بحر على موجه يُرْتَحل
مبحراً في الدماء التي لا أمانَ لها في البَرِيَّةْ
نحةً من ضياء بعيدٍ عن الممكنات القَصِيَّةْ
المحاديف تثقلُ حيناً. وحيناً تضيع الهَوِيَّةْ
قال هذا انا بينكم كلمة. غنوة في الطوية
يَسمعُ العاشقون غنائي اذا اختلفوا في العَشيَّةْ
فيحل الوئامْ. وتُولد أغنية بَشَرِيَّةْ
قال هذا كتابي. وأغمض عينَ الحنان الغنية
فانطوت نبضةُ العين للفجر في اللحظة الشفقية
وانطوى السمعُ والشمُ والفكرُ واللمسةُ العاطفية
فتبدل وجه النهار الجميل بليل المنيَّة
ياعذاب المحب الضليل. ويا ساعة غسقية
من ترى يَقْتُلُ الشعرَ في صُلْبِهِ. رحمةً بالبقية

الكتابة العربية..

تاريخ وفكر!.

.. للكتابة العربية قصة أشاد علماؤنا بها في كل أدوارنا التاريخية ، منذ أن خضـ



مجلة الفيصل – ص ١٢٦

بقلم :
محمد عبد الله مليباري

الفكر العربي لقانون البحث والاستقراء والاستنباط ، فما هي هذه القصة ؟

ماذا يريد الانسان بأفعاله ، وبحضاراته وبامنياته؟ كل مايريده هو ان يحقق حالة شعورية لان الشعور هو قمة مطالب الانسان. والانسان حالة ، تعكسها حضارته ، تحمل بصماتها مدنيته يحكي قصتها تراثه ، فمتى فقد الحضارة ، فقد نفسه ، ومتى انهارت مدنيته ضاع كيانه ، ومتى تمزق تراثه انطمس اثره.

والكتابة في كل الحضارات تعطي للتاريخ مفهوما لأرقى ما وصل اليه الفكر البشري المبدع ، لاننا حتى اليوم ورغم تراكم الابداعات الفكرية لم نستطع الاستغناء عن هذه البدعة الفكرية

○

وللكتابة العربية قصة اشاد علماؤنا بها في كل ادوارنا التاريخية منذ ان خضع الفكر العربي لقانون البحث والاستقراء والاستنباط.

وكان من هذا الفكر ما حكمته الاسطورة فاخضعوا القصة لها ، وقالوا ، ان الحروف العربية نزلت على آدم الى البشر ، فكتبها في طين قبل موته بثلاثمئة عام ، ولا اعرف كم كان عمر ابينا حينما مات وقالوا .. ان الكتابة العربية وضعها أخنوخ وهو نبي الله ادريس عليه السلام ، وقالوا ان اول من وضعها نبي الله اسماعيل عليه السلام وان اربعة من ابنائه هم نفيس ونصر ، وتيم ، ودومه ، وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطرا واحدا موصول الحروف كلها غير متفرقة ، ومعنى هذا ان كل سطر من سطور أي موضوع كان متصل الحروف بعضها بعضا دون تفريق وذلك ربما كان ميسرا اذا تدبرنا الامر ، واوصلنا الحروف بموصلات تشبه موصلات الحروف اللاتينية الموصولة ، وقد جاء بعد هؤلاء الاربعة من ابناء اسماعيل ثلاثة هم نبت ، وهميسع ، وقيذار وفرقوا الحروف وجعلوا الاشباه والنظائر.

ويذكر (البلاذري) رواية عن عباس بن هشام بن محمد السائب الكلبي ، عن جده وعن الشرقي بن القطامي يقول فيها : (اجتمع ثلاثة نفر من طي وهم مرامر بن مرة ، واسلم بن سدره ، وعامر بن جدره فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية).

ويذهب ابن خلدون — وقد يكون اول مفكر عربي حاول تجنب الاسطورة — الى ان الخط انتقل من اليمن الى الحيرة بعد ان بلغ الذروة في دولة التبابعة ويعني هذا ان النظرية الحديثة القائلة بالاصل السينائي للكتابة العربية والكنعانيين الذين تعتبرهم هذه النظرية اول من استعملوا طريقة الالف والباء واهدتها للعالم كله ، مطعون فيها من وجهة نظر ابن خلدون ، وهناك من علماء اوروبا من يشارك ابن خلدون في هذه النظرية منهم المستشرق مورتيز الالماني الذي يقول ان اليمانيين هم الذين اخترعو الكتابة وليس الكنعانيين او الفنيقيين وان اليمانيين اهدوا الكتابة الى الحيرة ومن الحيرة عرفها الفنيقيون وعنهم اخذ الرومانيون والعرب[1].

(١) ملحق الجزء الاول من تاريخ ابن خلدون ، تعليق الأمير شكيب ارسلان.



ومن عهد ابن خلدون بدأت قصة الكتابة العربية تدخل طور الدراسة الجادة، ورغم ندرة هذه الدراسة فان هناك حصيلة لا بأس بها يستطيع المتتبع ان يخرج منها بحشد كبير من الأراء العلمية والنظريات التاريخية.

ان اقدم كتابة عربية، يعرفها تاريخ البحث عن الكتابة العربية هي رسم مشتق من خط المسند اليمني وصل الينا في ثلاثة انواع من نقوش متقاربة عثر عليها ما بين المنطقة الممتدة من دمشق الى العلا وهذه النقوش هي اللحيانية، والثمودية، والصفوية، واقرب هذه النقوش الثلاثة صلة بالمسند اليماني هو الخط اللحياني، وربما كان هذا الشبه هو الذي دعا العلامة ابن خلدون الى ان يجعل دولة التبابعة موطن اختراع الكتابة. والخط لا يكاد يختلف عن المسند اليماني، ويكتب من اليمين الى اليسار اما الخط الثمودي وان كان مشتقا من المسند ايضا الا ان اتجاهات كتابته غير ثابتة فيكتب احيانا من الاعلى الى الاسفل، واحيانا من الشمال الى اليمين وبالعكس ايضا، والحروف فيه ترسم تفرقة، والحركات القصيرة مقفلة شأن الكتابة العربية اليوم، وبعض حروفه يستعمل لأكثر من صوت واحد.

وأقدم نقش عرفه البحث عن تطور الخط العربي، نقش ام الجمال جنوب حوران من اعمال شرق الاردن، وهو من ثلاثة سطور لغتها آرامية وخطها نبطي جاء في هذا النقش.

بالسطر الاول: دنه نفسو فهرو

بالسطر الثاني: بر سلي ربو جذيمت

بالسطر الثالث: ملك تنوخ

ومعناها بالعربية:

١- هذا قبر فهر

٢- ابن سلي مربى جذيمة

٣- ملك تنوخ

ويرجح المستشرق الالماني انوليمان

والكونت دى فوجويه تاريخ هذا النقش رغم عدم وجود تاريخ عليه الى عام ٢٧٠ الميلادي.

ومن النقش الذي عثر عليه العالم (وتزتين) في حوران اللجا الواقعة جنوب دمشق شمال غربي جبل الدروز عام ١٨٦٤ ميلادية في تاريخ اطوار تدرج الخط العربي لاول نص مكتوب باللغتين العربية واليونانية يحمل تاريخ عام ٤٦٣ حسب تقويم بصرى، والمعادل لعام ٥٦٤ للميلاد جاء في هذا النقش:

١- انا شرحيل بن ظلمو (اي ظالم) بنيت ذا المرطول (اي الكنيسة)

٢- سنت ٤٦٣ بعد مفسد

٣- خيبر

٤- بعم (يعني بعام)

وقد عثر العلماء على كثير من النقوش الاسلامية بعد هذا النقش وقبله من هذه النقوش نقش يعود تاريخه الى السنة الحادية والثلاثين من الهجرة الموافق ٦٥٢ م يوجد في متحف الآثار الاسلامية بالقاهرة وهو عبارة عن نصب على قبر رجل اسمه عبد الرحمن بن خير واضح فيه التأثير الاسلامي بل ان بعض كلماته مقتبسة من القرآن الكريم، كما ان هناك ثلاث رسائل يظن انها الرسائل الحقيقية التي بعث بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط والمنذر بن ساوى والنجاشي.

كل هذه النقوش، وغيرها وهي كثر، تعطينا، تاريخ تطور الكتابة العربية، والمدقق في النقوش المكتشفة في شمال الحجاز واقليم حوران وشبه جزيرة سيناء بين القرن الثالث الميلادي والسادس الميلادي يدرك من غير عناء وجوه الشبه بين النقوش العربية والنقوش النبطية الأصلية ويستطيع ان يتبين بوضوح المسار الذي سارت عليه الكتابة العربية في مراحل تجاوزها من الأصل النبطي الى الصورة العربية التي عرفها العرب قبيل الاسلام، ودونوا بها في الجاهلية الاخيرة، ولا استبعد ان المعلقات التي تقول الاسطورة التاريخية انها كانت تكتب بماء الذهب وتعلق في الكعبة ربما بصورة من الصور العربية التي عرفها كتابنا بعد تجاوز الطور النبطي، ولكنها حتما كتبت باحبار لم يكن ماء الذهب منها. لان العالم لم يعرف ماء الذهب الا من عهد جابر بن حيان الكيميائي العربي الشهير.

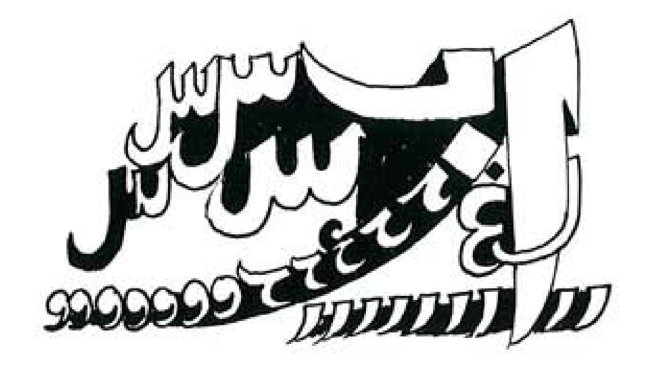
ومن الخطوط العربية الاولى على سبيل المثال وليس الحصر الخط الحيري والخط الانباري والخط المكي (نسبة الى مكة المكرمة شرفها الله) والخط المدني (نسبة الى المدينة المنورة) والخط البصري والخط الكوفي، ورغم ان صاحب (الفهرست) وصف بعض انواع هذه الخطوط فانني ارى ان

الفروق بينها لا تعدو ان تكون فروقا في الجودة والتركيز، واعني بهذا ان ليس هناك خطوط مختلفة ذات اصول شكلية معينة كالتي نعرفها في الخطوط العربية المختلفة اليوم، والعربي بطبعه لا يميل الى استخدام المهارة الفنية بقدر ما يميل الى التمسك بالطابع التقليدي الذي الفه لذلك كان التكرار في الفن العربي لاسيا الرسم والموسيقى من ابرز الاسس فيه ولا انكر الابتكارية في الطبيعة العربية انما هي ادنى من التقليدية واكبر شاهد على ذلك المبتكرات الشعرية التي عرفها الشعر العربي بعد انتقاله الى شمال افريقيا وبعد احتضانه لكثير من الشعراء المسلمين من غير العرب.

ومن وصف ابن النديم للخطوط العربية الاول نعرف ان هناك عددا من انواع الخطوط منها المدور والمثلث والتئم، وهذا يعني ان العرب عرفوا خطا مستديرا وآخر مثلثا ونوعا ثالثا بين المستدير والمثلث. اما الكوفي فما هو الا من خطوط العبرانيين والتدمريين التي تعود الى الخطوط الارامية المربعة ووصلت انواع الخطوط في العصر العباسي الى اكثر من خمسين نوعا من اشهرها المحرر، والمشجر، والمربع، والمدور، والمتداخل، وكان من هذه الانواع نوع ابتكره قطبة بن المحرر في اواخر الدولة الاموية وكانت الرسائل تكتب بهذا الخط.

وفي العهد العباسي ابتدع ابراهيم الشجري خط (الثلثين) وابتدع من الثلثين خطا آخر اسماه (الثلث) وهو من الخطوط المعروفة المستعملة في عصرنا هذا، وتكتب به اللافتات واللوحات وكتبت به الآيات القرآنية وبعض الاحاديث النبوية على جدران المساجد وقبابها واهمها المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة وبعض قباب المسجد الحرام وكسوة الكعبة المشرفة وحزامها.

ووضع اصول وقواعد خط النسخ الوزير العباسي شيخ الخطاطين ابو علي محمد بن مقلة المتوفي سنة ٣٢٨ هـ واخوه ابو عبدالله الحسن المتوفي سنة ٣٣٨ وهذا الخط من الخطوط



العربية المستعملة حاليا.

واخترع الخط الفارسي، وحل في فارس (ايران) محل الخط الفهلوي، واستخدمه الافغانيون في كتابة لهجاتهم (البامبرية) واستخدمه البلوخستانيون لكتابة لغتهم اما في الهند فقد استعمل المسلمون الهنود فيها نوعا من الخط القريب من النسخ لكتابة لغاتهم كما استعملوا الخط الفارسي.

وابتكر الاتراك خط (الرقعة) فكان الخط العربي المستعمل لكتابة كل ما يكتب باليد سواء باللغة التركية او العربية وشاع خط الرقعة في البلاد العربية، فاستعمل في كتابة الرسائل واستعمل في الادارات وكتابة كل ما يكتب باليد الآن.

وتوارثنا اليوم نحن تراثا كبيرا من الفكر والادب والعلم مكتوبا بالخط العربي، وادرك المغرضون قيمة هذا التراث واصالته العلمية والفكرية فراحوا يحاولون النيل منه، بل القضاء عليه بالدعوة الى استعمال العامية حينا وليتنة الكتابة العربية حينا آخر.

واول محاولة من هذا القبيل جاءت في خطبة القاها (ويليام ولكوكس) بنادي الازبكية بمصر عام ١٨٩٣ م بعنوان (لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين) نصح فيها باستعمال اللغة الدارجة (العامية) للتعبير الادبي اسوة بالانجليز الذين استطاعوا بناء حضارة علمية وثقافية بعد هجر اللاتينية، ثم تبعه (ويلمور) في كتاب اصدره عام ١٩٠١ م حينما كان قاضيا بمصر، نصح فيه بهجر اللغة العربية الفصحى واستعمال العامية اعقبه اسكندر معلوف المسيحي السوري مطالبا الكتاب والمفكرين ان يكتبوا بالعامية كما طالب بكتابة المناهج الدراسية بها، واكمل المشوار (سعيد عقل) الشاعر اللبناني حينما طالب بهجر الفصحى واستعمال الحروف اللاتينية بدلا من العربية بل مضى الى ابعد من ذلك بكتابة بعض مؤلفاته بهذه الحروف وانشاء مطبعة لها، وباصراره الممعن العميق عشر سنوات على اشاعة هذه الحروف بين العرب ومحاربة الخط العربي.

ان الدعوة الى استعمال العامية، وتغيير الحروف العربية واحلال اللاتينية محلها دعوة خطيرة بل انها معول يتسلط على صرح الوحدة العربية ليقوضها من اساسها، واداة تمزق الامة العربية الى قطع صغيرة؟ وعامل من عوامل ابعاد الجيل وفصل مستقبل هذه الامة عن تراثها التاريخي وقيمها الدينية انهم يريدون ان يبعدونا عن القرآن الذي صان لغتنا، وصان فكرنا اربعة عشر قرنا.



بقلم : محمد فتحي



في أواخر الستينات خرج من معمل حزب العمال البريطاني مشروع أكاديمي، ناقشته لجان مختصة كما ناقشته الدوائر الصحفية والتشريعية والتربوية مناقشة واسعة النطاق، انتهت باقرار الدولة له. وفي يناير ١٩٧٠ فتحت الجامعة المفتوحة الأبواب على مصراعيها لطلابها الذين قيدوا أسماءهم بها ولغيرهم ايضا من طالبي العلم.

لقد ترعرع الوليد خلال السنوات السبع الماضية وفرض نفسه على الدوائر الأكاديمية المحلية والدولية حتى لقد أصبح نظاما يستورد. استوردته ايران وتعكف على درسه في الوقت الحاضر اكثر من دولة من بينها المملكة العربية السعودية، بقصد إدخال نظامه والاستفاده منه.

وينبغي ان نذكر بادئ ذي بدء ان الذي مهد لظهور هذا المعهد العصري الفذ، هو ترسخ أجهزة الاعلام الكبرى وبخاصة الاذاعة والتلفزيون، في المجتمع وتغلغلها في ثناياه، وغزوها للقرى والفيافي وللفرد في عقر داره اينما كان.

ما هي الجامعة المفتوحة؟

ليست الجامعة المفتوحة كما قد يظن.



بعض الناس معهدا يشبه الجامعة الشعبية، أي انها معهد يرتكز في فلسفته وجوهره على التبصير والتنوير وعلى تعلم الكبار أشكالا شتى من الدراسات ومن المعرفة العامة كدراسة اللغات أو مبادئ المحاسبة أو الكتابة على الآلة الكاتبة أو ممارسة الهوايات كالموسيقى وفنون التمثيل، أو لمجرد قضاء وقت الفراغ - **فيما يعود على المواطن بالنفع**. وبما يزكي نفسه، مؤتنساً مع الرفاق الصالحين، بين الكتب وفي قاعات الرأي والمناقشة والبحث.

كلا ليست الجامعة المفتوحة جامعة شعبية، وإنما هي جامعة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة أي انها جامعة **كجامعة الرياض** أو جامعة **الملك عبد العزيز** تقدم لطلابها الدراسات الجامعية وتمنحهم الدرجات العلمية: درجة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه أو ما كانت تسميها **جامعة الازهر** العالمية نسبة الى العالم - ولا أدري لماذا تخلينا عن تسمياتنا الأصلية مع ان التعليم الجامعي نشأ في عالمنا الاسلامي وفي أحضان الدين الحنيف قبل ان يعرفه العالم الغربي بقرون عدة. وهذه الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعة المفتوحة للمتخرجين فيها تعادل الدرجات التي تمنحها الجامعات البريطانية النظامية عريقة او حديثة **كجامعة اكسفورد او كمبردج أو لندن أو مانشستر**، أي انها معتمدة، شأن مثيلاتها، لدى كافة الدوائر الاكاديمية وغير الأكاديمية، ولا يجوز ان ينقص من قدرها منتقص. وللجامعة المفتوحة مجلسها ومديرها وأساتذتها المتفرغون، ايضا على قدم المساواة، مع الجامعات النظامية، كما تمنحها الدولة الاعتمادات المالية التي تعينها على ممارسة وظيفتها.

وقبل أن نتساءل عن الوسيلة التي تباشر بها هذه الجامعة الجديدة الطراز على البشرية تعليمها، قد يكون من الخير أن نسأل اولا لماذا قامت، وما الغرض من انشائها، واذا كان القصد منها هو نشر التعليم الجامعي فلماذا لم تنشأ جامعة اخرى نظامية؟

جامعة الهواء!

الأصل في **الجامعة المفتوحة او جامعة الهواء** كما كانت تسمى في بادئ الأمر انها قامت لغرض يمت بالصلة للعدالة الاجتماعية، أي انها نبعت من بحيرة سياسية لا من دائرة علمية. **فلقد ظهرت كمشروع من مشروعات حزب العمال قامت على تنفيذه حكومة العمال عام ١٩٧٠ في وجه معارضة من دوائر الحزب المعارض وفي وجه تحفظ شديد من الدوائر التعليمية ايضا.**

يقول أصحاب المشروع ان من المواطنين من فاتته فرصة التعليم العالي لأسباب لا ذنب له فيها، مع رغبته المحققة في التعلم ومع توافر المواهب والصفات الفطرية التي يتطلبها التعلم. من هذه الأسباب مثلاً ان يكون فقيراً فلم يتمكن ذووه من الحاقه بالجامعات - والتعليم الجامعي في بريطانيا وفي امريكا ايضا، **ليس بالمجان كما هو بالمملكة العربية السعودية أو مصر**، بل انه مسألة باهظة التكلفة بحيث لا يتيسر الا لذوي اليسار، او ان يكون الصبي قد دهمه اثناء تعليمه العام مرض عضال من الأمراض المستوطنة لديهم كالسل او شلل الأطفال، وهي أمراض يستغرق الشفاء والتعافي منها سنين طويلة، او ان يكون اليتم قد قطع تعليمه في سن باكرة حتى يعول امه ويربي اخوته الصغار بعد فقدان العائل.

مثل هؤلاء ما ذنبهم ليحرموا من نعمة التعلم مع توافر الرغبة والموهبة؟

من أجل هؤلاء فكر أصحاب المشروع في إنشاء الجامعة المفتوحة. فالمبدأ الأساسي الذي تقوم عليه هو مبدأ سام لهداية الضال ووصل المحروم. والمبدأ الثاني الذي اتفق اخيرا عليه والذي وضعت شعاره منظمة الأمم المتحدة المختصة (**اليونسكو**) وعممته هو ان التعلم حق وانه عملية «**تستغرق العمر كله**» فلا تنتهي بنهاية مرحلة المدرسة أو مرحلة الجامعة أو شهادة الدكتوراة. **إنما التعلم عملية دائبة لا تتوقف وليست مرهونة بسن معينة**. وسند القائلين بذلك ان المعرفة الإنسانية حصيلة التجربة فتضاعف في كل فرع من العلوم، الطب أو الهندسة أو العلوم او الرياضة، كل عدد من السنين عشراً أو خمساً.

إذا تأملت قليلا ألا ترى ان هذه هي المبادئ التي نادى بها ديننا في كتابنا الحكم وفي أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام ...؟

اقرأ، وقل رب زدني علماً، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

ثم ما أجمل وأبلغ الشعار الذي وضعه المسلمون منذ صدر الاسلام ذلك الذي توصلت اليه أعلى الدوائر التعليمية وأخذت به الأمم المتحدة بعد ما يقرب من خمسة عشر قرنا ألا وهو «**اطلبوا العلم من المهد الى اللحد**».

هذان هما المبدآن اللذان تقوم عليهما الجامعة المفتوحة ذلك المعهد الرائد الذي

بدأته المملكة المتحدة والذي تفكر في إدخاله المملكة العربية السعودية وغيرها من الدول.

عبر الأثير والهواء!

أسميت الجامعة المفتوحة في بداية أمرها بجامعة الهواء، وكان ذلك إشعارا بأنها سوف تعتمد في ممارسة وظيفتها التعليمية على الهواء، على **موجات الأثير**. أي على **الإذاعة والتلفزيون**. كان التفكير في ذلك خاطرا نيّراً ملهما. فإذا كنا نقول إن التعليم فريضة على كل مسلم ومسلمة وان التعليم حق ينبغي ان يباح ولا يمنع فأية أداة افضل وأكرم من الأثير والهواء لحمل الرسالة التعليمية ميسرة الى عموم الناس؟ **الأثير ووسيلتاه الاذاعة والتلفزيون فضل من عند الله.** فما هي بمدارس يشيدها البشر ذات أجنحة وذات طوابق وذات فصول وذات جيش من المعلمين والفنيين والعاملين. لأول مرة في تاريخ البشر لا يذهب المتعلم الى المدرسة. وانما بفضل الاذاعة والتلفزيون وعلى عكس المألوف، المدرسة أو الجامعة هي التي تذهب اليه. **العلم يسعى اليه محمولا فوق موجات الأثير الهوائية حتى يدخل عليه مجلسه في بيته ومستراحه ومكتبه.**

قد يتبادر الى الذهن ان الجامعة المفتوحة هي أول من فتح باب التعليم في الاذاعة والتلفزيون، ولكن الحقيقة غير ذلك. فالاذاعة البريطانية ذاتها فتحت هذا الباب على مصراعيه منذ أيامها الأولى في العشرينات من هذا القرن. ففي الوقت الذي كان الأثير في شتى أنحاء العالم، يضج بموسيقى الجاز، وبالاعلان الصاخب عن التبغ والخمور والمعاجين، كانت الاذاعة في المملكة المتحدة باذاعاتها المدرسية تغزو المدارس بالمعرفة والعلم المندمج في نسيج المناهج الدراسية. وحذا حذو الاذاعة البريطانية نظم اذاعية أخرى فتدعمت الوظيفة التعليمية للإذاعة، وأصبحت نظاما معتمداً معمولاً به، ولو انها - **أي تلك الوظيفة التعليمية**، في قلة من الإذاعات ومن بينها مع الأسف إذاعات عالمنا العربي، **ما تزال نسيا منسيا.**

فقبل انشاء الجامعة المفتوحة قامت معاهد تعليمية مختلفة الاتجاهات والمستويات معتمدة على الإذاعة والتلفزيون، نذكر منها على سبيل المثال معاهد المانيا الغربية في كل من **ميونيخ وتوبنجن وهاجن**. ومنها معاهد للتعليم التقني خاصة لعل أهمها هو ذلك المعهد الذي انشأته **بولندة** بمعاونة **اليونسكو** وهو ما يطلق عليه بولتكنيك التلفزيون. كما ان هناك دولا عديدة تعتزم إنشاء جامعات مفتوحة منها **نيجيريا** التي تدرس مشروع جامعة الهواء «**أحمدو بيللو**»، ومنها اليابان وهي أيضا تشرع في إنشاء «**جامعة الاذاعة الوطنية**». وهناك النموذج الأمريكي الذي بدأ منذ سنتين في **جامعة نبراسكا الاميركية** على سبيل التجريب وهو موضع الدراسة والمراقبة من جانب الهيئات التعليمية التي تعنى بالوسائل التعليمية الجديدة ومن بينها معمل تليفزيون الأطفال الذي ينتج برامج «**شارع السمسم**» وشركة الكهرباء (**وتعرض هذه في برامج الاطفال بتليفزيون المملكة العربية السعودية**). والى جانب ذلك هناك عدد من الدول أبدت اهتماما بهذا المعهد سواء من ناحية الغرض الاجتماعي الذي قام من أجله او من ناحية قيمته التعليمية كمعهد للتعليم العالي، ومن هذه الدول **استراليا**، ومنها أيضا **ايران** التي استقدمت خبراء من الجامعة المفتوحة البريطانية وانشأت **جامعة ايران الحرة**.

فالجامعة المفتوحة اذن تتجسم قيمتها الريادية في كونها جامعة فذّة تعادل في المكانة الجامعات النظامية القائمة وانما تختلف عنها في الغرض الذي انشئت من اجله وفي الاساليب الجديدة التي تستخدمها في عملية التعليم.

شروط الالتحاق وممارسات التعلم:

ففيما يتعلق بالغرض الاجتماعي لا تشترط الجامعة في طالبها اشتراطات معينة من حيث المؤهل العلمي او درجة التحصيل. **إنما تشترط شرطا واحدا وهو أن يكون قد تجاوز الحادية والعشرين من عمره** - ذلك ان من دون هذه السن له ان يلتحق بالجامعات النظامية. ما على الطالب الا ان يقيد اسمه في الجامعة ويدفع الرسم المقرر، وهو لا يقارن بالرسوم الباهظة التي تطلبها الجامعات النظامية، ثم يختار المنهج الذي يريد ان يدرسه **فيصبح بذلك طالبا تجيئه الدراسات.**

اذا كانت الجامعات النظامية تستخدم الكتاب والاستاذ والمرشد فالجامعة المفتوحة لا تقتصر على هؤلاء وانما تستخدم حزمة من الوسائل التعليمية. فهي تستخدم في المقام الأول **الاذاعة والتلفزيون** حسب برنامج مدروس موضوع في مرشد الطالب الذي توزعه الجامعة على طلابها. وهي تقرر على الطلاب كتبا معينة الى جانب المراجع التي يوجهون لقراءتها. وتستخدم المراسلة بالبريد الذي يحمل الى الطالب مختلف التوجيهات العلمية والنصوص الاضافية كما يحمل الى الجامعة بحوث الطلاب لتصحح وتقوّم وتتيح الجامعة للطالب استخدام **العقول الالكترونية** كما تستخدم ما يعرف **بالتعلم المبرمج** وهو ضرب جديد من التعليم الذاتي يمارس عن طريق كراسات معدة لمختلف المواد. تشرح الكراسة الموضوع ثم في قسم ثان تمارين موضوعة يجريها الطالب، والقسم الثالث منها يتضمن الحلول الصحيحة ليضاهي الطالب اجابته بالإجابات الصحيحة ويتعرف على أخطائه. **ومع التعلم المبرمج يجري الطلاب تجارب شخصية في النواحي العلمية بأدوات يزودون بها.** وثمة جزء هام في الحزمة التعليمية وهو الدراسة الصيفية في مقر الجامعة التي

يتعين على الطلاب الانتظام فيها لفترة تتراوح بين أسبوع وثلاثة أسابيع. ومقار الجامعة موزعة توزيعا جغرافيا في أنحاء البلاد يبلغ عددها حاليا ٢٥٠ مركزا تيسيرا على الطلاب فلا يتحملون مشقة كبيرة في السفر. وذلك عدا مقار بعض الجامعات النظامية التي اتفق معها لاستخدام معاملها وأجهزتها اثناء عطلة هذه الجامعات الصيفية.

نظرة تقييم

الجامعة المفتوحة التي انشأتها بريطانيا والتي تعتمد في ممارسة وظيفتها التعليمية أساسا على **التلفزيون والإذاعة** معهد حديث العهد جدا فقد انفتح على الدارسين في عام ١٩٧٠ اي انه لم يمض وقت كاف للحكم عليه وعلى فعاليته كجامعة تضارع في المستوى والمكانة الجامعات النظامية القائمة. صحيح ان الجامعة المفتوحة ليست المعهد الأول من نوعه للتعليم العالي فقد سبقه كما ذكرنا اكثر من معهد في اكثر من بلد **فبولتكنيك التلفزيون** انشئ في **بولندة** في أواخر الستينات لتخريج تقنيين تتطلبهم الصناعة. **والتلسكولا (أو مدرسة التلفزيون)** في **إيطاليا** انشئت في الخمسينات لمحو أمية نحو مليوني مواطن محت أميتهم فعلا ثم استمرت فترة من الزمن تتابع تعليمهم حتى لا يرتدوا الى الأمية ثم أغلقت بعد ذلك أبوابها. وأغلب الظن ان **المعهد البولوني** سوف ينهي هو الآخر مهمته عند تخريج الأعداد اللازمة من المهندسين التقنيين. فمثل هذه المعاهد إذن، على الأقل في نظر منشئيها، تقوم لأداء مهام طارئة حتى اذا انتهت هذه المهام تكون المعاهد قد استنفدت اغراضها. غير ان الجامعة المفتوحة البريطانية التي تهتم كثير من الدول بأمرها وتفكر في استيراد نظامها ذات وضع مختلف، ذلك انها قامت لتحقيق غاية اجتماعية وليست ضرورة تعليمية ملحة. على انه من الجائز جدا، بعد ان تمنح هذه التجربة الأخيرة الوقت الكافي لتقييم فعاليتها على ضوء النتائج، وايضا على ضوء نتائج التجارب السابقة واللاحقة المماثلة - نقول من الجائز جدا ان يصدر الحكم لها لا عليها، ومن ثم تعمم هذه المعاهد، وتقوم لتدوم، لا لتؤدي مهاماً موقوتة مرهونة بظروف طارئة. ولسوف تمارس آنذاك وظيفتها التعليمية، شأنها شأن الجامعات والمعاهد التقليدية النظامية وانما على نهج مختلفة متبعة اساليب عصرية باستخدامها التلفزيون والاذاعة كالوسيلتين الرئيسيتين في التعليم.

ولماذا يستورد هذا النظام؟

السؤال المطروح الآن هو لماذا يستورد هذا النظام، وما الغاية من إدخاله؟

الجواب على ذلك انه اذا ما ارتأت دولة من الدول ان تستورد هذا النظام فانه يتعين عليها اولا ان تحدد تحديدا واضحا الغرض من إدخاله.

هل يكون لتحقيق غاية اجتماعية مثل الغاية من إنشاء الجامعة المفتوحة في المملكة المتحدة الا وهي إتاحة الفرصة للذين حرموا من نعمة التعليم في صباهم لفقرهم او مرضهم او لسبب آخر لا ذنب لهم فيه، مع توافر الموهبة والرغبة الملحة عندهم للتعليم...؟ واذا كان هذا هو الغرض فهل حصرنا اولئك المحرومين لنتبين هل هم عاقدون العزم على خوض بحار التعلم. وهل تتناسب اعدادهم مع التكلفة والمشقة اللتين يتطلبها انشاء جامعة من توافر اساتذة واداريين وابنية واجهزة ومعدات ؟ **وهل بحثنا في امكان استيعاب الجامعات القائمة لهم حتى ولو كانوا قد جاوزوا السن ؟**

هل ندخل هذا النظام لان البلاد في حاجة ماسة الى انشاء جامعات جديدة نظراً لازدحام الجامعات القائمة باعداد زاخرة من الدارسين فيها ونظراً لان التوسع في الأعداد قد يؤدي الى المساس بمستوى التعليم؟

هل لدينا أوضاع اجتماعية معينة، كحجب المرأة وعدم اختلاطها بدنيا الرجال في العمل، قد تشجع على ان ننظر الى هذا النظام الجديد كحل مثالي لتعليم المرأة يتيح لنا ايصال رسالة العلم والتعليم المهني الى الوف الفتيات والسيدات المحتجبات؟

اذا كان هذا هو الوضع فعلينا ان نقرر أولا فرصة هذه الألوف من المتخرجات في العمل، ومدى احتياج المجتمع اليهن كعاملات، وفي أي المهن بالذات، ثم هل هناك قصور في المعاهد القائمة لتعليم البنات وخططها؟

قد تثار هنا مسألة الانتساب للجامعات وهي مسألة جديرة بالنظر. ولكن ألا يمكن ان تقوم في كل جامعة تبيح نظام الانتساب ادارة خاصة بالمنتسبين تنشئ لهم دائرة إذاعية مفتوحة مرئية ومسموعة، تمد اليهم نطاق المحاضرات ثم الى جانب ذلك تستخدم الوسائل الأخرى التي ذكرناها كالمراسلة والدراسة في المراكز الصيفية؟

هذه الدوائر اصبحت شيئا مألوفا شائعا في الجامعات الامريكية.



واذا قيل إن نشر المعرفة للمعرفة ذاتها غاية من الغايات السامية فما نحسب ان هناك حاجة لإنشاء جامعة في الهواء لتحقيق هذه الغاية. فالأجهزة الاذاعية القائمة هي بمثابة المعهد والمنبر والجامعة وتستطيع التكفل بهذه الغاية، بل إن واجبها ووظيفة أساسية من وظائفها هي ان تتكفل بها، وتكون مقصرة غاية التقصير اذا هي لم تقم بأداء هذه الوظيفة التعليمية الى جانب وظائف الترويح والاعلام والتثقيف.



شكسبير

مقومات شخصية الأديب

بقلم : د . بدوي طبانة

فولتير





إن حركة القلم في يد الكاتب تمثل صورة لحركة الافكار في ذهنه، ولسائر الدوافع والاحاسيس التي تتفاعل داخل نفسه.

فاذا كانت المعاني أو الأفكار أو العواطف او الانفعالات حاضرة في ذهن الاديب او في قلبه فلن يكون من العسير عليه استحضار الألفاظ أو التراكيب، أو تأليف الصور التي تفي بالعبارة عنها، الا انها ستنحدر على لسانه او قلمه تلقائيا من غير عنت أو معاناة.

وقد يتعثر اللسان، ويهتز القلم في يد صاحبه، لأنه يريد ان يقول، ثم لا يجد ما يقول وقد يحار القلم في يد الكاتب لان في عقله وقلبه كثيرا مما يريد ان يقول!!

ولست اشك في ان كثيراً من حملة الاقلام يعانون مثل هذه الحيرة اذا شرعوا في الكتابة أو التأليف لواحد من السببين اللذين ذكرتهما، اما لأنهم لا يجدون ما يقولون او يكتبون، واما لان في جعبتهم او في عقولهم مما هو صالح للكتابة أو الحديث ثم تكون حيرتهم في عملية التخيير او الانتقاء.

والكاتب الذي لا يجد ما يقول، ينبغي أن يكف عن الكتابة، ويثني عناق قلمه اذا كان يحترم هذا القلم، ويحترم نفسه، ويحترم عقول قارئيه، حتى تواتيه الفكرة، أو تتضح امامه الرؤية، وعندئذ فقط يستطيع ان يفك قلمه من عقاله، ليعبر عن الفكرة التي ملأت عقله، والمشاعر التي استفاض بها شعوره والرؤية الواضحة التي استبانت امام عينيه وبصيرته.

وذلك اذا كان حامل القلم من صناعة الأدب بسبب، أو كان بينه وبينها معاقد نسب، والا كان عليه ان يدع هذا الفن لأهله الذين خلقوا له، وطبعوا عليه.

وليس يعيب المرء الاّ يكون شاعرا اوكاتبا او خطيبا، كما لا يعيبه الا يكون مصوراً أو مثالا أو موسيقيا فان هذه الفنون من الكتابة والشعر والخطابة والتصوير والموسيقى والنحت وغيرها مظاهر لقدرات خاصة وهي وقف على الموهوبين في كل أمة، من الذين وهبوا الاستعداد، وملكوا وسائل المحاكاة وأدواتها في كل فن من الفنون .. ولا يمكن ان ينال فن منها الرغبة أو التمني بل ان التحصيل وحده لا يغني شيئا، اذا لم يصحبه الطبع، أو الاستعداد.

وقد نجد عند العارفين من أسلافنا ما يدل على هذا الادراك الواعي لمعنى الخصوصية في الأدب والفنون، وتحذير غير الموهوبين من التكلف في طلب ما لا يحسنون.

وهذه كلمات لواحد من اعلام المتكلمين، في اقدم وثيقة عربية من الوثائق التي نعدها اصلا من اصول التفكير الفني عند العرب، وهي صحيفة **بشر بن المعتمر** (ت ٢١٠هـ) وفيها يقول ما نحن بصدده:

«انك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد فان انت تكلفتها، ولم تكن حاذقا مطبوعا، ولا محكما لسانك، بصيرا بما عليك ومالك، عابك من انت أقل عيبا منه، ورأى من هو دونك انه فوقك .. فاذا ابتليت بأن تتكلف القول، وتتعاطى الصنيعة، ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة وتعاصى عليك بعد إحالة الفكرة، فلا تعجل ولا تضجر، ودعه بياض يومك، وسواد ليلك، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فانك لا تعدم الاجابة ولا المواتاة، ان كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق .. فان تمنّع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض، ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك واخفها عليك».

وخلاصة ما أريد التنبيه اليه والوقوف عنده في هذا المقام انه **لابد ان يجتمع عند الكاتب أو الاديب أياً ما كان أمور!**

الأول: الاستعداد الفطري

الاستعداد الفطري لمزاولة صناعة الادب أو جنس من اجناسه .. وذلك الاستعداد الفطري اشبه بالغرائز النفسية التي ركبت في طبيعة الانسان، يستطيع تعليتها أو السمو بها، ولا يستطيع ازالتها أو القضاء عليها .. ومعنى انه استعداد فطري انه يولد مع صاحبه، ويحيا معه ما عاش، وانه لا يمكن ان ينال بالتوقيف أو التعليم أو التحصيل، وانما هو ملكة راسخة في اعماق صاحبها تصدر عنها اعماله وسلوكه.

وذلك لا يمنع ان هذه الملكة قد تنشط، وقد يزدهر نتاجها، لبعض المثيرات، او في بعض الاحيان كما تخف حدتها، ويخفت بريقها، بتأثير بعض الملابسات، وتحت ضغط العوامل والاسباب التي تحول بينها وبين العطاء، حتى يتاح لها ما يعيدها الى العطاء، وييسر لها سبيل الانطلاق الى غاياتها .. ويذكر الرواة انه قيل **لكثير**: لم تقول الشعر؟ أجبلت؟ فقال: والله ما كان ذلك. ولكن ذهب الشباب فما أطرب ورزئت **عزة** فما انسب. ومات **ابن ابي ليلى** فما أرغب..

والاجبال ان ينتهي الحافر الى صخر لا يستطيع ان يحفر فيه.

وقد نفى كثير عن نفسه «الاجبال» أو بعبارة اخرى انكر ان تكون شاعريته قد ماتت، لأن الفنية كامنة في نفس صاحبها، ولكنها ضنت بمكنونها أمام هذه الأحداث والنوازل التي ألمت به، وهي الشباب الذي ولى والحبيب الذي ودع، والكريم الذي كان يمتاح منه برّه غير ان هذه النوازل التي عددها الشاعر تبدو وكأنها دوافع لفيض المشاعر، ومثيرات للعواصف والانفعالات في اعماق الشاعر المعمود!!

ولكننا نعترف بالعجز المطلق عن ادراك حقيقة البشرية وسبر اغوارها، وقد يكون الصمت عن الجواب ابلغ جواب وقد تنهل الدموع في نشوة السرور، وفي فرحة اللقاء، كما تنهل من مرارة الاحزان، ومن لوعة الفراق، وقد يضحك الانسان مما يثير الاسى ويبعث الشجون ويستنزف العبرات، حتى قيل «**شر البلية ما يضحك**»!

وما كان لنا ندع كلمة كثير تمضي من غير تعليق، وهي على وجازتها جديرة بأن يقف أمامها القارئ مثل هذه الوقفة، وان يعبر عن رأيه فيها في أضيق الحدود، وفي أقل الكلمات، على ان هذه الكلمة الوجيزة التي عبر بها كثير في هذه العبارة المنثورة، لا تقل في ابداعها وجودتها عن المختار من شعره، ولا ينقصها عن الشعر سوى الوزن العروضي .. ولسنا ننسى الكلمة التي قالها **الاصمعي** لبشار «انت في كلامك أشعر منك في أبياتك»!

وخلاصة هذا كله:

(١) ان الفنية خصوصية كامنة في نفس صاحبها، تثيرها التجارب والانفعالات.

(٢) انها تلازم صاحبها، تحيا بحياته، ولا تموت الا بموته.

(٣) انها لا تنال بالتلقي أو بالتحصيل، وانما تعان وتنضج بتحصيل ثقافات تتصل بها، وتعتمد عليها وتنهض بها.

ومن ذلك مثلا ان المصور أو الرسام في حاجة الى معرفة تامة بالادوات التي يستخدمها والاصباغ التي يؤلف بينها، والموسيقى في حاجة الى معرفة طبيعة الاوتار، وما تبتعثه من الاصداء والانعكاسات حتى يستطيع ان يتخير ما يجود العزف عليه، من هذه الأوتار وغيرها من الادوات الموسيقية، حتى يؤدي الالحان، التي يريد تأديتها على اكمل الوجوه التي ينشدها. وكذلك النحات يشعر بالحاجة الشديدة الى معرفة طبيعة الصخور والاحجار التي يعمل فيها ازميله واجود المواد التي يصنع منها ذلك الازميل ويطرد القياس في كل فن من الفنون.

وذلك بالاضافة الى حاجة كل فنان الى معرفة اصول هذا

الفن الذي يزاوله والوقوف على تقاليده التي اعجبت الناس ورضيت عنها اذواقهم، وتكونت منها معالم ذلك الفن، وعرفت منها أهم خصائصه.

الثاني: القوى العقلية

مما ينبغي ان يتوافر في الكاتب أو الشاعر هو «**القوى العقلية**» ولا نعني بتوافر «القوى العقلية» ان يكون الكاتب أو الاديب عالما من العلماء، أو واحدا من المفكرين، أو ان يجري على نهجهم في الكتابة والتأليف، لأن الادب لا يقاس بمقاييس العقل أو المنطق. وعالم المعرفة هو عالم الحقائق التي تهتدي اليها عقول المفكرين بعد البحث والتجربة والاستقراء التام للكليات والجزئيات في الاشباه والنظائر، والادلة اليقينية التي تجعل هذه الحقائق قابلة للتعميم وتجعلها ايضا قابلة للتعليم.

وانما الذي نعنيه بتوافر «القوى العقلية» ان يكون عند الاديب ما يستطيع به التمييز بين الجيد والرديء والصواب من الخطأ، حتى ينفي عن نفسه مظنة الجهل، وما يفرق به بين القبح والجمال، وما يمده بالافكار والمعاني التي يصبها في القوالب والاشكال الأدبية، وما يساعده على التخييل وتأليف الصور الفنية وكل ذلك هو ما نعنيه بقولنا عن الأديب «**ان يكون عنده ما يريد أن يقول**» .. وذلك لأن الاديب ليس ضربا من ضروب الهذيان، وليس معرضا من معارض الغفلة أو الجهالة.

ونضرب مثلا يتبين فيه الفروق بين «القوى العقلية» اللازمة للمفكر أو العالم «والقوى العقلية» التي نريدها للأديب.

فقد ذكر **القاضي** في «**الوساطة**» ان خصوم **المتنبي** عابوا عليه قوله:

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها
وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

وقالوا في نقده: «اراد التناهي في اطالة الوقوف، فبالغ في تقصيره وكم عسى هذا الشحيح - بالغا ما بلغ من الشح، وواقعا حيث وقع من البخل - ان يقف على خاتمه؟ والخاتم ايضا مما لا يخفى في الترب اذا طلب ولا يعسر وجوده اذا فتش».

وهذا النقد كما نرى يقوم على الحجة العقلية، والتفكير المنطقي لأن الشحيح شديد الحرص على خاتمه وليس من العسير ان يعثر عليه، لأن عينيه ستسبق الخاتم الى التراب قبل ان يصل اليه.

ويدافع القاضي عن ابي الطيب بقوله «ان الشاعر اذا قال - وهو يريد اطالة وقوفه - اني اقف وقوف شحيح ضاع خاتمه، لم يرد التسوية بين الوقوفين في القدر والزمان والصورة، وانما يريد: لأقفن وقوفا زائدا على القدر المعتاد، خارجا عن حد الاعتدال، كما ان وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف في امثاله، وعلى ما جرت به العادة في اضرابه وانما هو كقول الشاعر:

رب ليل أمد من نفس العاشق طولا قطعته بانتحاب

ونحن نعلم ان نَفَس العاشق بالغا ما بلغ لا يمتد امتداد أقصر أجزاء الليل، وان الساعة الواحدة من ساعاته لا تنقضي الا عن انفاس لا تحصى كائنة ما كانت في امتدادها وطولها وانما مراد الشاعر ان الليل زائد في الطول على مقادير الليالي، كزيادة نفس العاشق على الانفاس. فهذا وجه لا يرى به بأس في تصحيح المعنى.

وأخيرا يصرح القاضي في هذه المسائل الفكرية بقوله «وان

أبو هلال العسكري

هو أبو هلال الحسن بن عبدالله. أديب معروف من الأهواز درس ببغداد والبصرة وأصفهان. خلف ديوان شعر، وله عدة كتب مثل «التلخيص»، «جمهرة الأمثال»، «مشرح الحماسة»، «الحماسة في تفسير القرآن»، «ما تلحن فيه الخاصة». وفي الأدب له: «معاني الأدب»، «المصون»، وله في الأخبار: «من احتكم من الخلفاء الى القضاة»، «الأوائل». وفي البلاغة: «الصناعتين: النظم والنثر»، وهو أهم كتبه اذ عالج فيه المعاني والألفاظ وحسن النظم والايجاز والاطناب والسرقات والتشبيه والسجع والازدواج والبديع. توفي عام ١٠٠٥هـ.

الأصمعي

هو عبد الملك الباهلي الأصمعي. ولد عام ٧٤٠هـ وتوفي عام ٨٣١هـ. لغوي. ولد ومات بالبصرة. درس الحديث، طاف بالبوادي فصار حجة في الاخبار والنوادر واللغة والشعر. عرف بكثرة الحفظ ورواية الشعر. نالت رواياته من التوثيق اكثر مما نالت مرويات غيره.

ألف الكثير من الرسائل اللغوية الصغيرة. وينسب اليه كتاب تاريخي، وأهم ما وصل من كتبه والتي أعتمد عليها كل من جاء بعده من اللغويين: (خلق الانسان)، و (فحولة الشعراء)، و (الأصمعيات) وهي اثنتان وتسعون قصيدة ومقطوعة من الرجز اختارها لواحد وسبعين شاعرا جاهليون ومخضرمون واسلاميون.

كان من الرأي الا يؤخذ الشاعر بهذه الدقائق الفلسفية، ما لم يأخذ نفسه بها، ويتكلف التعمل لها، فيؤخذ فيها حينئذ بحكمة، ويطالب بما جنى على نفسه».

ونحسب أن هذا التفريق بين مجالات التفكير العلمي والتفكير الفني محتاج الى تفصيل في بحث خاص.

ونعود الى المعاني الادبية والى الينابيع التي تستقي منها، لنرى من هذه المعاني ما يستفاد بالخبرة والتجربة وحشد الذهن بألوان المعارف والثقافات التي تفتق العقول، وتشحذ الاذهان ومنها ما هو طبيعي يرجع الى خصائص الجنس، والى عوامل البيئة والوراثة وغيرها من العوامل التي تؤثر في التجارب، وفي اختراع المعاني وتوليدها، وفي تأليف الصور، وهي تختلف من جنس الى جنس، ومن أديب الى أديب..

الأديب المثقف .. والأديب الغفل

... الأديب المثقف والاديب الغفل من

لا عهد لهم به. و**(الغرابة) في طليعة العوامل التي تجذب الانتباه**، وتنشط العقول والقلوب، وتثير شعور الاعجاب، **كما ان (الألفَة) تغض كثيرا من قيم الاشياء**، ولاسيما في عالم الفنون. **ولا يوصف شيء بالجدة الا اذا كان فيه قدر من الغرابة وبالاضافة الى ذلك فان هذه «الجدة» أو «الغرابة» مقياس من اهم المقاييس التي تقاس بها عبقرية الأديب، وقدرته على الابتكار واثبات اصالته وفقدها سبب في وصفه بالعجز أو التقليد والاتباع**، وكلاهما يهوّن شخصيته الفنية.

وحديثنا في هذا المجال عن «القوى العقلية» في الفن الادبي يشمل الحديث عن «**القوى المخيلة**» لانها منابع المحتويات والمضمونات التي تصب في القوالب الادبية، والاختلاف بين الناس في التفكير كاختلافهم في القدرة على التخييل، ولهذا «التخييل» اثره في الاعمال الادبية بعامة، وفي فن الشعر بخاصة.

الثالث: القوى التعبيرية

مقومات شخصية الأديب

صياغتها..

ذلك **ان الادب ليس تعبيرا عن معان ومضمونات ايا** كانت هذه المعاني والمضمونات لان اصحاب اللغة جميعا يعبرون عن اغراضهم، وعن كل ما يعن لهم التعبير عنه، وانما هو تعبير جميل ذو خصائص يتميز بها عما ألف الناس في تعبيرهم عن هذه الاغراض والمقاصد..

والتفاوت بين الادباء انما ينشأ عن تفاوتهم في القدرات البيانية التي يبلغ بها الكلام غايته من الاعجاب والتأثير، وذلك ما عبر عنه **(فولتير)** في قوله ان الاشياء تؤثر فينا – في الأغلب – من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي تصب فيها لان [illegible] المجاز كالواحده بوجه [illegible] التقريب، ولكن الاسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب.

بل ان المعاني المتوسطة في الجودة، تلحق بالمعاني الجيدة النادرة اذا استطاع الاديب ان يكسوها كسوة ممتازة، ويعرضها في معرض انيق.

واذا كان من نقاد العرب من اكد هذه الفكرة وفي طليعتهم **أبو عثمان الجاحظ وابو هلال العسكري** في مواضع كثيرة من كتابيهما، فان كثيرا من نقاد الغرب ينحون هذا المنحى في تقدير التعبير الادبي واداته اللغة ليس غير، وهم مع تقديرهم للمضمونات الادبية يلحون الحاحا ظاهرا على ضرورة توافر الجمال الحسي الذي يبدو في الاداء اللغوي وفي القوالب والاشكال .. والقاعدة عند «**لاسل أبركرمبي**» الناقد الانجليزي المعروف هي انه **كلما عظم «الالهام» تطلب قوة فنية اعظم، لكي تعبر عنه،** لان التجربة اذا كبرت وسمت لابد لها من مقدرة على (التعبير) اسمى وأكبر لكي تحيلها الى عمل أبي يمثلها تمثيلا صادقا.. ثم يقول ان كبار المؤلفين من أمثال **هوميروس ودانتي وشكسبير وملتن** لم يستطيعوا ان ينقلوا الينا اعظم التجارب واسماها الا لأنهم رزقوا اكبر مقدرة على التعبير اللغوي .. ومثل هذا يؤكده الفيلسوف «**جورج سانتيانا**» في كتابه «**الاحساس بالجمال**» الذي يقول فيه ان النحو عندما يظهر تركيب الكلام انما يظهر تركيب الفكر، وطريقة تسلسل المقولات التي عن طريقها يفهم العالم .. ولما كان تطور اللغة يوازي تطور الفكر فاننا نجد ان وظيفة اللغة هي التعبير الدقيق عن التجربة..

ويرى ان لغة الشعر ضرب من الموسيقى، وما توجده من آثار جميلة انما يرجع الى تركيبها، والى كونها تخلع شكلا غير متوقع على التجربة حينما تتبلور في صور جديدة.

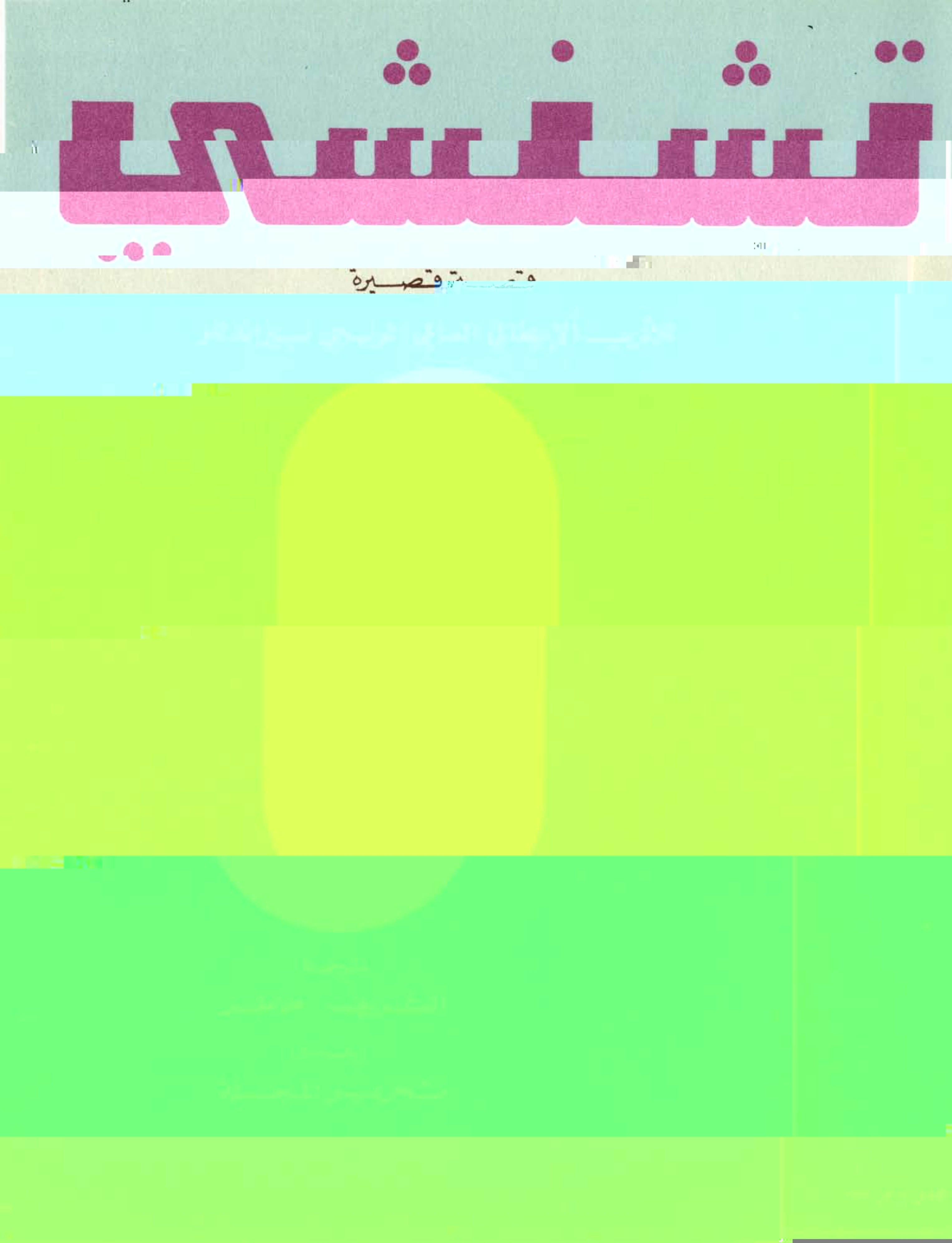
ثم يقسم الشعراء الى طبقتين:

* **طبقة الشعراء الموسيقيين** وتتكون هذه الطبقة من الذين يسيطرون على اللغة بوصفها «**ايقاعا**» **فيعرفون متى يجمعون الانغام ومتى يفردونها على تتابع. وهؤلاء يستطيعون ان يولدوا آلافا من ضروب التأثير الرائعة المختلفة عن طريق تنسيق الاصوات والصور والتدرج بالعاطفة والانتقالات اللفظية المفاجئة. ونجد امثلة لهذا الفن في خطابة «شيشرون»** وفي شعر الحكم، وفي القصائد الغنائية، وفي الشعر القصصي.

* **طبقة الشعراء النفسيين** (السيكولوجيين): وهؤلاء لا يولدون تأثيرهم عن طريق ما في اللغة من كمال ذاتي وانما عن طريق تكييفهم اللغة للموضوعات تكييفا دقيقا .. والشعراء المسرحيون هم خير من يمثل هذه الطبقة من الشعراء (السيكولوجيين).

وايا ما كان الامر فقد رأينا الاشادة باللغة أو القدرة التعبيرية والدور الخطير الذي تؤديه في بناء الاعمال الادبية سواء عند الشعراء الموسيقيين او الايقاعيين، وعند الشعراء النفسيين الذين يكيفون اللغة لمقتضيات اعمالهم القصصية أو المسرحية، كما يوحي بها تصورهم للمواقف ودلالة الحوار على ما يدور في اعماق الشخصيات.

ولن يستطيع هذا أو ذاك ان يحقق شيئا من غايته في التأثير أو الامتاع او الاقناع الا عن طريق الثروة اللغوية أو القوة البيانية التي ينبغي ان يكون على حظ عظيم منها، وقدرة فائقة على التصرف فيها..


قصيرة

لويجي بيراندللو:

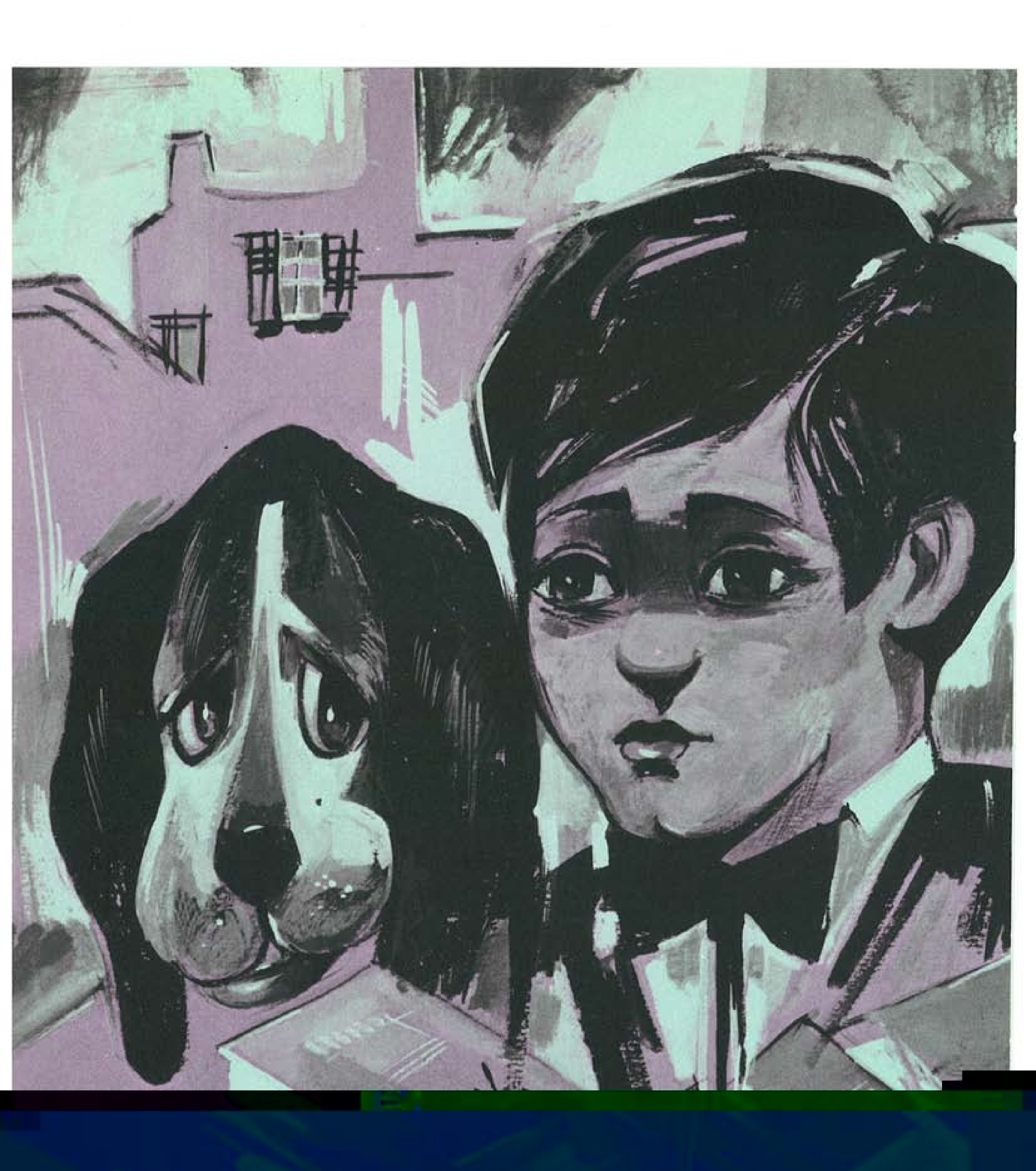
(١٨٦٧ - ١٩٣٦م) شاعر وروائي ومؤلف مسرحي ايطالي. فاز بجائزة نوبل ١٩٣٤م. كان أستاذا للأدب الايطالي بكلية البنات الأهلية بروما. بدأ ينظم الشعر، ثم اتجه الى كتابة الرواية والقصة القصيرة. أعظم مسرحياته التي حققت له شهرة فائقة (ست شخصيات تبحث عن مؤلف) ١٩٢٢م وقد ترجمت الى العربية. و (الليلة نرتجل التمثيل) وكذلك (هنري الرابع).

بلغ انتاجه الأدبي حوالي ثلاثمائة قصة قصيرة، وست روايات، وخمسين مسرحية. تتميز قصصه ومسرحياته بالعمق الفلسفي. وقد ترجمت أكثر رواياته ومسرحياته الى لغات عدة منها اللغة العربية. كما قدمت بعض مسرحياته في بعض دول الوطن العربي.



في صبرٍ وأناة، جلس الكلب على رجليه الخلفيتين أمام الباب الموصد، منتظرا حتى يفتح الباب ومن حين لآخر، كان يرفع قدمه الأمامية، ويدق على الباب، ولا يتوانى عن إصدار عواء خفيض بين كل فترة وأخرى.

ولما عاد (تشنشي) من المدرسة، بكتبه المربوطة بعضها الى بعض، والمعلقة على أحد كتفيه، وجد أن الكلب لا يزال بالباب، فما كان منه إلا أن ركل الباب بكل ضيق، مع علمه بأن الباب موصد، وأن أحدا لا يوجد بالبيت، وأخيراً لم يجد



رابعاً في اللعبة؟

أجل لقد كان الكلب يقفز لدى كل رمية، وينبح مع كل ارتدادة لربطة الكتب. وقف الناس يتفرجون بعضهم كان يبتسم غصباً، سواء بسبب حماقة اللعبة أو بسبب بهجة الكلب، والبعض الآخر كان يستشيط غضبا لرؤيته كتباً غالية الثمن تمتهن كل هذا الامتهان.

وعندما شعر تشنشي بالتعب من جراء اللعب، ألقى بكتبه على الأرض، وراح يجلس مستنداً الى الحائط وكان ينوي ان يجلس فوق الكتب، لكنها انزلقت من تحته. فما كان منه إلا أن هوى بكل ثقله قاعداً على الأرض، فتطلع حواليه بتقطيبة لا تخلو من الشراسة، بينما قفز الكلب الى الوراء.

كانت الشقاوة كل الشقاوة التي مرت برأس تشنشي ترتسم بوضوح واضح على شعره الأصفر بلون التبن، وعينيه الخضراوين المتلألأتين. كان في سن [illegible]. أحمقاً في تفكيره، مندفعاً في سلوكه، وعندما جلس على الأرض سال منه مخاطه. وكان قد نسي منديله لدى عودته الى المدرسة بعد الظهر. فظل مخاطه يسيل من منخره. أما ساقاه الطويلتان الممدودتان أمامه، فقد كشفتا عن أنه لا يزال يرتدي بنطلوناً قصيراً، رغم أن هذا البنطلون القصير لم يعد يتناسب مع سنوات عمره. وأما ركبتاه القرفصتان فكانتا بارزتين وفي مستوى وجهه تماما. يبقى الحذاء الذي كان يلبسه، والذي بدا مستهلكا بما فيه الكفاية لأن الحذاء .. أي حذاء لا يمكن أن يصمد في وجه المعاملة التي يلقاها منه.

شعر تشنشي بالضيق، وبدا عليه الضجر والحزن، فضم ساقيه الى صدره وتمخط، ثم سحب ظهره من على الحائط، ونهض واقفا، استعدادا للرحيل، ولكن الرحيل الى أين؟ .. الى أين يرحل؟ والى أين يتجه؟

لنتمشى قليلا في ربوع الريف، عسانا نقتطف ثمرة أو ثمرتين من ثمار التين أو التفاح؟

وعلى الرغم من أن تشنشي لم يكن واثقا من إمكان حصوله على مثل هذه الثمار، إلا أنه تناول كتبه في تكاسل وبلادة، ووضعها فوق كتفه.

كان الطريق المعبد ينتهي به الى بيته، أما الطريق الذي يقوده الى أعماق الريف فلم يكن بالطريق المعبد أو المرصوف، ولكن .. ياله من إحساس رائع أن يركب الإنسان عربة تجرها الخيل، فيصغي لصوت حوافر الخيل، وقعقعة العجلات وهي تعبر من الطريق المعبد الى ذلك الطريق المترب .. حيث لا صوت لعجلات العربة ولا لحوافر الجياد، فالأرض المتربة امتصت كل صوت وابتلعت كل ضجيج.

وسرعان ما استعاد تشنشي صورة المدرس عندما يستشيط غضبا، وفجأة يتحدث بهدوء بالغ وصوت رقيق، فيتلاشى التهديد، ويتبخر الوعيد. ولكنك ياتشنشي، لكي تصل الى قلب الريف، عليك أن تقطع تلك الطريق المتربة تاركاً وراءك مجموعة البيوت التي تقع في تلك الضاحية الوضيعة، الى أن



تنفرج بك الطريق فتجد نفسك في ميدان صغير خارج حدود المدينة، بنيت فيه مستشفى حديثة، ما زالت حوائطها البيضاء نظيفة، تبهر البصر في وهج الشمس.

هذا المستشفى هو الذي استقبل منذ فترة وجيزة كل مرضى المستشفى القديم، استقبلهم وهم محمولين على النقالات، وفي داخل العربات، وكان الاستقبال بمثابة احتفال تتقدمه عربات المستشفى بستائرها التي ترفرف على نوافذها الصغيرة، ومن ورائها الحالات المحمولة على نقالات جميلة مصنوعة من الشباك.

بعد مرور فترة من الزمن، كان تشنشي وكلبه قد وصل الى الميدان وكان الوقت قد أمسى متأخرا، فالشمس غابت في الأفق، والناقهون من المرضى راحوا يطلون بقمصانهم الرمادية وأرديتهم البيضاء من فتحات النوافذ الكبيرة، وقف تشنشي حائرا، تملؤه مرارة بائسة فراح يستند الى سياج قديم متفكرا في الكثير من الأمور التي لم يستطع إدراكها: في طليعة هذه الأمور .. أمه .. كيف كانت تعيش، وعلى من كانت تعتمد في معيشتها؟ إنها لم تكن تتواجد بالبيت على الاطلاق، كما انها

أصرت على الحاقه بتلك المدرسة. تلك المدرسة اللعينة. التي كانت بعيدة جداً عن بيته. فكان لزاما عليه أن يجري كل يوم نصف ساعة على الأقل لكي يلحق بميعاد المدرسة. ثم يعود في الظهر لكي يرجع ثانية الى المدرسة. دون ان يتمكن من ازدراد بلعتين من الطعام. ومع ذلك لم يكن يسلم من اتهام أمه له بالصعلكة وتبديد وقته في اللعب مع الكلب.

كانت توبخه دائماً. وتنعته بالقذارة. وتنعى عليه انه لا يذاكر ويقتصد من النقود التي ترسله بها لشراء الطعام. فلا يحضر لها شيئا من الطعام الطازج ولكن .. أين فوكس؟



قطب تشنشي جبينه في عبوس. وهو يسير الى اعلى التل. كانت هناك أمور أخرى لا يود أن يفكر بها على الاطلاق. منها مثلا والده الذي لم يكن يعرف عنه شيئا بالمرة. عندما كان صغيرا قيل له ان والده قد مات قبل ان يولد. لكن أحداً لم يقل له من كان ابوه. ولذا لم يعد يهتم بالسؤال. ربما كان هو ذلك الكسيح القابع هناك وقد أقعده شلل جانبه الأيمن. فراح يجر نفسه جرا. حتى يصل الى حجرة الصالون. حيث يقبع فوكس. فيأخذ في النباح لأنه يكره رؤية عكازه.

ما لكل اولئك النسوة اللائي يتحلقن في دائرة يتفرجن على شيء ما. بطونهن منتفخة لكنهن جميعا لسن حوامل. ربما كانت واحدة فقط بينهن هي الحامل. تلك التي تعلو بطنها الى الأمام. وتكاد تجر نفسها جراً وهي تمشي على الأرض. وتلك الاخرى التي تحمل طفلاً بين ذراعيها. الطفل يمسك بمعطفها وهي تصيح أوه. ياللقطعة الصغيرة من اللحم!

كانت أمه جميلة. ولا تزال شابة وعلى جانب من الجمال. ولقد أرضعته من ثدييها عندما كان طفلا سواء تحت سقف بيتها



الصغيرة التي اقتلعتها حوافر الحمير التي تعبر الطريق يوماً بعد يوم، وفي كل يوم يزداد انحدار الطريق، ركل تشنشي حجرين بطرف حذائه، ورآهما وهما يطيران في الهواء، وكان الجانب الآخر من الطريق مغطى بزهور الأقحوان. فجمع بعضا من هذه الزهور حتى تجمعت في يده صحبة من الورد، وخطر على بال تشنشي المثل الشعبي القائل «بأنك اذا قذفت بهذه الورود أحداً من الناس، ولصقت به وردة أو أكثر، فإن عدد زيجاته ستكون بعدد ما لصق به من ورود، ولم يجد تشنشي أمامه سوى

كلبه فوكس لكي يرميه بصحبة الورد، ياللعجب .. سبع زوجات يافوكس، لقد لصقت بشعرك كل الزهور!

أما فوكس ذلك الصامت، فقد وقف في مكانه، وعيناه مغلقتان، غير فاهم للنكتة التي أطلقها سيده، بخصوص زوجاته السبع.

وشعر تشنشي بالتعب، وبعدم رغبته في مواصلة السير، فاتجه الى يسار الطريق وجلس على حافة السور يتطلع الى وجه القمر، وهو يبزغ على مهل، وضوءه الشاحب يسطع على صفحة السماء، المشوبة باللون الأخضر، فإذا به يرى ضوء القمر ولا يراه، تماما كتلك الأشجار التي تتدافع على ذهنه الواحدة وراء الأخرى، فتنأى بفكره بعيدا عن جسده الصغير، ويظل هكذا .. شاردا بفكره، غير شاعر بجسده الا بعد فترة طويلة من الزمن، فإذا ما حدث له ان وضع يده على ركبته او على قدمه المتسخة، او على حذائه المهترئ، بدت له هذه الأجزاء من جسده، وهذه الأشياء التي فوق جسده، وكأنها جميعا غريبة عنه.

وهكذا يظل تشنشي بعيدا عن جسده، مندمجاً في كل هذه الأشياء التي يراها ولا يدركها، السماء المعتمة وقد غاب عنها ضوء القمر، الأشجار الداكنة وقد لفتها عباءة الظلام، الأرض السوداء الحديثة الاستزراع التي لا تزال تفوح منها رائحة العطر.

وفجأة، على حين كان تشنشي مستغرقاً في أحلام اليقظة، رفع يده الى اذنه بحركة تلقائية عندما جاءته من أسفل السور ضحكة صغيرة، ضحكة صبي ريفي في مثل عمره، أخفى نفسه وراء السور، بعد ان اقتطف بعض أوراق الأقحوان وصنع منها حبلاً، جعل من نهايته انشوطة، وراح يرمي بها خلسة حول أذن تشنشي.

وحين التفت تشنشي، اشار عليه الصبي أن يبقى ساكناً في مكانه، واذا به يلقي بالأنشوطة على طول الحائط، ثم يحطمها فوق رأس سحلية صغيرة كانت تطل من بين الأشجار وكان الصبي يحاول اصطيادها منذ فترة طويلة، ومال تشنشي بجسده ليشاهد الأمر ولكن السحلية دونما وعي دفعت برأسها قليلا الى داخل الأنشوطة ولكنها الدفعة التي لا تمكن الصبي من الإطباق عليها بالأنشوطة، لذا كان لزاما عليه ان يتمالك نفسه، فلا تهتز يده والا انزعجت السحلية ولاذت بالفرار.

أجل .. أجل .. لقد استطاع الصبي أن يشد الحية في الوقت المناسب تماما، واذا بالسحلية ترتعش مثل السمكة في نهاية الحبل الطويل، وقفز تشنشي بشغف من فوق حائط السور، ولكن الصبي خشي أن يختطف منه السحلية، فراح



يطوح ذراعه الممسكة بالحبل عدة مرات في الهواء، حتى ارتطمت السحلية بحجر كبير ملقى على الأرض وصاح تشنشي على الفور «لا .. لا ..» ولكن متى؟ بعد فوات الأوان!

وبلا حراك استقرت السحلية فوق الحجر، وبطنها البيضاء تلمع في الضوء، غضب تشنشي، فكم كان يود هو أيضا بدافع من غريزة الصيد التي ترقد فينا جميعا، أن يرى السحلية وهي في المصيدة، لكن أن تقتل. هكذا دون أن يتمكن من القاء نظرة عن قرب الى عينيها الصغيرتين السريعتي الحركة، فهذا مما يجعله يفقد صوابه، ويتجه الى الصبي بعد ان القى نظرة على السحلية وهي تصدر تشنجاتها الأخيرة، وقد انتابت الرعشة أرجلها الصغيرة وشملت كل جسدها الأخضر. اتجه تشنشي الى الصبي فدفعه في صدره دفعة قوية طرحته على الأرض، فما كان من الصبي إلا ان نهض على الفور وملأ يده بحفنة من التراب قذف بها تشنشي في وجهه، فجعلته لا يستطيع ان يرى ما حوله، وعلا الغضب وجه تشنشي، وأهاجه طعم التراب في فمه فقبض على قطعة من الطين وقذف بها الصبي فنشب بينهما الشجار، وكم كان شجاراً ضارياً!

كان الصبي الريفي أسرع من تشنشي وأكثر تحكما في رمياته، لم يخطئ في رمية من الرميات، وإنما كان في كل رمية يقترب أكثر وأكثر وهو يقذف بقبضات الطين التي لا تجرح، ولكنها تلسع وتضرب بعنف وتقع كالمطارق على صدر تشنشي وعلى وجهه وعلى شعره وأذنيه وحتى حذائه، حتى غدا محاصراً غير قادر على حماية نفسه أو الدفاع عنها فما كان منه إلا أن قفز في اتجاه حائط السور، ويداه مرفوعتان لينتزع حجراً، وفجأة مرق بجواره شيئ ما لا يدري ما هو بالضبط هل كان فوكس؟ لا يدري! كل الذي يدريه أنه انتزع الحجر من حائط السور، ودون أن يدري ماذا حدث، هوى به على رأس الصبي، وسكن كل شيئ وبدا الزمن ذاته، وكأنما قد توقف عن الحركة، وعلاه الذهول أمام مرأى الصبي الصغير الممدد على الأرض.

وراح الصبي في غيبوبة، صدره يتنفس ببطئ، وقلبه يدق بفتور، فاجتاح تشنشي الذعر وهو لا يصدق ما حدث، ولا يصدق أيضا أن هذا الريفي سيستعيد وداعته تحت ضوء القمر.

إنه لم يفعل ذلك عن قصد، لم يقصد أن يفعل ذلك بل هو لا يدري ماذا فعل؟

واقترب من الصبي بدافع من الفضول وحب الاستطلاع، اقترب خطوة في إثر خطوة ثم انحنى فوقه ليراه، كانت رأس الصبي مبطوحة، والدم يتساقط من فمه على الأرض، وجزء من ساقه تعرى .. جزء بين الشراب القطني ورجل البنطلون.

بدا الصبي كما لو كان ميتاً فارقته الحياة، وبدت السحلية ملقاة على الحجر وبطنها الى أعلى، والأنشوطة حول رقبتها، وبدا المشهد كله أمام تشنشي وكأنه حلم، حلم من أحلام اليقظة، أم من أحلام النوم؟

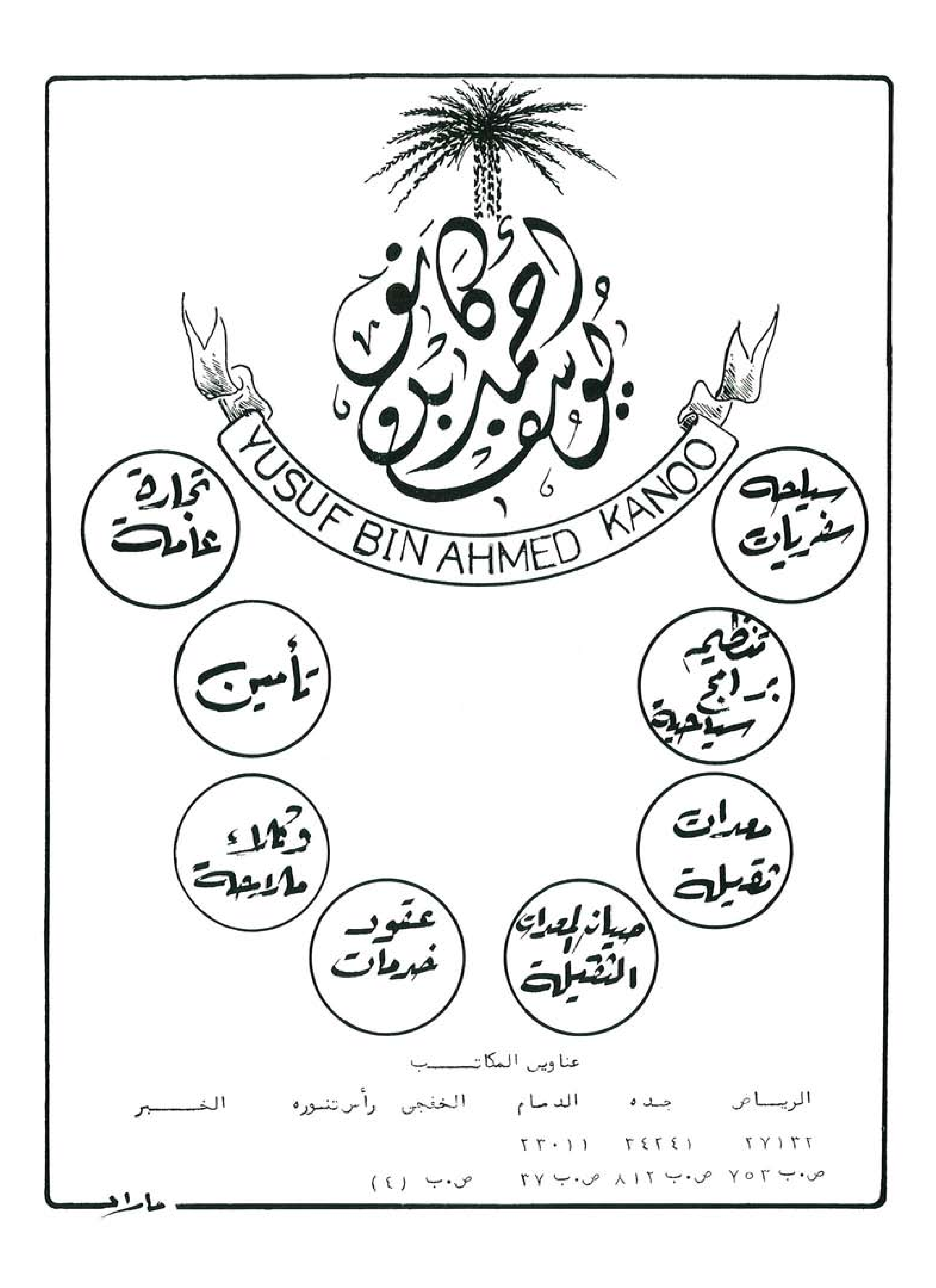
لا يهم وإنما المهم الآن هو ان يفيق تشنشي من هذا الحلم كائنا ما كان، وان ينصرف بسرعة من هذا المكان، وبسرعة قفز تشنشي من فوق حائط السور، والتقط ربطة كتبه، وغذى السير، ومن ورائه كلبه فوكس. وكلما ابتعد عن المكان وهو في طريق العودة، كلما زاد شعوره بالاطمئنان، حتى وصل الى الميدان الخالي، الخالي من كل شيئ الا من وجه القمر، لكنه كان قمراً آخر، قمراً ضوءه باهت لا يسمح الا برؤية واجهة المستشفى البيضاء.

والآن عليك ياتشنشي أن تسير مرة ثانية عبر الطريق خلال الضاحية حتى تعود الى البيت، البيت الذي لم تعد اليه أمك حتى الآن، ولست بحاجة ياتشنشي لأن تقدم لها أية تفصيلات عما حدث، ولا عن المكان الذي كنت فيه، فقط ما عليك الا أن تنتظرها أمام الباب.

واذا كنت تظن ان امك وحدها هي التي ترى في انتظارك امام الباب امراً عادياً وطبيعياً، فعليك انت ايضاً ان تنظر الى الأمر كله بنفس النظرة، والآن كما كنت، واقفاً امام الباب، مستندا بكتفيك الى الحائط. فإنك لا تستحق أكثر من أن تظل هناك ... تنتظر!

أقصوصة




يوسف بن أحمد كانو
YUSUF BIN AHMED KANOO
تجارة عامة
سياحة سفريات
تأمين
تنظيم برامج سياحية
وكالات ملاحية
معدات ثقيلة
عقود خدمات
صيانة المعدات الثقيلة
عناوين المكاتب
الرياض جده الدمام الخفجي رأس تنوره الخبر
٢٧١٣٢ ٢٤٢٤١ ٢٣٠١١
ص.ب ٧٥٣ ص.ب ٨١٢ ص.ب ٣٧ ص.ب (٤)



الدراما التلفزيونية

ودورها في إيجاد قيم وع

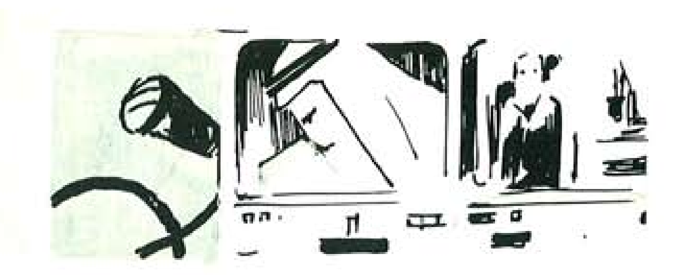




ات جديدة

بقلم: أنعام محمد علي

لما كانت الصورة تعتبر العنصر الأول في التليفزيون، فان برامج التعبير غير المباشر، تهتم بايجاد طريق لها الى عقل وعين المشاهد.



إن اختراع التليفزيون وانتشاره على مدى واسع من النصف الثاني من القرن العشرين دفع بعض المؤرخين لاطلاق صفة «عصر التليفزيون» على هذا العصر بل ان احدث النظريات الأعلامية - نظرية مارشال ماكلوهان - تقول:

«ان النظام الاجتماعي يقوم الى حد كبير على طبيعة وسائل الاعلام التي يتم بمقتضاها الأتصال، وان التحول الاساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات والتغيرات الاجتماعية تبدأ».

في رأيه ان وسيلة الاتصال هي التي ترسم شكل المجتمع وعلاقاته، فبينما ساهم اختراع الطباعة في تجزئة المجتمعات وايجاد اسلوب الحياة «السطرى» تعود وسائل الاتصال الحديثة على رأسها التليفزيون فتحول العالم الى قرية عالمية، كما تقوى تلك الوسائل العودة الى القبلية في الحياة الانسانية، لدرجة انه يقول ان الجيل الذي نشأ في عصر التليفزيون - كل جيل الامريكيين الذين اصبحو الآن يبلغون ٢٥ سنة - يعتبرون من رجال القبائل الجدد، عندهم توازن حسي قبلي، وعندهم العادة القبلية للاستجابة العاطفية للكلمة المنطوقة، فهم ساخنون يريدون المساهمة ويريدون ان يلمسوا ويشتركوا اكثر.

ان الانسان في رأي «ماكلوهان» الذي يستخدم حاسة السمع ليس فرديا بل جزء من وعي جمعي - وهو القائل بان الوسيلة هي الرسالة - لان الوسيلة هي التي تشكل وهي التي تسيطر على مدى الارتباط البشري وشكله على العمل البشري.

ولسنا في مجال الجدل او عدم التيقن لما يتوافر بهذه الوسيلة الجديدة للاتصال الجماهيري من امكانيات كبيرة واذا كانت الكلمة المسموعة أيسر من الكلمة المكتوبة.

(وخصوصا في المجتمعات التي تصل نسبة الامية فيها الى اكثر من ٧٠٪)، فلاشك ان مصاحبة تلك الكلمة المسموعة بالصورة الحية المتحركة يجعلها اكثر يسرا واشد جاذبية وقدرة على شد الانتباه. من هنا يصبح للاذاعة المرئية (التليفزيون) قدرة خارقة على الاقناع.

وتتميز وسيلة التعبير بالدراما عن غيرها من وسائل التعبير الاخرى (وسيلة الخبر - الحوار - الريبورتاج - الفيلم التسجيلي - البرنامج التعليمي - الاغنية - الموسيقى) بانها اكثر قبولا لدى نفسية المشاهد، اذ ان المعالجة الدرامية بامكانها ايهام المتفرج بالواقع وتجسيد ذلك في شكل ديكور وملابس وشخوص ومواقف درامية يرى فيها المشاهد نفسه، ثم محاولتها كشف الاشخاص امام انفسهم، وعن طريق التوحد يرى المشاهد نفسه وكأنه هو الذي يحدث له نفس الشيء فيبدأ في اعادة التفكير في الكثير من سلوكه السابق واعادة ترتيب قيمه ومعاييره ولكن ليس هذا بالامر الهين - فلقد ثبت ان لا كثرة وسائل الاعلام ولا مضاعفة الوسائل والقنوات - تحدث بالضرورة زيادة مقابلة في تغيير سلوك وعادات المشاهدين. وانما للطريقة التي تؤدي بها دخلا في فاعليتها فقد تؤدي الطريقة التي يعالج بها الموضوع الى عدم وصول الهدف المرجو منه كما يجب للمشاهد، ويحدث هذا غالبا عندما يكون المستقبل خارج الاطار الدلالي للمرسل، او قد تساعد هذه الطريقة في المعالجة عوامل التدعيم النفسية لدى المشاهد فتزيد من تدعيم افكاره وتقويتها.

وربما تؤدي ايضا هذه المعالجة الى تنشيط العوامل الانتقائية فيندفع المشاهد الى مقاومة التغيير محافظة على توازنه النفسي. وقد تتردى المعالجة لموضوع ما في السطحية والسذاجة مما يدفع المشاهد الى السخرية منها والاعراض عنها. فنجاح وصول مضمون الدراما التليفزيونية يتوقف الى حد كبير على القالب او الشكل الذي صبت فيه - من حيث السيناريو - او طريقة تفسير النص وتنفيذه (الاخراج).

النص التليفزيوني (السيناريو)

عند كتابة النص التليفزيوني لبرنامج درامي يهدف الى تغيير يوضع في الاعتبار ان هذا العمل يندرج تحت ما يعرف بالدراما الموجهة، ومن هنا تعطى البطولة للمضمون المراد ابرازه، بحيث توضع كل العناصر في خدمة المضمون ابتداء من كتابة السيناريو الى كل ما يتعلق بتنفيذ هذا النص.

وقد وجد ان شكل «الاسرة» من أنجح القوالب التي تقدم فيها هذه الموضوعات باعتبار ان هذا القالب يتوافق مع طبيعة التليفزيون كجهاز منزلي، كما انه لما كانت الاسرة هي الخلية الاولى للمجتمع فمن الممكن ان تتوافر في شكل «العائلة» المرونة الكافية لاستيعاب كل الافكار التي يراد صبها في البرنامج، سواء تلك الموجهة للاسرة ككيان قائم بذاته او فيما يتعلق بعلاقتها بالمجتمع وانعكاس ما يحدث فيه عليها. وفيما يتعلق برسم الشخصيات نجد انه لابد ان يتوافر فيها قدرتها على الخروج من التخصص الى التعميم.

وتختار الاحداث بحيث تتحول الشاشة الى مرآة يمارس المشاهد نفسه فيها واقع حياته اليومية وليس أمام احداث مصنوعة تحكمها الحبكة المنطقية (بداية - وسط - نهاية) لان واقع الحياة الفعلي يتنافى مع هذه الحبكة المنطقية.

ولهذا فمن المستحسن ان تعالج هذه الموضوعات دراميا فيما يعرف بدراما المواقف، التي تربط فيما بينها وحدة الفكرة او فيما يعرف بتعبير آخر (بالريبورتاج الدرامي) الذي يقوم على نقص تفاصيل واقع الحياة اليومية والاختيار من بينها لما يمكن تعميمه وصياغته فنيا وقد يستخدم (كسر الايهام) في النص التليفزيوني الدرامي لمثل هذه البرامج للوصول الى علاقة سريعة ومباشرة من المشاهد.

الاخـــــراج

كما سبق ذكره فان كل عنصر - في مثل هذا النوع من البرامج - يجب توظيفه لخدمة المضمون.

فاختيار الممثلين لهذه البرامج يحسن الا يكون من بين النجوم المشهورة، اذ ان النجم المشهور غالبا ما يكون سجين دور معين من الصعب تحريره منه، كما انه عادة «يسرق» الكاميرا من (المضمون) فيصبح اهتمام المشاهد منصبا على حركات وسكنات النجم - ملابسه وتسريحة شعره - ويتقهقر (المضمون) الى المقام الثاني بعد النجم، بل ان بعض النجوم لشدة نجوميتهم - يلغي وجودهم وصول أي مضمون الى المشاهد.

ان الممثل «الجديد» يساعد عادة في





«الايهام» بالواقع ويخضع لكل ما تتطلبه الشخصية من أداء وملابس ومكياج.

ان حرفية الاداء التمثيلي الذي يغلف عادة بعض التمثيليات التليفزيونية ويطبعها بطابع المبالغة – هذا الاداء لا يصلح لتمثيل تلك البرامج الدرامية التي تعالج هذه الموضوعات حيث قد يختفي المضمون خلف الصراخ او الانفعال الزائد عن الحد. ولهذا يجب ان تسود البساطة، حتى عندما تحتد المناقشة في بعض المواقف فيجب الا ينسى انها مناقشة داخل منزل لا يجب ان يزيد احتدادها عن قدر محسوب.

ان الاداء التمثيلي في مثل هذا النوع من البرامج يجب ان يوهم المشاهد بان ما يراه هو الواقع ولكن دون أن يؤدي هذا الايهام الى تخديره فالمطلوب هو جذب المشاهد الى البرنامج ولكن المطلوب ايضا مشاهد مفتوح العينين لا مفتوح الفم.

وقد يستخدم احيانا اسلوب الاداء التمثيلي المباشر الموجه للمشاهد لكسر الايهام. ويمكن ان يتم ذلك بمخاطبة المشاهد نفسه او توجيه الكلام الى شخصية توضع في الكادر مكان المشاهد.

ان المنطق. وربط كل عنصر بمضمون البرنامج، ورد كل شيء الى واقع الحياة اليومية. هي الاسس التي يقوم عليها استخدام عناصر الديكور والملابس والماكياج.

واكثر المشاهد حرارة تلك التي تدور في حجرات المنزل ولا يجب ان يوجد (خاتم سحري) ينقل شخصيات البرنامج لسكنى في الفيلات والقصور ويجعلهم يعثرون على الشقق بسهولة في افخم العمارات. وليس من الممكن حصر الاستخدامات التي يوظف فيها



الديكور لخدمة المضمون في مثل هذه البرامج.

وما ينطبق على الديكور في هذا الخصوص نجد انه ينطبق على الملابس، فارتداء الشخصيات لملابس بسيطة – كالتي يرتديها المشاهد وهو يشاهدهم، يسهل على تلك الشخصيات في معظم المواقف ان تختلط بالمشاهد دون ان يشعر ادنى غربة بينه وبينهم.

واذا كان الماكياج يعتبر احد العناصر التي تسيء الى معظم البرامج التليفزيونية خاصة بالنسبة للممثلات والمذيعات، حيث تتسبب المبالغة في التجميل وتصفيف الشعر واستخدام الباروكات – تتسبب عادة في افساد ان لم تكن الاطاحة بكل ما رسمه المؤلف والمخرج للشخصية. الا ان هذا العنصر في برامج المرأة المعالجة دراميا، يجب استخدامه بقدر محسوب لخدمة المضمون. فالبساطة والاعتماد على الشكل الطبيعي للممثل – في حدود متطلبات الاضاءة والكاميرات التليفزيونية – يساعد على اقناع المشاهد – وبالتالي تقبله تماماً لما تطرحه عليه الشخصيات من افكار.

ولما كانت الصورة تعتبر العنصر الاول في التليفزيون. فان برامج التعبير غير المباشر هذه تهتم بايجاد طريق لها الى عين وعقل المشاهد باستخدام الحركة التي تجعل المشاهد يتوهم تطابق البرنامج مع واقع الحياة اليومية. وكما سبق القول يشعر كما لو كان ينظر في مرآة وليس في جهاز يؤدي فيه الممثلون ادوارا سبق رسمها لهم.

والاحداث عندما تدور في حجرات المنزل والشخصيات تؤدي ادوارها بينما هي تأكل وتخلع ملابسها وتلبسها وتستعد للنوم او تستيقظ منه، والحركة تنساب من حجرة الى اخرى – ان هذا باختصار حياة يومية تنقلها الكاميرا كوسيط محتف، ففي هذا النوع من البرامج لا يحتاج الأمر الى حركات بهلوانية بالكاميرا ولقطات في غير مكانها وتوقيتها، كذلك فان الايقاع هنا يجب ان يعكس ايقاع الحياة العصرية، ليزيد من تعميق الاحساس لدى المشاهد بان ما يراه هو الواقع، ويظل مشدودا طوال مدة عرض البرنامج، دون ان تتاح له فرصة ملل تجعله ينصرف عن الشاشة – وبهذا يصبح الطريق ممهدا أمام المضمون للوصول الى المشاهد في يسر وسهولة.

ان اللقطة يجب ان تكون دائما «غنيّة» بما تعبر عنه، والتتابع من لقطة الى اخرى يجب ان يكون له خط مرسوم بهدف ابراز مضمون معين.

واذا كان التليفزيون – كما يقول ماكلوهان – (وسيلة اللقطة الكبيرة)، فانه في مثل هذه البرامج – يصبح استخدام (اللقطة الكبيرة) اكثر ضرورة. لان هذه اللقطة بما يتوفر فيها من تركيز وما تقربه من تفاصيل تعمل على الاسراع بتوصيل المضمون. فكم من معان هامة يمكن ان تضيع وسط زحام اللقطات الواسعة

ان جهد الاخراج في هذه «الدراما الموجهة» يجب ان يتضاعف، مستخدما كل الحيل الفنية من اداء تمثيلي رفيع المستوى وحركة تمتلئ بالحيوية وايقاع محسوب بدقة حتى يمكن للمشاهد «ابتلاع» البرنامج بما يحمله من افكار وتوجيهات، كقرص دواء محلى بالسكر.

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١– قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على ثلاث جوائز على النحو التالي:

أ) الجائزة الاولى ٥٠٠٠ ريال

ب) الجائزة الثانية ٣٠٠٠ ريال

جـ) الجائزة الثالثة ٢٠٠٠ ريال

وهناك سبع جوائز اخرى قيمة كل جائزة اشتراك في المجلة لمدة عام.

٢– المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وأرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الأسم ثلاثيا او رباعيا – ان امكن – مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة الى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣– ترسل الاجابات على العنوان التالي:
(الرياض – المملكة العربية السعودية – مجلة الفيصل – ص.ب (٣) المسابقة).

٤– أية اجابة تصل بعد ٣٠ يوما من صدور العدد لا يلتفت اليها.

٥– ننصح بمتابعة اعداد المجلة لان أغلب اسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها.

٦– من حق القارئ ان يشترك باسمه في المسابقة الواحدة اكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

السؤال الاول:

انشأ (دار الندوة) في مكة المكرمة .. وكانت له سدانة الكعبة .. من هو ؟

السؤال الثاني:

في اي عام كانت حجة الوداع ؟

السؤال الثالث:

ايها اصح لجمع مدير: (مدراء .. ام مديرون) .. ولماذا ؟

السؤال الرابع:

حينما يسير اثنان يحمل احدهما العلم الوطني .. ويحمل الآخر علم دولة اخرى .. فأيهما يكون الى اليمين ؟

السؤال الخامس:

اين توجد هذه القصور:

قصر المشتى – قصر الحمراء – قصر غمدان – قصر عابدين – قصر بكنجهام – قصر فارنيزي.

السؤال السادس:

وزير مفوض – قنصل – من وظائف السلك الدبلوماسي .. ماذا يقصد بها ؟

السؤال السابع:

ما هو الميكرون .. والمليمكرون ؟

السؤال الثامن:

يبلغ عدد الصحف اليومية في العالم حوالي (١٣,٠٠٠ – ١٧٥,٠٠٠ – ٢٥٠,٠٠٠ صحيفة) عيّن الرقم الصحيح ؟

السؤال التاسع:

ما هو المعدن الوحيد الذي يوجد على هيئة سائل في درجة الحرارة العادية ؟

السؤال العاشر:

شجرة التفاح .. بعد كم سنة تعطي اولى ثمارها ..

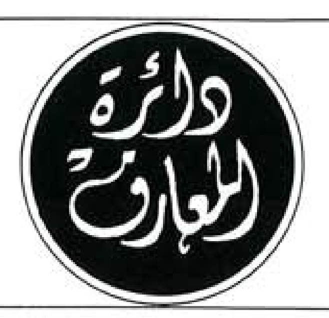
وكم عدد الكيلوغرامات التي تنتجها الشجرة الواحدة ؟

مسابقة مجلة الفيصل
(العدد الثالث)

الاسم: ....

المهنة: ....

العنوان: ....



أ

أبها:

حاضرة مقاطعة عسير، وهي مدينة تتمتع بمناخ طيب وطبيعة ساحرة جعلتها مقصد المصطافين والسياح من مختلف الجهات، حيث ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٢٠٠٠ متر، وهي مدينة ذات تاريخ موغل في القدم، حيث تعود إلى ما قبل الميلاد بستمائة عام، وكانت تسمى آنئذ باسم (**هيفاء**) أو (**ايفا**) وكانت إحدى المدن الكبرى في دولة سبأ، ويحكى أن بلقيس كانت تعتمد عليها في تأمين المواشي اللازمة لقوافلها التجارية.

وتقع فوق مرتفعات سراة عسير التي يبلغ ارتفاعها أكثر من (٢٠٠٠) ألفي متر فوق مستوى سطح البحر. ومن ثم فمناخها ممتاز وتسقط هناك الأمطار من آن لآخر وعلى امتداد شهور عديدة من العام مما يجعلها بقعة غنية بالبساتين والزهور والمزروعات علاوة على استمرار جريان المياه هناك.

ومن أجمل المناطق المحيطة بها مصيف «**السودة**» الذي يمتد الطريق اليه من قلب مدينة أبها بطول ٢٠ كم. وكذلك منطقة «المحالة» (**السفلى والعليا**) ذات الطبيعة الساحرة والتي يؤمها الكثيرون من الأهالي طلبا للاستمتاع بجمالها.



برج أيفل:

أقيم هذا البرج في مدينة باريس - العاصمة الفرنسية - عام ١٨٨٩م. وهو مشهور لدرجة ان اعداداً كثيرة من السياح تتوافد لمشاهدته سنويا. وقد بناه **اسكندر جوستاف ايفل** الذي سمي باسمه.

ويبلغ ارتفاع البرج ٩٨٤ قدما. ولقد كان حين شيد هذا البرج أعلى بناء في العالم. ولكن بعد ٤١ عاما بنيت ناطحة السحاب في نيويورك حيث صارت أكثر منه ارتفاعا وهي (**عمارة كريزلر**) اما الآن فإن عمارة (الإمبايرستيت) تعلو عن برج أيفل حوالي ٣٠٠ قدم.

ويتكون برج أيفل من ثلاثة طوابق وبالقرب من قمته توجد شرفة يستطيع الانسان منها ان يرى الى مسافة ٥٠ ميلا أو اكثر، وبعض الزوار الذين يصلون الى هذه الشرفة قد يصابون بالدوار..

وللبرج فوائد عديدة عدا الناحية السياحية، اذ يستخدم كمحطة للارصاد الجوية. كما ظلت الرسائل اللاسلكية ورسائل الراديو ترسل منه لعدة سنوات. وخلال السنوات الأخيرة كان يستعمل في نقل برامج التلفزيون.



التسجيل التجاري:

صدر نظام التسجيل (**السجل**) التجاري في المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٥هـ حيث يلزم كل مؤسسة صناعية أو تجارية بأن تقوم بإدراج اسمها ضمن الشركات المسجلة بمكاتب السجل التجاري، والقائمة في المدن الرئيسية بالمملكة، ويعتبر ذلك أيضا ساريا على مشروع المؤسسات التجارية الأجنبية والوكلاء السعوديين الذين يمثلونها، أو عند إنشاء وحدات أو فروع إضافية لهم.

وتتم اجراءات التسجيل التجاري بتقديم نموذج الطلب المخصص للتسجيل، بعد استيفاء المعلومات اللازمة مثل اسم المؤسسة وأصحابها وجنسياتهم وحصصهم برأس المال، ونشاطات هذه المؤسسة التي تزمع القيام بها وموقعها.



ثريـــا:

في الفلك عنقود مفتوح في كوكبة الثور، يحتوي على بضع مئات من النجوم، أبعادها من ٣٢٥ الى ٣٥٠ سنة ضوئية، ولكن يظهر منها للعين ستة فقط، أطلق عليها اسم **(الشقيقات)** السبع إشارة الى سبعة أبناء لأطلس، والنجم العنقودي، وتذكر الأساطير أن الشقيقة السابعة مفقودة أو مختبئة، وفي الحقيقة يمكن رؤيتها بالمنظار الفلكي، وربما كانت قديماً أكثر لمعانا بحيث تبدو للعين المجردة.



جمال الدين الافغاني:

محمد جمال الدين الافغاني بن السيد صفدر من بيت كبير في بلاد الأفغان. ولد عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م كاتب وخطيب ومصلح اجتماعي وسياسي. هاجر من بلاده الى مصر واتخذ من بيته في القاهرة ملتقى لتلاميذه ومريديه من طلاب العلم.

أصدر صحيفة **(العروة الوثقى)** مع تلميذه وصديقه **الشيخ محمد عبده**، وترك عددا من الآثار المكتوبة منها رسالته في **(الرد على الدهريين)** و **(تتمة البيان)** وهو مختصر في تاريخ الأفغان، وكتب كثيرا من المقالات في مجلة **(ضياء الخافقين)** التي اشترك في تحريرها وكانت باللغة العربية والانجليزية وقد توفي عام ١٨٩٧م.



الحديـــث:

لغة الخبر، وقد أطلق اصطلاحا على ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله وأحواله أو اعمال الصحابة وأحوالهم، وعلم الحديث هو الدراسة التي تنصب على ذلك، وقد أفرد له الأئمة الأولون علما سموه **«مصطلح الحديث»** ليتوصلوا الى تمحيص ما يروى عن الرسول فيتفقوا على صحيحه الخالص من شائبة التحريف والتصحيف وتمييز الناسخ من المنسوخ. وفي كل حديث **(سند)** أو إسناد يبين الراوي أو الرواة و **«متن»** هو موضوع الحديث، والصحابة هم أول مصدر للحديث ثم يجيئ بعدهم التابعون وتابعو التابعين.

ومن اوائل الكتب التي ألفت في الحديث **موطأ مالك** (ت ١١١هـ) **وابن جريج** (ت ١٥٠هـ) ثم **مجموعة البخاري** (ت ٢٥٦هـ) **ومسلم** (ت ٢٦١هـ) **وابن ماجة** (ت ٢٨٢هـ) **والنسائي** (ت ٣٣٨هـ) **والدار قطني** (ت ٣٨٥هـ) والمعروف ان **عمر بن عبد العزيز** هو الذي دعا الى تدوين الحديث، ولم ينشط هذا التدوين إلا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، حيث بلغ مداه في القرن الثالث بظهور كتب الحديث الكبرى.



الخطابة:

وجدت الخطابة قديماً مع الشعر، وقد برع فيها العرب، وكانت الخطابة أحد أسلحة القبائل للتفاخر والغلبة، وكان الخطيب هو المتحدث عن القبيلة في الجاهلية، فكان لذلك من أشرافها، وتجيئ منزلته بعد الشاعر مباشرة وكان الخطيب يتميز بالفصاحة وجهارة الصوت وعدم التردد وسرعة البديهة والقدرة على الإشادة بالقبيلة.

ومن اشهر الخطباء العرب **قس بن ساعدة الإيادي** اذ يقال انه اول من علا على شرف وخطب عليها، وأول من قال **(أما بعد)** واول من اتكأ على عصا أو سيف عند خطبته، **وأكثم بن صيفي بن رباح** وكان من رؤساء حكام العرب وبني تميم، **وذو الاصبع العدواني** الذي عاش نحوا من مائة وسبعين.

أما الخطبة الدينية فقد عرفت منذ ظهور الإسلام ثم صارت شعيرة دينية في صلاة الجمعة وتسبقها الصلاة في غيرها.



الدرعية:

مدينة ذات تاريخ حافل، ومنها انطلقت بذور توحيد

الجزيرة العربية، تقع قرب **مدينة الرياض** عاصمة المملكة العربية السعودية على بعد حوالي ١٣ كم الى الشمال الغربي.

وكانت الدرعية يطلق عليها قديما اسم **(غبراء)** ثم عرفت فيا بعد باسم **(العودة)** ثم **(عودة الدرعية)** ثم **(الدرعية)** والغبراء اليوم على بعد حوالي ٣ كم الى الجنوب الغربي من قلب الدرعية الحديثة.

والغبراء كما جاء في **(معجم البلدان)** لياقوت الحموي: هي الأرض الحمراء والمقصود بالحمراء الأرض الخصبة، ويرجع سبب خصوبة هذه الأرض الى وادي حنيفة الذي يحتضن الدرعية بين ضفتيه.

وفي عام ١١٣٩هـ/١٧٢٢م استقل **الإمام محمد بن سعود بن مقرن** بولاية الدرعية، واتخذ منها عاصمة لملكه وتبوأت مكانتها منذ هذا التاريخ، وازدهرت بالعمران، ونشطت الحركة التجارية بها، وقد نعمت بأسباب العزة حينما التجأ اليها المصلح الكبير **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** قادما من العيينة، وأصبحت منارة للعلم والدين حيث كان الشيخ ينظم حلقات الدرس بمسجدها الجامع وفي منزله.

والدرعية اليوم تمر بمرحلة هامة من تاريخها المجيد عمرانا .. واقتصادا .. وتعليما .. وقد انشئت مؤسسة علمية باسم **(مؤسسة الدرعية)** مقرها الرئيسي حاليا سويسرا .. وتساهم **مؤسسة الملك فيصل الخيرية** في إنشاء هذه المؤسسة العالمية ذات الصبغة العلمية مهمتها إجراء ابحاث عن إمكانية استغلال الطاقة الشمسية في السعودية.

ذ

الذهب:

عنصر فلزي سهل الطرق والسحب لا يصدأ وتعمل منه أوراق الذهب، أصفر لامع يختلف لونه بمزجه مع معادن أخرى، معروف من الأزمنة القديمة وهو موصل للكهرباء ونشاطه الكيماوي ضئيل، ويعبر عن محتوى الإشابة (الخلط) من الذهب بالقيراط (باعتبار القيراط مساويا لجزء من ٢٤ جزءا بالوزن من الكتلة الملية، ولذا يقال ان الذهب الخالص مساويا ٢٤ قيراطا) والذهب هو الفلز المختار لصنع العملة المعدنية، ويدخل في صناعات عديدة منها: الحلي والأسنان ورؤوس الأقلام.

ر

رابطة العالم الاسلامي:

عقدت وفود العالم الاسلامي مؤتمرا في مكة المكرمة بين ١٤-١٦ ذي الحجة من عام ١٣٨١هـ وقد تدارست قضايا العالم الإسلامي، واتخذت عدة قرارات وتوصيات. ومن هذه القرارات تأسيس هيئة إسلامية مقرها مكة المكرمة تسمى **(رابطة العالم الإسلامي)**.

وتهدف هذه الرابطة الى تبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئها وتعاليمها ودحض الشبهات عنها ومحاهدة المؤامرات الخطيرة التي يريد بها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتمزيق وحدتهم وأخوتهم. والنظر في القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم وحل مشاكلهم..

ويشرف على الرابطة مجلس تأسيسي يقوم برسم سياسة الرابطة، ويجتمع على شكل هيئة عليا دوريا خلال العام بدعوة من الأمين العام.

ويمثل الامين العام الرابطة لدى سائر المراجع الحكومية والشعبية، كما يقوم بالإشراف على تنظيماتها الإدارية وهو المسؤول عن تنفيذ القرارات.

وتصدر الرابطة مجلة شهرية ذات مواضيع وبحوث جيدة باسم مجلة **(رابطة العالم الإسلامي)** وقد صدر العدد الأول منها في ربيع الأول ١٣٨٣هـ.



زرقاء اليمامة:

من بني جديس باليمامة قبل الإسلام .. وكانت مضرب المثل في حدة البصر، لما أقبلت جموع حسان بن تبع الحميري، رأتهم فيما روي من مسيرة ثلاثة أيام، وأنذرت قومها، فلم يصدقوها، فاجتاحهم حسان، يقال لها زرقاء لزرقة عينيها و «**زرقاء جو**» وجو اسم اليمامة، صار اسمها وقصتها رمزا شعريا من رموز الشعر العربي الحديث.



سافكو:

قامت المؤسسة العامة للبترول والمعادن (**بترومين**) بإنشاء شركة مساهمة سعودية للأسمدة تدعى شركة الأسمدة العربية السعودية (**سافكو**) كشركة مساهمة سعودية مركزها الرئيسي مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية، ومهمتها انتاج وتحويل وتصنيع الأسمدة بجميع أنواعها وتسويقها والاتجار فيها داخل المملكة وخارجها، واستغلال الغاز المتوفر في المنطقة الشرقية من المملكة في الانتاج وتحويل وتصنيع الأمونيا والكبريت الخام ومشتقاتها مع تسويقها والاتجار فيها داخل المملكة وخارجها وذلك بإنشاء مصنع لهذا الغرض ومد خط أنابيب الغاز اليه.



شط العرب:

نهر يتكون من التقاء نهري دجلة والفرات، ويصب في الخليج ويبلغ طوله من مصب «**كرمة علي**» حتى الخليج حوالي ١١٠ كم ويكون الحدود المشتركة بين العراق وايران، ابتداء من جنوب البصرة بحوالي ٣٠ كم حتى المصب، وهو صالح للملاحة، إذ تدخله البواخر ذات الغاطس الذي يبلغ حوالي ٩٧٥سم، وتصل الى ميناء البصرة في أثناء المد الذي يرفع مستوى النهر الى ٣٠٥سم تقريبا. وتحيط به بساتين النخيل التي تكون أكبر غابة للنخيل في العالم.



صخور الرخام:

صخر متحول له نسيج حبيبي متوسط، ينتج عن تحول الصخور الجيرية بفعل الحرارة خاصة عند تدخل الكتل النارية فيها، ولونه يتفاوت ما بين الأبيض الى الأسود الداكن وكثيرا ما توجد به عروق معدنية رفيعة لأكاسيد فلزية مختلفة خاصة الحديد. ويكتسب الرخام لونه الجميل، ومنظره الجذاب بعد ما يتم صنعه. وصخور الرخام توجد بكثرة في **المملكة العربية السعودية** وتنتشر في مناطق عدة مع صخور الدرع لحقب ما قبل الكمبرى بمنطقة جبل باديم وفرسان وعفيف وظالم في طريق جدة الرياض، وطريق جدة مكة، المدينة، واستعمالاته كثيرة في عمليات البناء وفي الديكور.



ضمـــير:

اصطلاح نحوي يطلق على الاسم الدال على المتكلم والمخاطب والغائب في مقابل الاسم الظاهر أو المظهر وسماه البصريون المضمر أيضا، أما الكوفيون فسموه الكناية، وينقسم الى منفصل ومتصل، والى ظاهر ومستتر .. واجب الاستتار وجائزه. والى ضمير رفع وضمير نصب وجر، وكل الضمائر مبنية ومعرفة.



الطبري:

أبو جعفر محمد بن جرير، المتوفي سنة ٣١٠ هجرية، والطبري في رأي النافدين ثقة في تاريخه، ثقة في تفسيره، اعتمد عليه المؤرخون والمفسرون الذين جاءوا من بعده، فأكثر الروايات التي سجلها في تاريخه وفي تفسيره تعد نصوصاً تاريخية، والروايات التي جمعها في مؤلفيه، منها ما أبدى رأيه معترضا أو مؤيدا، ومنها ما ترك أمر تحقيقه للذين يأتون من بعده.



ظروفات:

اصطلاح في الموسيقى العربية لضرب في الايقاعات .. زمان دوره (١٣ من ٨) والأصل فيه دور من محثوث خفيف ثقيل المتساوي الرباعي .. يدخله الادراج بنقرات خفيفة زائدة في جزئه الثالث .. وفي فاصلته.



العلامات الفارقة (التجارية):

صدر نظام تسجيل العلامات الفارقة عام

١٣٥٨هـ/١٩٣٨م وذلك لحماية حقوق الشركات التجارية والصناعية السعودية في البضائع التي تنتجها محليا أو تستوردها من الخارج، ولحفظ أصحاب تلك العلامات في البضائع التي تحمل علاماتهم بداعي صنعها أو الإنتفاع والإتجار بها أو عرضها للبيع، وتستمر حماية العلامة الفارقة بتسجيلها في **وزارة المالية والاقتصاد الوطني** لمدة خمسة عشر سنة قابلة للتجديد لمدد مماثلة.



الغدة النخامية:

أهم الغدد الصماء، وتفرز هذه الغدة الصغيرة التي لا يزيد حجمها عن الحمصة هرمونات أكثر مما تفرزه أية غدة أخرى. وعلاوة على ذلك فإنها تؤثر في نشاط جميع الغدد الأخرى. وتفرز الغدة النخامية هرمون النمو وعددا آخر من الهرمونات التي تؤثر في الغدة الدرقية، ويفرز الفصان المتصلان بالغدة النخامية أنواعا متعددة من الهرمونات.



فيتو:

اصطلاح لاتيني معناه (أنا أمنع)، ويعني حق فرد أو هيئة تشريعية في وقف نفاذ قانون صادر من هيئة صاحبة حق في إصدار هذا القانون. وقد نشأ هذا الاصطلاح الدستوري من حق مجلس العامة في العصر الروماني الأول، في وقف نفاذ القوانين التي يصدرها مجلس الشيوخ الروماني أو القناصل بالامتناع عن الموافقة عليها.

وقد اشتهر الفيتو في العصر الحديث بأنه حق يمكن للدول الكبرى وحدها أن تستخدمه في وقف أي قرار في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، إذ أن القرارات الخاصة بتسوية المنازعات الدولية وإقرار السلام في أية منطقة تعرض على هذا المجلس، ومن سلطة المجلس إجراء ما يراه ضروريا لوقف العدوان بما في ذلك استخدام القوة العسكرية. ويتم الموافقة على مشروع القرار بأغلبية سبعة أصوات، بشرط ألا تستخدم إحدى الدول الكبرى بالمجلس حق الفيتو أو الاعتراض، إذ أن ذلك إجراء من شأنه في هذه الحال أن يعطل مشروع القرار المعروض على المجلس، وفي هذه الحالة يعرض المشروع على الجمعية العامة التي تضم مندوبي جميع الدول المستقلة، فإذا حصل موافقة ثلثي الأعضاء أصبح المشروع قرارا.



القانون المسعودي:

كتاب في الفلك ألفه **البيروني** سنة ٤٢١هـ (١٠٣٠م) للسلطان **مسعود بن محمود الغزنوي**. ويتضمن هذا الكتاب فصولا تعالج استخراج بعض التواريخ **(عند الأمم)** من بعض، حساب المثلثات المستوية والكرية، حركة الأجسام السماوية، صورة الأرض وخطوط الطول والعرض عليها، حركات الشمس وكيفية تبيها بشكل هندسي، حركات القمر وبيان اختلاف مناظره في الارتفاع والطول والعرض، والخسوف والكسوف وحساب رؤية الأهلة **(مطالع القمر: اوائل الشهور القمرية)** الكواكب الثابتة ومنازل القمر فيها.



الكونجـــرس:

يتألف الكونجرس الأميركي من مجلسين: **مجلس الشيوخ** ويتألف من ١٠٠ عضو، كل عضوين يمثلان ولاية من ولايات الاتحاد، وينتخب الشيوخ لمدة ٦ سنوات. أما **مجلس النواب** فيتألف من ٤٣٧ عضوا يمثلون الولايات حسب نسبة عدد سكانها، وينتخبون لمدة سنتين، وينتخب جميع أعضاء مجلس الكونجرس انتخابا مباشرا عن طريق البالغين الذين يتمتعون بحق الانتخاب، ويتولى السلطة التشريعية للحكومة الفيدرالية وهي للكونجرس عملية إصدار القوانين، وتخصيص الاعتمادات المالية وتعديل الدستور إذا اقتضى الأمر ويشترك مجلس الكونجرس أي **(مجلس الشيوخ ومجلس النواب)** في تأدية هذه الوظائف بالإضافة إلى ذلك يوافق مجلس الشيوخ على الترشيحات لشغل الوظائف العليا في السلطة التنفيذية للحكومة، كما يوافق على المعاهدات التي تعقد مع الدول الأجنبية.



لسان الدين بن الخطيب:

عالم فقيه .. وأديب شاعر .. كان عالما بالطب، وقد ساعده تبحره في اللغة العربية وفنونها على ان يكون كاتبا من كبار الكتاب فألف في كثير من العلوم والآداب، وكتب كثيرا من الرسائل السياسية والاخوانية والسلطانية، وكتب في التاريخ والأدب والاستعطاف، والوصف وغيرها. ورسائله غنية بمعلوماته في الأدب والتاريخ والعلوم. ولد في لوشه جنوبي غرناطة سنة ١٣١٣م واشتهر بلقب ذو الرياستين (الأدب والسيف) وهو يعود في أصله الى اسرة هاجرت من الشام، وقد قتل عام ١٣٧٤م.

تناهز مؤلفاته الستين، ومعظمها في التاريخ وتخطيط البلدان والطب والأدب والشعر، ومن أشهرها (**الإحاطة في تاريخ غرناطة**).



المكتبة المحمودية:

يرجع إنشاء المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة الى عام ١٢٣٧هـ وقد أنشأها السلطان العثماني **محمود الثاني** (١٢٢٣هـ – ١٢٢٥هـ) ضمن المدرسة التي أسسها في الجهة الغربية من المسجد النبوي الشريف، وبعد التوسعة التي أدخلت على المسجد النبوي.

وخصص للمكتبة مكان في الطابق العلوي من المسجد، وتشرف على المكتبة وزارة الحج والأوقاف، وتضم المكتبة مجموعات من الكتب المطبوعة تقدر بما يزيد على (٤,٠٠٠) مجلد و (٣,٠٠٠) مخطوط ويعود معظم المخطوطات التي بالمكتبة الى وقف **المرحوم محمد عابد السندي** المحدث الشهير.



نظام توزيع الأراضي البور:

صدر هذا النظام في رجب ٨٨هـ الموافق (١٩٦٨/٩/٢٨م) مستهدفا تنظيم توزيع الأراضي البور في المملكة بصفة عامة، وقد تضمن هذا النظام عدة نقاط فنية أهمها: ان المساحة التي تعطى لغرض الاستثمار للفرد الواحد لإقامة مزرعة اقتصادية مساحتها ٥٠ دونما كحد أدنى، ١٠٠ دونم كحد أعلى وللشركات والمؤسسات ٤٠٠ دونم كما يستهدف النظام زيادة دخول المزارع وتحسين ظروفه المعيشية من جهة ومن جهة اخرى زيادة الرقعة الزراعية عن طريق استصلاح الأرض واحيائها وافساح المجال لرؤوس الأموال الخاصة باستثمار الأراضي، كما أن مدة الاستثمار ٢–٣ سنوات فإذا استثمرت الأرض خلال هذه المدة تملك له والا تسحب منه وتعطى لشخص آخر.



الواقــــدي:

عبدالله محمد بن عمر المدني المتوفي سنة ٢٠٧ هـ، استاذ (**ابن سعد**) وأحد الأوائل الثقات الذين عنوا بالمغازي والسير، ذكر له ابن النديم مؤلفات كثيرة منها (**التاريخ والمغازي والبعث**) ومنها (**الطبقات**)، وقال عنه (**خلف الواقدي ستمائة قمطر كتبا، كل قمطر منها حمل رجلين**) والواقدي في مؤلفاته اقترب بعلم التاريخ القائم على الحديث، إلى الأسلوب التاريخي ومادته، وتقول دائرة المعارف الاسلامية «**وتاريخ المغازي للواقدي هو وحده الذي حفظ كيانه بوضعه الأصلي. أما (الطبقات) فلا يعرف الكثير عنه شيئا**».



الهرمونــــات:

مواد كماوية ذات فاعلية كبيرة بمقادير ضئيلة، تفرزها الغدد الصماء وتختلف في هذا عن الفيتامينات التي لا يمكن للجسم تكوينها، ويلزم تناولها مع الطعام حتى إن البعض يطلق على الفيتامينات اسم (**الهرمونات الخارجية**).

وتلعب الهرمونات دورها على كافة أجهزة الجسم بينما تنحصر أهمية الفيتامين في المحافظة على حيوية الخلية فهي تلعب دورها في مستوى خلوي في البكتريا والإنسان.

وتهيمن الهرمونات على المرحلة الأولى من عمليات التمثيل الغذائي في الجسم، حيث تؤثر على المواد البروتينية والكربوهيدراتية والدهنية، كل على حدة.



يـــاردة:

وحدة طول تساوي ثلاثة أقدام أو ستة وثلاثون بوصة أو ٩١٤٣٨٣ر٠ من المتر، وتستخدم في قياس طول القماش في بعض البلدان.

كتب وردت للمجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه ان يفتح امام القاريء آفاقاً اوسع وارحب وابعد مدى».

ابو القاسم الشابي حياته وشعره

الكتاب الاول في مكتبة الشابي. وهي سلسلة من الكتب والدراسات الحية عن أدب الشابي وحياته وآثاره وعصره، تأليف واشراف **الاستاذ أبو القاسم محمد كرو.** يقع في ٢٨٧ صفحة من القطع المتوسط الناشر: الشركة التونسية للتوزيع. قرطاج — تونس.

عام ١٩٧٢، وقد صدر هذا الكتاب عن الاتحاد القومي للفنون التشكيلية بتونس، بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومع الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب. يقع في ٢١٣ صفحة من القطع الكبير.

صفد في التاريخ

دراسة وافية في تاريخ مدينة (صفد) العربية من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، مع صفحات خالدة من تاريخ الآباء والأجداد وكفاح الأبناء والأحفاد، تأليف: **محمود العابدي** يقع في ٣٢٤ صفحة من القطع الكبير عام ١٩٧٧ — عمان — الاردن.

خلاصة تاريخ تونس

مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور الى الزمان الحاضر، وهو الطبعة الخامسة من هذا الكتاب، التي صدرت بعد وفاة مؤلفها **العلامة حسن حسني عبد الوهاب،** يقع في ٢٤٧ صفحة من القطع الكبير، الناشر: الدار التونسية للنشر عام ١٩٧٦.

التراث الموسيقي التونسي

السفر السادس ويتناول الموسيقى التونسية خلال قرن مضى، تأليف **الدكتور بله حسن فرزه،** ويقع في ٨٨ صفحة من القطع الكبير، السفر السابع، ويتناول حياة وآثار شيخ الفنانين التونسيين المرحوم **خميس ترنان** الملقب بصاحب الصوت الرنان، والذي يعد ركنا من أركان الموسيقى العربية، تأليف: **صالح المهدي** ويقع في ١٠٠ صفحة من القطع الكبير، الناشر: ادارة الموسيقى والفنون الشعبية بالجمهورية التونسية.

الملتقى العربي في الانماط المعاصرة للفنون التشكيلية العربية

تسجيل شامل لمؤتمر الفنون التشكيلية الذي عقد بالحمامات في الفترة من ٤ الى ١١ سبتمبر

العلم والتعلم

مجلة علمية تعليمية شعرية، تصدر في تونس تحت شعار «مجلة التربية القومية الأصيلة» باشراف **الاستاذ احمد الشرفي،** وتقع في ٣٢ صفحة من القطع الصغير. وقد ورد منها العدد السابع من السنة الاولى عام ١٩٧٦ والعددان الثامن والتاسع من السنة الثانية ١٩٧٦.

عراضة الخصوم

مسرحية نثرية للاديب السوري **علي عقلة عرسان،** تقع في ١٢٦ صفحة من القطع الصغير، وصدرت عن اتحاد



الكتاب العرب بدمشق عام ١٩٧٦.

أقبل الزمن المستحيل

ديوان من الشعر للشاعر السوري **ممدوح عدوان**، مع مقدمة للاستاذ **ناجي علوش** الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، يقع في ١٠٣ صفحة من القطع الصغير، الناشر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

مختارات أبي شرف

مجموعة مقالات يومية في الأدب والاجتماع والدين، نشرت تباعا في السودان الجديد، وصدرت طبعتها الثانية في هذا الكتاب، **للاستاذ مصطفى أبو شرف**، مع تصدير بقلم فقيد الصحافة السودانية احمد يوسف هاشم يقع في ١٩٧ صفحة من القطع الكبير، الناشر: مطبعة التمدن.

المكتبة الصغيرة

* في سلسلة المكتبة الصغيرة التي يصدرها ويشرف عليها الاستاذ الأديب عبد العزيز الرفاعي، صدر العدد (١٩) بعنوان «**ضرار بن الأزور**» الصحابي، الفارس، الشاعر، وهو دراسة في صفات هذه الشخصية المثيرة التي لازم صاحبها البطل القائد خالد بن الوليد، كتبها باسلوبه الأدبي متتبعا أخبارها في بطون الكتب، **الأستاذ عبد العزيز الرفاعي** يقع في ٩٣ صفحة من القطع الصغير.
* وفي نفس السلسلة ايضا صدر العدد (٢٠) بعنوان «**قاطع الطريق**» وهو عبارة عن قصة شعرية من الشعر العربي الفصيح، للشاعر السعودي **الاستاذ أحمد قنديل**، يقع في ٧٩ صفحة من القطع الصغير.

رسوم على الحائط

ديوان من الشعر الجديد للشاعر السعودي **سعد الحميدين**، يحتوي على (١٨) قصيدة نشرت بين عامي ١٩٦٦-١٩٧٧م، وهي تمثل باكورة حصاد الشاعر في حقل الابداع الشعري، يقع في ١٦٣ صفحة من القطع المتوسط، الناشر: منشورات دار الوطن بالرياض.

مشاهير نجد وغيرهم

دراسة تاريخية تقع في ٥٤٣ صفحة من القطع المتوسط، يعرض فيها مؤلف الكتاب الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن عبدالله آل الشيخ لترجمة حياة مائة من مشاهير نجد وغيرها.

وفي مقدمة الكتاب يقول الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ ان المؤلف بدافع من حبه لهذه الجزيرة وعلمائها، فقد عكف على جمع هذه التراجم (للعلماء) في محاولة للابقاء على ذكراهم، وتسجيل جهودهم ومآثرهم العلمية وكفاحهم في الدعوة الى الله.

وقد نشر الكتاب باشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

ابن مقرب
حياته وسفره

دراسة تاريخية لحياة شاعر عربي، نشأ في بلدة العيون بمنطقة الاحساء وترعرع في ربوع البحرين، له قصائد في كافة أغراض الشعر. كما ناقش الكتاب، الذي ألفه الاستاذ عمران محمد العمران، تاريخ هذا الشاعر الذي ظل مغموط الحق من قبل الدارسين والباحثين يقع الكتاب في ١٨٣ صفحة من القطع المتوسط - الناشر مطابع الرياض.